

الوفاء^٢
بأحوال المصطفى^٢
لإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧ هـ

صححه ونسقه وعلق عليه
محمد زهري النجار
من علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

يطلب من
المؤسسة السعيدية بالرياض
شارع الخزان ، بناية أحمد حمد القصبي وإخوانه
هاتف ٢٥٥٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر (*)

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، ولك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

ونصلي ونسلم على خاتم رسلك ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، الذين اقتفوا سيرته العطرة ، وسنته المطهرة ، علماً وعملاً .

وبعد فلما رأيت الإقبال الكبير من الجمهور العظيم على إحياء سيرة المصطفى ، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، سارعت بإعادة طبعة كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لصاحب القلم السيال « الشيخ جمال الدين ، عبد الرحمن بن الجوزي » رحمه الله .

وقد شارك في تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه صديقنا السلفي ، فضيلة الشيخ محمد زهرى النجار .

كما أننا اخترنا لهذا الكتاب ، ما يكمل جماله ، في جودة الورق ، وجمال الحرف ، وإتقان الطبعة وإنجازها .

كما نرجو من الله العلى القدير ، أن يعيننا على إعادة طبعة كتاب « نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز » لمؤلفه رفاعة الطهطاوى .

(*) الناشر : فهد بن عبد العزيز السعيد صاحب المؤسسة السعيدية بالرياض
هاتف ٢٥٥٦١ ش الخزان بناية أحمد حمد القصبي وإخوانه .



مقدمة المصحح

الحمد لله القائل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

والصلاة والسلام على سيد الخلق ، والهادى إلى الحق ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا أنفسهم وكل نفيس لديهم ، فى سبيل نوره هذا الدين القويم .

وبعد ، فمعلوم لدى كل عاقل ، أن كل علم يشرف بشرف موضوعه .

وما خلق الله الإنس والجن إلا ليتزودوا من دنياهم بالأعمال الصالحة لحياتهم الخالدة ، كيلا يروا أعمالهم خسرات عليهم ، ويقول أحدهم متحسراً « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » .

ولا تتحقق السلامة من الاصطلاء بغضب الله ، نار الله الموقدة ، إلا بالعمل ، ولا يصح العمل إلا بترسم خطوات سيد المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعريف بسيرته العطرة .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارئ الكريم ، قد ضم بين دفتيه خلاصة طيبة من سيرة سيد الأنبياء وصفوة الأصفياء .

ألفه إمام نابه الذكر ، ووعاء من أوعية العلم فى شتى أنواعه .

قدّمه للناس عامة ، وللمسلمين خاصة ، ليتعرفوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف النواحي .

ولا أريد أن أستقصي تلك النواحي بل أترك ذلك لك أيها القارىء .

وخلاصة ما أصف به هذا الكتاب ، أنه كروضة حوت من جميع الثمار وأنواع الورود والأزهار .

فزأرها أشبه بالطيور التي تنتقل من شجرة إلى شجرة ، ومن فنّ إلى فنّ ، وقد انطلقت حناجرها بأطرب الأغاريد وأعذب الألحان .

وكذلك من يقرأ هذا الكتاب ، ويتنقل في رياضته .

بينما يمدّ نفسه أمام التعرف بصفة النبي خَلَقًا ، إذا هو ينتقل إلى التعرف إلى صفة أخلاقه التي لا تدانِي ، فضلا عن أن تُسَامَى ، حتى استوى على عرش قلوب قومه ، فكان أعزّ إنسان في نفوسهم .

ثم ينتقل إلى بدء النبوة وما سبقه من الإرهاصات ، وإلى القيام بالدعوة ومراحلها ، وإلى صموده أمام تلك الصعاب والعقبات الكأداء ، التي اعترضت دعوته ، ثم إلى هجرته ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وقيامه بالجهاد ، والمعاملة الحسنة للأسرى ، وكيفية عشرته لأصحابه ولأزواجه .

فتنتهى رحلة القارىء من تلك الرياض ، وقد امتلأ معرفةً بأحوال المصطفى علماً وعملاً ، وتنظيماً لقدره .

عملنا في هذا الكتاب

قرأت الكتاب بتمعن وعلى مكث . فعمدت إلى الأخطاء الطبعية
فصححتها ، وإلى الآيات القرآنية فضبطتها بالشكل الكامل وخرَّجتها ،
وكذلك الآيات الشعرية .

ثم تتبعت المفردات اللغوية في النثر والنظم ، فأوضحت معانيها ، وذلك
استجابة لطلب بعض أفاضل العلماء .

وقد بذلت جهداً في ذلك يقدره من يمانى مثل هذا العمل .

ونسقته تنسيقاً يحمل في عيون القراء ، وأخرجته لإخراجاً ، أرجو
أن يكون في أبهى حلة وأجل منظر .

وعمدت إلى التعريف بالمؤلف فأثبتته كما حرره أخونا الفاضل
الدكتور مصطفى عبد الواحد ، اعترافاً بمجهوده ، وكراهيه منى لهضم
حق الغير والسَّطو على عمله .

واقصرت من مقدمته على ما يخص ترجمة المؤلف .

التعريف بالمؤلف (١)

أما المؤلف فهو (٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ،
ابن علي بن عبد الله ابن حمّادى ، بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى
التيمى البكرى البغدادى ، الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ .

(١) ترجمته في شذرات الذهب ٣٢٩/٤ ووفيات الاعيان ٣٢١/٢ وتذكرة
الحفاظ ١٣٥/٤ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .

والجوزى نسبة إلى قرصة الجوز - كما يقول ابن خلكان - أو إلى محلة الجوز بالبصرة - كما يقول ابن العماد .

ولد سنة عشر أو ثمان وخمسة - ومات سنة سبع وتسعين وخمسة .
نشأ يتيماً ، فمات أبوه وله ثلاث سنين ، فربته عمته .

قال عن نفسه (١) : « فإن أبى مات وأنا لا أعقل ، والأم لم تلتفت إليّ » .
فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر ، وهو خاله ،
فاعتنى به وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن ، وقرأه على جماعة من القراء ،
بالروايات .

وقد نشأ شغوفاً بالمعرفة ، محباً للطلب ، فسمع الكثير ، ونظر في جميع
الفنون . كما قال :

« فركز في طبعي حب العلم ، وما زال يوقني على المهم فالمهم ، ويحملني
إلى من يحملني على الأصوب ، حتى قوّم أمرى » .

وقد كان لابن الجوزى شيوخ كثيرون يبلغون سبعة وثمانين شيخاً .
منهم ابن ناصر ، وهو كثير النقل عنه ، وعلى بن عبد الواحد الدينورى .
وابن الحصين ، وأبو عبد الله البار ، وأبو الوقت السجزي .
وكان معظماً لأبى الوفا بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه .
وقد بلغ ابن الجوزى منزلة عالية في الحديث وصناعة الوعظ .
أما الحديث ، فقد اشتهر به ، ولقب فيه بالحافظ ، وصنف فيه الكثير ،
وبلغ من وثوقه بنفسه فيه أن قال :

(١) عبارات المؤلف في الحديث عن نفسه منقولة عن كتابه صيد الخاطر
في مواضع متفرقة .

« ولا يكاد يُذكر لى حديث ، إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ،
أو حسن ، أو محال . »

وهذا القول ليس غروراً ولا ادعاء ، ولكنه قول من يعرف قدر نفسه
ويحيط بموهبته .

والحق أن ابن الجوزى أخلص للحديث كثيراً ، وبذل الكثير فى سبيل
بلوغ الرتبة العالية فيه .

ويحدثنا عن ذلك فيقول :

« كنت فى زمان الصبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث
وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء .

فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى ، لا ترى إلا لذة
تحصيل العلم .

فأثر ذلك عندى أنى عرفت بكثرة سماعى لحديث الرسول صلى الله عليه
وسلم وأحواله ، وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيه . »

ويذكر ابن خلكان فى ذلك أنه قد جمعت برؤية أقلامه التى كتب بها
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن
يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكفّت وفضل منها !
وأما الوعظ ، فقد اتجه إليه ابن الجوزى منذ نشأته ، فوعظ من صغره ،
وفاق فيه الأقران ، ونشأت له فى ذلك ملكة مجيبة ، وبديهة حاضرة ، وتاب
على يديه الآلاف وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء .

ويقول ابن الجوزى :

« ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر ، أكثر من مائتى ألف ، وأسلم

على يديّ أكثر من مائتي نفس ، ولم سالت عين متجبرّ بوعظي لم تكن تسيل » .

وكان مجلسه يقدر في بعض الأحيان بمائة ألف ، وحضر مجلسه الخليفة المستنصر ، مرات من وراء الستّر .

ومع اشتهار ابن الجوزي بالحديث والوعظ ، فقد تبجّر في غيرها وشارك في ألوان الثقافة الأخرى ، فبرع في علوم مختلفة ، وحاز مكانة في أكثر من ميدان وطلب من كل فن ما أطاق ..

يقول عن نفسه : « إني رجل حُبّب إلى العلم من زمن الطفولة ، فتشاغلتُ به ، ثم لم يحبّب إليّ فن واحد منه ، بل فنونه كلها ، ثم لا تقتصر همّي في فن على بمضه ، بل أروم استقصاءه » .

وقد جنى ابن الجوزي من تحصيله الكثير ثمرة فائقة ، سمّت به إلى مكانة مرموقة في ميدان الثقافة الإسلامية وأحلّته منزلة باهرة ، حتى ليقول عن نفسه « وما نلتّه من معرفة العلم لا يقاوم ! » .

وليس ذلك ادعاء ولا تعالما من ابن الجوزي ، فأماؤه المتعددة تدلّ على المدى البعيد الذي سار فيه ، في تحصيله ودراسته .

فهذه كتبه في التاريخ ، لا تقل مكانة عن المصادر الموثوق بها المعول عليها . وأشهرها : « المنتظم في تاريخ الأمم » .

وكتبه في علوم اللغة مثل « تذكرة الأريب » في اللغة ، و « الوجوه والنظائر » ، و « تقويم اللسان » ، و « المقيم المقعد » في دقائق العربية ، تدل على مشاركته في ذلك الميدان الذي لم يكن لواعظ يحدث مثله ، أن يتسم اهتمامه به إلى ذلك الحد ، إلى جانب مراجعته في التفسير ، وعلوم القرآن التي قد أكثرها - وغير ذلك من علوم الفقه ، ونقد الفكر الإسلامي ..

فإذا تجاوزنا النطاق العلمى إلى النطاق الاجتماعى والسياسى فإننا نجد لابن الجوزى موقفاً متميزاً فى صلتة بعصره وموقفه من المجتمع الذى كان يعيش فيه ..

فمن جهة لم يكن ابن الجوزى من وعاظ السلاطين أو حاشية الملوك الذين تُستكمل بهم زينة الملك أو يملأون حيزاً حُدِّد لهم وأريد ألا يتجاوزه .. بل كان الرجل ذا شخصية فذة ، عرف مكانه من عصره وبيئته ، فانطلق يجاهد بسلاحه الذى يمتلك ، وهو الوعظ والكتابة - وتجاهى ، بنفسه ، عن ظل السلطان ، ونجا من المداهنة فى قوله أو الرياء بعلمه ، ومن هنا استطاع أن يستعلن بكلمة الحق وأن يعرف الإصرار على رأى والحدة فى الإقناع .. وتلمح خطته فى الإصلاح ومنهجه فى الثورة على المفاصد فى كتابه « تلبس إبليس » الذى حدد فيه موقفه من الفكر والسلوك فى عصره ..

وفى هذا الكتاب يختص شذوذ المتصوفة ومخالفاتهم للشريعة بجانب كبير ، وقد اشتهر ابن الجوزى بعدائه لمبتدعات الصوفية وإنكاره لكل ما يخرج عن حدود النقل الصحيح ..

وهو بهذا سُنِّي سلفى ، لا يرتبط بمذهب يحمله التعصب على نصرته ولا يأوى إلى رأى يزود عنه أو يقنع به ، ولكنه مجتهد فى فهم الكتاب والسنة متقبلاً لما سائر العقل من الأثر ، ولهذا لم يبال أن يخالف أحداً ممن سبقوه ما دام ضياء العقل وبهاء النقل فى يده !

ولذلك تراه يردُّ على الإمام الغزالى كلَّ ما لا يتسق مع المنهج الفقهى الذى ارتضاه الغزالى نفسه ، إذ كان الغزالى المتصوف ، يناقض فى بعض الأحيان ، الغزالى الفقيه !

وقد كان ابن الجوزى يَعْجَب من ذلك ويلفت إليه .

وقد كان ابن الجوزي حنبلي المذهب ، إلا أنك لا تحس منه جهوداً عند رأيي ، بل إن سناء عقله ، يقف من التراث الإسلامي كله ، مُشرقاً يتطلع إلى الحق أين كان . .

ولهذا لم يرتض الحنابلة أنفسهم كثيراً من آراء ابن الجوزي ، بل إنهم تقوموا عليه بعضها .

يقول عنه ابن رجب الحنبلي في طبقات الحنابلة :

« نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو إن كان مطّلعاً على الأحاديث والآثار ، فلم يكن يحلّ شبه المتكلمين وبيان فسادها » .

ثم علل اضطرابه بأنه : « كان معظماً لأبي الوفاء ابن عقيل ، متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه ، وإن كان قد ردّ عليه في بعض المسائل .

وكان ابن عقيل ، بارعاً في الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له في هذا التلّون » .

ويقول عنه الشيخ موفق الدين المقدسي : « كان ابن الجوزي حافظاً للحديث ، وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقتهم فيها » .
والحق أن تعظيم ابن الجوزي لأبي الوفاء بن عقيل ، ليس تعصباً ولا جهوداً ، ولا تعبداً بفكر .

إذ أن ابن عقيل هذا - حسب نقوله التي يرويها عنه ابن الجوزي في كتبه المختلفة ، ومن بينها الكتاب الذي بين أيدينا - رجل طليق الفكر والرأي ، مشرق الفهم ، بصير في اتجاهه .

فلعل إعجاب ابن الجوزى به ، إعجاب المشارب المثقفة والأذواق المتلائمة .
وخاصة ، حين نذكر أن ابن الجوزى ، لم يلتق بابن عقيل هذا ، ولم
يتصل به ، فقد توفي ، قبل أن يولد ابن الجوزى .

وكل ما هناك ، أن الرجل التقى به بفكره ، وتلَّحَّح من آثاره ، سعة
الأفق ، واستنارة البصيرة ، وحرارة الإخلاص . .

ولم يكن بدُّ أن يتعرض ابن الجوزى - في صراحيته وجهره بالحق -
لعداوات فكرية ، وسياسية ، جلبت له كثيراً من الحرج والأذى .

فقد كانت الخصومات المذهبية ، تشتد حتى يصيبه لَفْحُهَا ، وحتى تُدَبِّرَ له
المكائد بسبب إعلانه ، لما يراه حقاً ، دون خشية أو مواربة .

يروى الذهبي في تذكرة الحفاظ (١) : « أنه قام عليه الركن عبد السلام
ابن عبد الوهاب الحنبلي تجاه الوزير القِصَّاب ، وكان الركن سَيِّئ النِّحْلَةِ ،
أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ بإشارة ابن الجوزى ، وأُعْطِيَ مدرسة الحنبلي .

فحمل الركن عليه وقال : لابن القِصَّاب الشَّيْعى : أين أنت من
ابن الجوزى ؟ ! فإنه ناصبيٌّ ، ومن أولاد أبي بكر !

فجاءه من شتمه وأهانته ، وختم على داره ، وشتت عياله .

ثم أخذ في سفينة إلى واسط ، فحبس بها في بيت ، وبقي يغسل ثوبه
ويطبخ ، ودام على ذلك خمس سنين ، وما دخل فيها حماماً ! » . .

أما الخصومات الفكرية فقد كان بعضها يصل إلى درجة الهجوم عليه ،
مثل وصف ابن الأثير له - في مقدمة كتابه الباب - بالتدليس ، في صدد
دفاعه عن السمعاني ، وكان بعضها هيناً إلى درجة النقد الخفيف ، من أنه

كان يقع السهو في تصانيفه ، وأنه كان يتم الكتاب فلا يراجعه ، وأن معظم ما كتبه ليس من ممارسة العلماء .

كتبه

كان ابن الجوزى من المكثرين من الكتابة الموقنين في التأليف ، حتى شاعت له شهرة في ذلك ، وأحاطت المبالغة بعدد كتبه .

فهذا ابن العماد الحنبلي يذكر أن ابن الجوزى سئل عن عدد تصانيفه فقال : « زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا ، منها ما هو عشرون مجلدًا وأقل » . ويقول الذهبي : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل » .

ويقول ابن خلكان : « وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعدّ ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يُغالون في ذلك » .

وفي الحق أن هذا الرجل كان عميق الثقافة ، مُتسع المدارك ، خالياً من الشواغل والآفات ، فأكثر من الكتابة والتصنيف .

ولكن هذا العدد الذى يُذكر لكتبه ، محوط بالتهويل والمبالغة .

ولعلمهم كانوا يعدون الأجزاء من الكتاب الواحد كُتباً متعددة !

والذى يذكر من كُتبه في التراجم ، لا يكاد يبلغ المائة .

والمؤسف أن القدر الذى بقي من كُتبه لا يزال أكثره في طوايا النسيان ، لا يجد من يعتنى به أو يصونه ، مع أن هذا التراث لرجل واحد ، كان خليقاً بأن تقوم عليه جامعة إسلامية ، تنفض عنه غبار الدهر وتدفع عنه

يد البلى ، وقد كان الأزهر الشريف ، أحق بذلك فيستيقظ لرسالته ، وينتبه لأعيانه ، ويمارس في عالم الواقع ، ما يُرجى له !

إن ابن الجوزى يجد من يهتم بكتيبه وآثاره من الأوربيين المستشرقين أكثر من العرب المسلمين ، والدليل على ذلك أن أكثر كُتبه المخطوطة في المكتبات والجامعات الأوربية ، ولا أنسى أننى أخرجت كتابه « ذم الهوى » عن نسخة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ونسخة مكتبة باريس الأهلية ، على حين أننى لم أجد نسخة يعول عليها في مكتباتنا العربية .

إننى أدعو من هذا إلى صيانة آثار ابن الجوزى وتتبع كتبه المفقودة أو الفاتية عنا واستردادها - عن طريق نشرها - من أيدي الأوربيين والمستشرقين الذين عنوا بترائنا على غفلة منا واستهانة .

ولا بأس هنا أن نذكر بعض ما عرف من كتب ابن الجوزى في الفنون المختلفة ، ونشير إلى المطبوع منها :

(١) في علوم القرآن وتفسيره :

- ١- الفنى في علوم القرآن .
- ٢- فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن .
- ٣- زاد المسير في علم التفسير . طبع في دمشق .
- ٤- المحتبى في علوم تتعلق بالقرآن . ٥- التفسير الكبير في عشرين مجلداً .
- ٦- إخبار أهل الرسوخ بمقدار الناسخ والنسوخ طبع سنة ١٣٢٢

(ب) علوم الحديث :

- ١- الكشف في أحاديث الصحيحين .
- ٢- تهذيب المسند - عشرون مجلداً .

- ٣- المختار من أخبار المختار . ٤- مشكل الصحاح- أربع مجلدات .
- ٥- جامع المسانيد- سبع مجلدات . ٦- الموضوعات .
- ٧- الواهيات . ٨- الضعفاء .
- ٩- تلقيح فهم أهل الأثر [مطبوع بالهند] .

(ج) الوعظ :

- ١ - بستان الواعظين . طبعه محمود صبيح مرتين .
 - ٢ - نتيجة الإحياء [اختصر به إحياء علوم الدين] .
 - ٣ - تبصرة الأخيار . ٤ - روح الأرواح [طبع] .
 - ٥ - الثبات عند المات . ٦ - المورد العذب .
 - ٧ - لفظة الكبد إلى نصيحة لولد [طبع] . ٨ - القصاص والمذكرون .
 - ٩ - منهاج المريدين . ١٠ - التبصرة . ١١ - المدهش [طبع] .
 - ١٢ - رءوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير - طبع
- بالجمالية سنة ١٣٣٢
- ١٣ - تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم الغمر . ١٤ - الياقوتة في الوعظ .

(د) التاريخ والتراجم :

- ١ - المنتظم [طبع جانب منه] . ٢ - مختصر المنتظم .
- ٣ - مناقب عمر بن عبد العزيز [طبع] .
- ٤ - شذوذ العقود في تاريخ اليهود .
- ٥ - صفوة الصفوة [طبع بالهند] .
- ٦ - مناقب أحمد بن حنبل . طبعه محمد أمين الخالنجي .
- ٧ - الذهب المسبوك في سير الملوك . ٨ - فضائل القدس .
- ٩ - أخبار الأخيار . ١٠ - أخبار النساء .

- ١١ — مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن .
- ١٢ — مناقب عمر بن الخطاب [طبع] .
- ١٣ — الوفا في فضائل المصطفى [وهو الذى بين أيدينا] .

(هـ) علم الكلام :

- ١ — التحقيق في مسائل الخلاف . بدأ بتحقيقه المرحوم الشيخ أحمد شاكر ولم يطبعه .
- ٢ — الانتصاف في مسائل الخلاف .
- ٣ — دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة [طبع] في دمشق على نفقة حسام الدين القدسي .
- ٤ — تجريد التوحيد المفيد .

(و) اللغة والأدب :

- ١ — تقويم اللسان .
- ٢ — المقيم المقعد في دقائق العربية .
- ٣ — تذكرة الأريب .
- ٤ — الوجوه والنظائر في اللغة .
- ٥ — الأذكياء [طبع] .
- ٦ — المغفلون . طبعة حسام الدين القدسي بعنوان (الحمقى والمغفلون) .
- ٧ — ذم الهوى [طبع بتحقيق] .
- ٨ — لقط المنافع في الطب ، والفراصة عند العرب .
- ٩ — المقامات .

(ز) النقد الدينى والاجتماعى :

- ١ — صيد الخاطر [طبع] .
- ٢ — تلبيس إبليس [طبع] .

وهكذا نرى القليل من كتب هذا الإمام العظيم قد عرف طريقه إلى
النور ، فطبع طبعة رديئة ، وأكثرها نعرف اسمه ، ولا نهتدى إلى مكانه !
ويا لخسارة أمتنا الإسلامية حين تُحرم تراث رجل من رجالها الأفاضل ،
وحين ينفى مصباح من مصابيحها دون أن يهتدى بنوره أحد !

هذا الكتاب

وكتابنا هذا أحد كتب ابن الجوزى التى تعبّر عن جانب من اتجاهاته
العلمية وتشفّ عن لون من فكره وثقافته .

فهو فى موضوعه يعرض سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بدايتها
إلى نهايتها ، وفى خلال ذلك يُدرج المؤلف دلائل نبوة الرسول وشواهد
صدقه فى دعوته ، كما يوضح خصائصه ويجمع شمائله وهديه ، وما يتعلق
بنواحي حياته ونظام معيشته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا تُكْسِرُونَ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
الْجَلَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي قدّم نبينا صلى الله عليه وسلم على كل نبي أرسله ،
وفضّل كتابنا على كل كتاب أنزله ، وجعل أمتنا الأخيرة الأوّلة ،
فله الشكر من معتقده أنه به وله .

اعلموا رحمكم الله (١) أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة (٢)
اله جود ، وواسطة العقود ، لا يداني باحة مجده بشر ولا ملك ، ولا يطرق
ساحة جدّه مخلوق إذا سلك .

نوّه بذكره قبل خلق آدم ، وأمر الأنبياء أن يُعلموا بوجوده العالم ،
ولم يبعث نبي قبله إلى غير أمته ، وشُرف هو على السكل بعموم دعوته ،
ونسَخَ كثيراً من شرائع الأنبياء بشريعته .

ولمى رأيت خلقاً من أئمتنا لا يحيطون علماً بحقيقة فضيلته .
فأحببت أن أجمع كتاباً أشير فيه إلى مرتبته ، وأشرح حاله من بدايته
إلى نهايته ، وأدرج في ذلك الأدلة على صحة رسالته ، وتقدّمه على جميع
الأنبياء في رتبته .

(١) ز : اعلم رحمك الله . .

(٢) ز : خلاصة .

فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه في تربته ، ذكرت فضل الصلاة عليه وعَرَضَ أعمال أُمته ، وكيفية بعثته ، ومَوَاقِعَ شفاعته ، وأخبرت بقُرْبِهِ من الخالق يوم القيامة ومنزلته .

ولا أطرق الأحاديثَ خوفاً على السامع من ملامته ، ولا أخلط الصحيح بالكذب (١) كما يفعل من يقصد تكثير روايته ، مثل حديث هامة بين الهيم ، وزريب بن برثملى وما جاء في مجانسته .

إذ في الصحيح ، غُنيَّةٌ (٢) لمن قضى الله بهدايته .

وقد زادت أبواب هذا الكتاب على خمسمائة باب والله الوفق برحمته .

(١) ليته راعى هذا الوعد الذى قطعه على نفسه ، فلقد خلط الصحيح بالكذب فى بعض اللواضع ! (٢) غنية : استغناء واكتفاء .

ذكر تراجم الأبواب

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر التَّنويه بذكر نبينا صلى الله عليه وسلم من زمن آدم صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في ذكر العليّة التي خلق منها صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع | : في بيان ذكره في التوراة والإنجيل ، وذكر أمته واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك . |
| الباب الخامس | : في إعلام كعب بن لؤي بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب . |
| الباب السادس | : في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع | : في ذكر نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في ذكر طهارة آبائه وشرفهم . |
| الباب التاسع | : في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العاشر | : في قوله : « ولدت من نكاح لا من سفاح » . |
| الباب الحادي عشر | : في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم . |

- الباب الثاني عشر : في ذكر منام رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث عشر : في ذكر منام رآه عمرو بن مُمرة يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع عشر : في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بني زُهرة .
- الباب الخامس عشر : في ذكر أبي نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس عشر : في ذكر تزويج عبد الله آمنة بنت وهب .
- الباب السابع عشر : في ذكر ما جرى لآمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثامن عشر : في ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب .
- الباب التاسع عشر : في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب العشرون : في قصة الفيل .
- الباب الحادي والعشرون : في ذكر ما جرى عند وضع آمنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني والعشرون : في ذكر ولادته مختونا مسروراً .
- الباب الثالث والعشرون : في ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر أمهات الحوادث .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس والعشرون : في ذكر كنيته عليه السلام .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر أول من أرضعته .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر حليلة وهي التي أرضعته بعد ثويبة .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر شرح صدره في صغره .

الباب الثلاثون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد تمام خمس سنين من مولده .

الباب الحادى والثلاثون : في ذكر وفاة آمنة .

الباب الثانى والثلاثون : في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله
عليه وسلم يستسقون عند غمام رقيقة .

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سيف
ابن ذى يزن ، بالملك ، وتبشير سيف عبد المطلب
بأن سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبله .

الباب الخامس والثلاثون : في ذكر موت عبد المطلب .

الباب السادس والثلاثون : في ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

الباب السابع والثلاثون : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بحيرى .

الباب الثامن والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرب الفجار .

الباب التاسع والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلف الفضول .

الباب الأربعون : في ذكر ما كان يتعمد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة .

الباب الحادى والأربعون : فى ذكر حادثة جِئَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة ، فأخبر بها عمّه أبا طالب .

الباب الثانى والأربعون : فى ذكر رَغِيهِ الْفَنَمِ .

الباب الثالث والأربعون : فى ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر خروجه إلى الشام مرة أخرى فى تجارة لخديجة رضى الله عنها .

الباب الخامس والأربعون : فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها .

الباب السادس والأربعون : فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيان الكعبة ووضعه الحجر بيده صلى الله عليه وسلم .

أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر المواقف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في ذكر إعلام الوحش بنبوته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في ذكر أمارات النبوة التي رآها قبل بعثته . |
| الباب الرابع | : في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه . |
| الباب الخامس | : في ذكر بدء الوحي إليه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس | : في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة . |
| الباب السابع | : في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام وعلى . |
| الباب الثامن | : في صفة نزول الوحي عليه . |
| الباب التاسع | : في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة . |
| الباب العاشر | : في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آية تقوى ما عنده . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر رعى الشياطين بالشهب حين بعث صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثانى عشر | : في ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى المسمى بأبرويز عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر دعاية (دعوة) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام . |

الباب الرابع عشر : في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المواسم .

الباب الخامس عشر : في ذكر إنذاره عشيرته .

الباب السادس عشر : في ذكر عموم رسالته .

الباب السابع عشر : في ذكر إرساله إلى الجن .

الباب الثامن عشر : في كونه خاتم النبيين .

الباب التاسع عشر : في ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أذى الكفار وهو صابر .

الباب العشرون : في ذكر ما روى من إيمان أكرم بن صفي

برسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروجه .

الباب الحادي والعشرون : في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه

بالخروج إلى أرض الحبشة .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر ما كتبه المشركون من التبري من

بنى هاشم وبنى عبد المطلب .

الباب الثالث والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مع ضماد الأزدي الوافد .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مع عتبة بن ربيعة .

الباب الخامس والعشرون : في ذكر ما أشار به الوليد بن المغيرة على قريش

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مع الطفيل بن عمرو .

الباب السابع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب عند موته .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت أبي طالب وخديجة .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى الطائف .

الباب الثلاثون : في ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف بجوار .

الباب الحادي والثلاثون : في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم .

الباب الثاني والثلاثون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في سنة إحدى عشرة من النبوة .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة .

الباب الخامس والثلاثون : في علم قريش بما جرى للأنصار وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك .

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الفار . |
| الباب الثاني | : في ذكر ما جرى في الفار . |
| الباب الثالث | : في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة . |
| الباب الرابع | : في ذكر حديث أم مقبد . |
| الباب الخامس | : في تورية أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة . |
| الباب السادس | : في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه . |
| الباب السابع | : في ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها . |
| الباب الثامن | : في ذكر اليوم الذي قدم فيه المدينة . |
| الباب التاسع | : في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة . |
| الباب العاشر | : في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الحادي عشر | : في لقاء عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة . |
| الباب الثاني عشر | : في فضل المدينة . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع عشر | : في فضل مسجده صلى الله عليه وسلم . |

- | | |
|------------------|---|
| الباب الخامس عشر | : في ذكر ما بين بيته ومنبره . |
| الباب السادس عشر | : في ذكر بيوته صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه . |
| الباب السابع عشر | : في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبب إلى أصحابه المدينة . |
| الباب الثامن عشر | : في صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة . |
| الباب التاسع عشر | : في ذكر الوقت الذي حُوِّلت فيه . |
| الباب العشرون | : في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس في المدينة . |

أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر معجزة القرآن العزيز . |
| الباب الثاني | : في معجزته بشق القمر . |
| الباب الثالث | : في إظهار معجزته في تكثير الطعام . |
| الباب الرابع | : في معجزته في تكثير السمن . |
| الباب الخامس | : في معجزته في تكثير التمر . |
| الباب السادس | : في معجزته في تكثير الماء . |
| الباب السابع | : في نبع الماء من بين أصابعه . |
| الباب الثامن | : في معجزته في تكثير اللبن . |
| الباب التاسع | : في ظهور معجزته بمجيء الشجرة إليه . |
| الباب العاشر | : في تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره . |
| الباب الحادي عشر | : في ذكر شكوى البهائم إليه ، ودُلُّ المستصعب منها له . |
| الباب الثاني عشر | : في ذكر معجزته [التي ظهرت] في المركوب . |
| الباب الثالث عشر | : في رميه وجوه المشركين بكف من تراب فملاً أعينهم . |
| الباب الرابع عشر | : في إشارته إلى الأصنام فوقعت . |
| الباب الخامس عشر | : في إخباره صلى الله عليه وسلم بالغائبات . |
| الباب السادس عشر | : في إلانة الصخر له . |
| الباب السابع عشر | : في حنين الجذع إليه . |
| الباب الثامن عشر | : في تسبيح الحصى في يده . |
| الباب التاسع عشر | : في ستره عن أعين من قصد أذاه من المشركين . |

- الباب العشرون : في دفع من أراد أذاه من الإنس .
الباب الحادى والعشرون : في كيفية هلاك بعض من آذاه .
الباب الثانى والعشرون : في دفع من قصد أذاه من الشياطين .
الباب الثالث والعشرون : في دفع أذى الهوام عنه .
الباب الرابع والعشرون : في إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت .
الباب الخامس والعشرون : في كلام الجدار بحضرته .
الباب السادس والعشرون : في تكليم الظبية له .
الباب السابع والعشرون : في كلام الضب له .
الباب الثامن والعشرون : في إجابته اليهود عن مسائل لا يعلمهن إلا نبي .
الباب التاسع والعشرون : في رؤيته الأشياء من وراء ظهره .
الباب الثلاثون : في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .
الباب الحادى والثلاثون : في إجابة دعائه .

أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام وخصائصه ، ومثل ما بعث به
ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

باب الأول	: في ذكر فضله على الأنبياء عليهم السلام .
باب الثاني	: في ذكر خصائصه .
باب الثالث	: في ذكر إنفاذ قطيفة له من الجنة .
باب الرابع	: في رفع ذكره عليه السلام .
باب الخامس	: في ذكر مثله ومثل النبيين عليهم السلام .
باب السادس	: في ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به .
باب السابع	: في فضل أمته على الأمم .
باب الثامن	: في ذكر مثله ومثل أمته .
باب التاسع	: في ذكر مثل من قبل ما جاء به ومثل من لم يقبل .
باب العاشر	: في وجوب طاعته عليه السلام .
باب الحادى عشر	: في وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس .

أبواب صفات جسده صلى الله عليه وسلم

- | | |
|-----------------------|--|
| الباب الأول | : في صفة رأسه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في صفة جبينه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في صفة حاجبيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع | : في صفة عينه وأهدابه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس | : في صفة خديه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس | : في صفة أنفه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع | : في صفة فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في صفة نكته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع | : في صفة وجهه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العاشر | : في صفة اللحية الكريمة . |
| الباب الحادي عشر | : في صفة شعره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني عشر | : في صفة عنقه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في بُعد ما بين منكبيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع عشر | : في غلظه الكثير صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس عشر | : في صفة صدره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس عشر | : في صفة بطنه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع عشر | : في صفة مَسْرُوتِه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن عشر | : في صفة أصابعه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع عشر | : في صفة كفيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العشرون | : في صفة زنديه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الحادي والعشرون | : في صفة ساقيه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني والعشرون | : في ذكر عقبه صلى الله عليه وسلم . |

- الباب الثالث والعشرون : في ذكر قدميه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في ذكر اعتدال خلقه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : في ذكر طوله صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع والعشرون : في رقة بشرته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن والعشرون : في صفة لونه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر حسنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثلاثون : في ذكر عرقه .
الباب الحادي والثلاثون : في ذكر خاتم النبوة .

أبواب صفاته المعنوية

باب الأول	: في حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .
باب الثاني	: في ذكر حلمه وصفحه صلى الله عليه وسلم .
باب الثالث	: في نهيه أن يُبَلِّغَ مالا يصلح .
باب الرابع	: في ذكر شفقته ومداراته صلى الله عليه وسلم .
باب الخامس	: في ذكر حياته صلى الله عليه وسلم .
باب السادس	: في ذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم .
باب السابع	: في أنه بُعِثَ رحمةً صلى الله عليه وسلم .
باب الثامن	: في ذكر اشتراطه على ربه [أن يجعل] سببه لمن سبّه من المسلمين أجراً صلى الله عليه وسلم .
باب التاسع	: في ذكر كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .
باب العاشر	: في ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم .
باب الحادي عشر	: في ذكر مزاحه ومداعبته صلى الله عليه وسلم .
باب الثاني عشر	: في ذكر وفاته بالمهد صلى الله عليه وسلم .

أبواب آدابه وسمته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول	: في جملة يده اليمنى للظهور واليسرى لدفع الأذى صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في فعله عند عطسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: في محبته التياؤن في أفعاله صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع	: في ذكر جلسته صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: في ذكر احتبائه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: في ذكر اتكائه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع	: في ذكر استلقائه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن	: في صفة منطقته وألفاظه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع	: في حركة يده حين يتكلم صلى الله عليه وسلم .
الباب العاشر	: في ذكر منبره صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى عشر	: في ذكر فصاحته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى عشر	: في تكلمه بالفارسية .
الباب الثالث عشر	: في ذكر ما تمثل به من الشعر .
الباب الرابع عشر	: في ذكر ما سمع من الشعر .
الباب الخامس عشر	: في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس عشر	: في ذكر ضحكه وتبسمه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع عشر	: في محبته للقال والحسن من القول .
الباب الثامن عشر	: في تغييره الاسم التبييح بالحسن .

- الباب التاسع عشر : في قبوله الهدية وإثابته عليها .
الباب العشرون : في كثرة مشاورته لأصحابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى والعشرون : في ذكر فعله ، في أول مطر يقع .
الباب الثانى والعشرون : في احتياطه في نفي التهمة عنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث والعشرون : في علامة رضاه وسخطه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في مخالطته الناس صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في يمينه إذا حلف صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه صلى الله عليه وسلم .

أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- الباب الأول : في إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى : في اقتناعه باليسير من الدنيا .
الباب الثالث : في أنه كان لا يدخر شيئاً صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع : فيما روى أنه كان يدخر .
الباب الخامس : في ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس : في صفة عيشه في الدنيا صلى الله عليه وسلم .

أبواب تعبدہ صلی اللہ علیہ وسلم

أبواب طہارته

- | | |
|--------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف . |
| الباب الثاني | : في ما كان يقوله إذا خرج منه . |
| الباب الثالث | : في ابتلاع الأرض لحدته . |
| الباب الرابع | : في ذكر وضوئه صلی اللہ علیہ وسلم . |
| الباب الخامس | : في أنه كان يتوضأ لكل صلاة . |
| الباب السادس | : في جمعه الصلوات بوضوء واحد . |
| الباب السابع | : في مسحه على الخفين . |
| الباب الثامن | : في ذكر شواكه عليه السلام . |
| الباب التاسع | : في صفة غُسله عليه السلام . |

أبواب صلاته

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في صفة صلاته عليه السلام . |
| الباب الثاني | : في مقدار ما كان يقرأ في الصلوات المفروضة . |
| الباب الثالث | : في ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة . |
| الباب الرابع | : في تنفله بالنهار صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس | : في ما كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة . |
| الباب السادس | : في ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر . |
| الباب السابع | : في صلاته الضحى صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في ذكر صلاته بالليل صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع | : في طول قيامه بالليل . |
| الباب العاشر | : في قيامه طول الليل بآية . |
| الباب الحادي عشر | : في صفة قراءته . |
| الباب الثاني عشر | : في حسن صوته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر الزمان الذي كان يحتم فيه . |
| الباب الرابع عشر | : في دعائه قائماً ، إذا ختم . |
| الباب الخامس عشر | : في ذكر وتره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس عشر | : في ما كان يصنع إذا فاتته ورؤده من القليل . |
| الباب السابع عشر | : في صلاة التراويح وعددها . |
| الباب الثامن عشر | : في قطعه لإياها خوف أن تفرض عليهم . |
| الباب التاسع عشر | : في سجوده الشكر . |

أبواب صومه

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر صومه من الشهر وفطره . |
| الباب الثاني | : في صومه ثلاثة أيام من كل شهر . |
| الباب الثالث | : في صومه الاثنين والخميس . |
| الباب الرابع | : في صومه في شعبان . |
| الباب الخامس | : في مواصلته للصيام . |
| الباب السادس | : في ما كان يفطر عليه . |
| الباب السابع | : في ما كان يقوله إذا أفطر عند قزم . |
| الباب الثامن | : في جده واجتهاده في العشر الأخير من رمضان . |
| الباب التاسع | : في ذكر اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان . |
| الباب العاشر | : في أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج . |
| الباب الحادى عشر | : في حمل الحربة بين يديه يوم العيد . |
| الباب الثانى عشر | : في عدد تكبيراته في صلاة العيد . |
| الباب الثالث عشر | : في مخالفته الطريق يوم العيد . |

أبواب حجه وعمرته

الباب الأول	: في ذكر إحرامه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر تكليته عليه السلام .
الباب الثالث	: في دعائه يوم عرفة عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: في طوافه واستلامه الحجر .
الباب السادس	: في استلامه الركن اليماني .
الباب السابع	: في سمي بين الصفا والمروة .
الباب الثامن	: في رميه الجمرة عليه السلام .
الباب التاسع	: في دخوله الكعبة عليه السلام .
الباب العاشر	: في خطبته في حجة الوداع .
الباب الحادي عشر	: في سياق حجه جملة .
الباب الثاني عشر	: في عدد عمره عليه السلام .

أبواب خوفه وتضرعه وحرته وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته

الباب الأول	: في ذكر خوفه وتضرعه عليه السلام .
الباب الثاني	: في انزعاجه من الغيم والريح .
الباب الثالث	: فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق .
الباب الرابع	: في ذكر حزنه وفكره عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر بكائه عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر ورعه عليه السلام .
الباب السابع	: في قصر أمله عليه السلام .
الباب الثامن	: في استغفاره وتوبته عليه السلام .

أبواب دعائه

الباب الأول	: في بسط يديه عند الدعاء .
الباب الثاني	: في دعائه عند الصباح والمساء .
الباب الثالث	: في دعائه عليه السلام عند الكرب .
الباب الرابع	: في دعائه مطلقا عليه السلام .

أبواب آلات بيته

الباب الأول	: في ذكر سريره صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في ذكر حصيره عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر كرسيه عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر فراشه عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر لحافه عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر وسادته عليه السلام .
الباب السابع	: في ذكر اتكائه على الوسادة .
الباب الثامن	: في ذكر قطيفته عليه السلام .
الباب التاسع	: في ذكر قننته عليه السلام .

أبواب لبسه

الباب الأول	: في ذكر قيصه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر جبهته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر إزاره وكسائه عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر حلته عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر بردته عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر عمامته عليه السلام .
الباب السابع	: في ذكر قلنسوته عليه السلام .
الباب الثامن	: في ذكر ردائه عليه السلام .
الباب التاسع	: في ذكر سراويله عليه السلام .
الباب العاشر	: في لبسه الصوف .
الباب الحادي عشر	: في لبسه ما يتفق من اللباس .
الباب الثاني عشر	: في لبسه الثوب المستجد .
الباب الثالث عشر	: فيما كان يقوله عند اللبس .
الباب الرابع عشر	: في ذكر خفه .
الباب الخامس عشر	: في ذكر نعله عليه السلام .

أبواب ذكر مراكمه

الباب الأول	: فى ذكر خيله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى	: فى ذكر ناقته عليه السلام .
الباب الثالث	: فى ذكر بقلته عليه السلام .
الباب الرابع	: فى ذكر حماره عليه السلام .
الباب الخامس	: فى ذكر سرجه عليه السلام .
الباب السادس	: فيما كان يقوله إذا ركب .

أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام

الباب الأول	: فى ذكر مواليه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر موالياته عليه السلام .
الباب الثالث	: فى ذكر من خدمه من الأحرار صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

: في ذكر خاتمه عليه السلام .	الباب الأول
: في ذكر خضابه صلى الله عليه وسلم .	الباب الثاني
: في استعماله المشط .	الباب الثالث
: في فرق رأسه صلى الله عليه وسلم .	الباب الرابع
: في استعماله الدهن عليه السلام .	الباب الخامس
: في ذكر المرأة .	الباب السادس
: في أخذه من اللحية .	الباب السابع
: في جز شاربه .	الباب الثامن
: في استعماله النورة .	الباب التاسع
: في محبته للطيب وتطيبه .	الباب العاشر

أبواب أكله ومأكولاته

الباب الأول	: في ذكر مائدته وسفرته .
الباب الثاني	: في ذكر قصعته .
الباب الثالث	: في صفة خبزه عليه السلام .
الباب الرابع	: في اختياره البقل .
الباب الخامس	: في ائتمامه بالخل .
الباب السادس	: في أكله القثاء .
الباب السابع	: في أكله الدباء .
الباب الثامن	: في أكله السمن والأقط .
الباب التاسع	: في أكله الحيس .
الباب العاشر	: في أكله الثريد .
الباب الحادى عشر	: في أكله وجمعه بين طعامين .
الباب الثانى عشر	: في أكله اللحم وما يختاره من الأعضاء .
الباب الثالث عشر	: في أكله القديد .
الباب الرابع عشر	: في أكله الشواء .
الباب الخامس عشر	: في أكله لحم الدجاج .
الباب السادس عشر	: في أكله لحم الحبارى .
الباب السابع عشر	: في تركه أكل ما يمافه .
الباب الثامن عشر	: في اجتنابه ما يؤذى ريحه .
الباب التاسع عشر	: في أكله الجار .
الباب العشرون	: في حبه الحلواء والعسل .
الباب الحادى والعشرون	: في أكله التمر .

- الباب الثاني والعشرون : في أكله العنب .
الباب الثالث والعشرون : في أكله الرطب .
الباب الرابع والعشرون : فيما كان يفعل بأول الثمر .
الباب الخامس والعشرون : في أكله الخبيص .
الباب السادس والعشرون : في أكله بثلاث أصابع ولعقها .
الباب السابع والعشرون : في أكله مما يليه .
الباب الثامن والعشرون : في أكله مُقْعِيًّا من الجوع .
الباب التاسع والعشرون : في أنه لم يأكل مَتَكْنًا .
الباب الثلاثون : في أنه لم يذمَّ طعاما .
الباب الحادي والثلاثون : في أنه كان لا يأكل الصدقة .
الباب الثاني والثلاثون : في حذره الله عند فراغه من الطعام وغسل يديه
صلى الله عليه وسلم .

أبواب شربه ومشروباته

الباب الأول	: في أنه كان يُستعذب له الماء .
الباب الثاني	: في اختياره الماء البائت .
الباب الثالث	: في إثارة الماء البارد .
الباب الرابع	: في ذكر الآنية التي كان يشرب منها .
الباب الخامس	: في شربه اللبن صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: في شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ .
الباب السابع	: في شربه السَّويق .
الباب الثامن	: في كيفية شربه عليه السلام .
الباب التاسع	: في تنفسه في الإناء ثلاثاً .
الباب العاشر	: في شربه قائماً وقاعداً .
الباب الحادى عشر	: في شربه وأصحابه إذا مقام .
الباب الثانى عشر	: في مناولته مَنْ عن يمينه .

أبواب نومه

: في مسامرته أزواجه بالليل .	الباب الأول
: في نزوله وصعوده ليلة الجمعة :	الباب الثانى
: في وضوئه قبل النوم .	الباب الثالث
: في اكتحاله عند النوم عليه السلام .	الباب الرابع
: في صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل .	الباب الخامس
: فيما كان يصنع إذا أتى الفراش .	الباب السادس
: في كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم .	الباب السابع
: فيما كان يقوله إذا استيقظ .	الباب الثامن
: في أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه .	الباب التاسع
: في ذكر بعض مناماته صلى الله عليه وسلم .	الباب العاشر

أبواب طبه

: في كثرة أمراضه .	الباب الأول
: في ذكر حجامة .	الباب الثانى
: في تداويه بالحناء عليه السلام .	الباب الثالث

أبواب نكاحه

الباب الأول	: في تحبيب النساء إليه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر أزواجه وعددهن .
الباب الثالث	: في ذكر سراريه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع	: في ذكر قوته على الجماع .
الباب الخامس	: في استتاره وغيض بصره عند الجماع .
الباب السادس	: في ذكر طوافه على نسائه في ساعة .
الباب السابع	: في أنه كان يطوف على نسائه بفعل واحد .
الباب الثامن	: في اغتساله في كل وطء .
الباب التاسع	: في ذكر مداراته لنسائه .
الباب العاشر	: في تأديب أزواجه بالهجر .
الباب الحادى عشر	: في ذكر أولاده وعددهم .

أبواب سفره

الباب الأول	: في ذكر اليوم الذي كان يسافر فيه .
الباب الثاني	: في ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر .
الباب الثالث	: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودّع المسافر .
الباب الرابع	: كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر .
الباب الخامس	: فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلاً .
الباب السادس	: فيما كان يقوله في السفر .
الباب السابع	: في ذكر تنفّله على الراحلة .
الباب الثامن	: فيما كان يقوله إذا رجع من السفر .
الباب التاسع	: فيما كان يصنع إذا قدم من السفر .
الباب العاشر	: في أنه كان لا يطرق أهله ليلاً .

أبواب آلات حربه

الباب الأول	: في ذكر سيفه .
الباب الثاني	: في ذكر درعه .
الباب الثالث	: في ذكر مِغْفَرَه .
الباب الرابع	: في ذكر قوسه .
الباب الخامس	: في ذكر رمحه .
الباب السادس	: في ذكر حربه .
الباب السابع	: في ذكر رايته ولوائه .
الباب الثامن	: في ذكر قضيبه .
الباب التاسع	: في ذكر عصاته صلى الله عليه وسلم .

أبواب غزواته

الباب الأول	: في ذكر ما كان يقوله إذا غزا .
الباب الثاني	: في ذكر غزوة الأبراء .
الباب الثالث	: في ذكر غزوة بواط .
الباب الرابع	: في ذكر غزوة طلب كرز بن جابر .
الباب الخامس	: في ذكر غزاة ذى العشيرة .
الباب السادس	: في ذكر غزاة بدر .
الباب السابع	: في ذكر إلقاء رموس المشركين في القليب .
الباب الثامن	: في ذكر غزاة بنى قينقاع .
الباب التاسع	: في ذكر غزاة السويق .
الباب العاشر	: في ذكر غزاة قرقرة الكدر .
الباب الحادى عشر	: في ذكر غزاة غطفان .
الباب الثانى عشر	: في ذكر غزاة بنى سليم .
الباب الثالث عشر	: في ذكر غزاة أحد .
الباب الرابع عشر	: في ذكر غزاة جهراء الأسد .
الباب الخامس عشر	: في ذكر غزاة بنى النضير .
الباب السادس عشر	: في ذكر غزاة بدر الموعد .
الباب السابع عشر	: في ذكر غزاة ذات الرقاع .
الباب الثامن عشر	: في ذكر غزاة دومة الجندل .
الباب التاسع عشر	: في ذكر غزاة المريسيع .
الباب العشرون	: في ذكر غزاة الخندق .
الباب الحادى والعشرون	: في ذكر غزاة بنى قريظة .

- الباب الثاني والعشرون : في ذكر غزاة بنى لحيان .
الباب الثالث والعشرون : في ذكر غزاة الغابة .
الباب الرابع والعشرون : في ذكر غزاة خيبر .
الباب الخامس والعشرون : في ذكر غزاة الفتح .
الباب السادس والعشرون : في ذكر غزاة حنين وهي غزاة هوازن .
الباب السابع والعشرون : في ذكر غزاة الطائف .
الباب الثامن والعشرون : في ذكر غزاة تبوك .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر شعاره في حروبه .

أبواب سراياه

- | | |
|--------------|---|
| الباب الأول | : في عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا . |
| الباب الثاني | : في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في وصايا السرايا . |
| الباب الرابع | : في إنكاره مالا يصلح من فعل أمير السرايا . |

أبواب مكاتبتة الملوك

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه . |
| الباب الثاني | : في إرساله إلى قيصر . |
| الباب الثالث | : في ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه . |
| الباب الرابع | : في ذكر إرساله إلى النجاشي وكتابه إليه . |
| الباب الخامس | : في ذكر إرساله إلى الحارث بن أبي شمر الفسافي . |
| الباب السادس | : في ذكر إرساله إلى هوذة بن علي الجعفي وكتابه إليه . |
| الباب السابع | : في إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه . |
| الباب الثامن | : في ذكر إرساله إلى ذى الكلاع . |
| الباب التاسع | : في كتابه إلى فروة الجذامي . |
| الباب العاشر | : في ذكر كتابه إلى جيفر وعبد بن الجلفدي . |
| الباب الحادي عشر | : في إرساله إلى المنذر . |
| الباب الثاني عشر | : في ذكر كتابه إلى ملوك حير . |

أبواب ذكر الوفود عليه

الباب الأول	: في ذكر وفد سعد بن بكر .
الباب الثاني	: في ذكر وفد مزينة .
الباب الثالث	: في ذكر وفد فزارة .
الباب الرابع	: في ذكر وفد تجيب .
الباب الخامس	: في ذكر وفد سعد هذيم وهم أهل اليمن .
الباب السادس	: في ذكر وفد محارب .
الباب السابع	: في ذكر وفد بحيلة .
الباب الثامن	: في ذكر وفد نهدي .
الباب التاسع	: في ذكر وفد عامر بن صعصعة .
الباب العاشر	: في ذكر وفد عبد القيس .
الباب الحادي عشر	: في ذكر وفد بني حنيفة .

أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

الباب الأول	: في استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع .
الباب الثاني	: في تأميره أسامة بن زيد .
الباب الثالث	: في مجيء الخبر بظهور مُسلمة .
الباب الرابع	: في ظهور الأسود العنسي .
الباب الخامس	: في ظهور طليحة بن خويلد .

أبواب مرضه ووفاته

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في أنه سُمِّىَ صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثانى | : في تقريب أجله له . |
| الباب الثالث | : في مرضه القرآن على جبريل قبل وفاته . |
| الباب الرابع | : في ذكر ابتداء المرض به . |
| الباب الخامس | : في سؤال أبى بكر أن يمرضه . |
| الباب السادس | : في أنه كان يدور على بيوت أزواجه في مرضه . |
| الباب السابع | : في اشتداد الوجع عليه . |
| الباب الثامن | : في أمره أن يُصَبَّ عليه الماء لتقوى نفسه فيمهد . |
| الباب التاسع | : فيما روى أنه أقصَّ من نفسه . |
| الباب العاشر | : في مدة مرضه وأمره أبى بكر أن يصلى بالناس . |
| الباب الحادى عشر | : في كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر ثم لم يكتب . |
| الباب الثانى عشر | : في إخراجه شيئا من المال كان عنده . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر عتقه عبيده عند الموت . |
| الباب الرابع عشر | : في إعلامه الناس أنه قد خيَّرَ بين البقاء والموت . |
| الباب الخامس عشر | : في إعلامه فاطمة ابنته بموته . |
| الباب السادس عشر | : في تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأله عن حاله . |
| الباب السابع عشر | : في ذكر استعماله السواك قبل موته . |

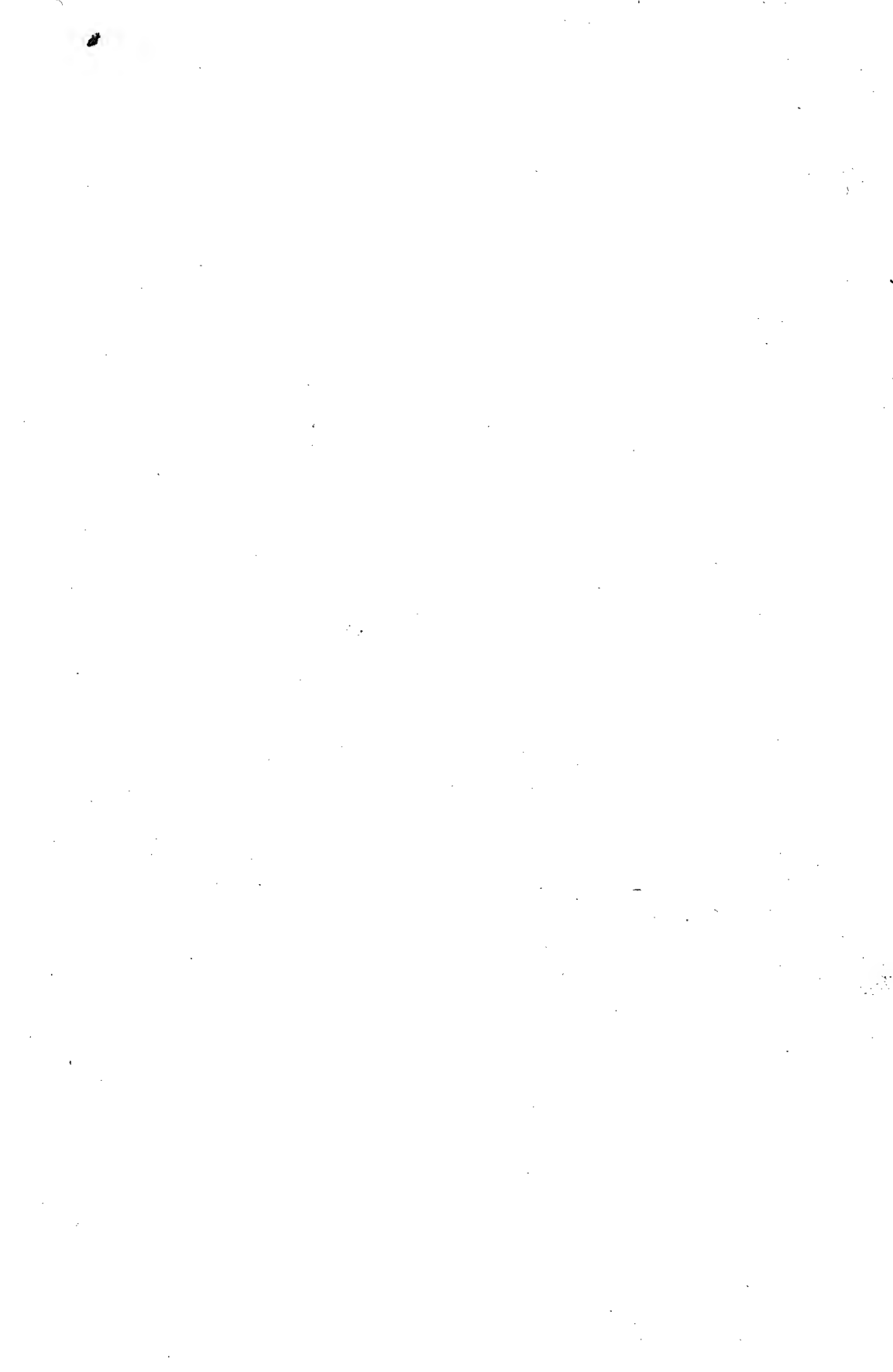
- الباب الثامن عشر : في تحذيره أن يُتخذ قبره مسجداً .
- الباب التاسع عشر : في ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت .
- الباب العشرون : في جمعه أصحابه وإيصائهم .
- الباب الحادى والعشرون : في بيان أنه ما أوصى بشيء من الدنيا .
- الباب الثانى والعشرون : في وصيته بالصلاة عند موته .
- الباب الثالث والعشرون : في صفة خروج روحه الطاهرة .
- الباب الرابع والعشرون : في صفة الثياب التى توفى فيها .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر وقت موته .
- الباب السادس والعشرون : في أن الناس شكُّوا في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر سِنِّه .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما خَلَّفَ وحكمه .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر غسله .
- الباب الثلاثون : في ذكر كفنه .
- الباب الحادى والثلاثون : في ذكر الصلاة عليه صلاة الجنازة .
- الباب الثانى والثلاثون : في ذكر موضع قبره .
- الباب الثالث والثلاثون : في ذكر لحده .
- الباب الرابع والثلاثون : في ذكر وقت دفنه .
- الباب الخامس والثلاثون : في ذكر الذين نزلوا في قبره .
- الباب السادس والثلاثون : في ذكر ما نزل من قبره .
- الباب السابع والثلاثون : في صفة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه .

- الباب الثامن والثلاثون : في فضل زيارة قبره .
- الباب التاسع والثلاثون : في ذكر الاستسقاء بقبره .
- الباب الأربعون : في ذكر نذب فاطمة عليها السلام .
- الباب الحادي والأربعون : في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني والأربعون : في كيفية الصلاة عليه .
- الباب الثالث والأربعون : في ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع والأربعون : في ذكر ما سمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم من المواتف .
- الباب الخامس والأربعون : في أنه لا يبلى .
- الباب السادس والأربعون : في تبليغ الملائكة إليه الصلاة والتسليم .
- الباب السابع والأربعون : في بلوغ سلام أمته إليه ورده على من يسلم عليه .
- الباب الثامن والأربعون : في رؤيته في المنام .
- الباب التاسع والأربعون : في عرض أعمال أمته عليه صلى الله عليه وسلم .

أبواب بعثه وحشره وما يجرى به

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة . |
| الباب الثاني | : في حشر عيسى بن مريم مع نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في كيفية حشره عليه السلام . |
| الباب الرابع | : في ذكر لوائه عليه السلام . |
| الباب الخامس | : في أنه أكثر الأنبياء تبعاً . |
| الباب السادس | : في ذكر حوضه عليه السلام . |
| الباب السابع | : في ذكر شفاعته . |
| الباب الثامن | : في ذكر المقام المحمود . |
| الباب التاسع | : في تخليصه المؤمنين على الصراط . |
| الباب العاشر | : في أنه أول من يدخل الجنة . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر علو منزلته على الخلق في الجنة صلى الله عليه وسلم . |

أَبْوَابُ بَدَايَةِ نَبِيِّنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الباب الأول

في ذكر التنويه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من زمن آدم عليه السلام^(١)

• عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني عند الله لخاتمُ النبيين ، وإن آدم لمنجدلٌ في طينته »^(٢) .

• عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًا ؟
قال : « وآدم بينَ الروح والجسد » .

• عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًا ؟
قال : « لما خلق الله تعالى الأرض ، واستوى إلى السماء فسواهن
سبع سموات وخلق العرش ، كُتِبَ على ساق العرش (محمد رسول الله ،
خاتم الأنبياء) .

وخلق الله تعالى الجنة التي أسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمي
على الأبواب ، والأوراق ، والقباب والخيام ، وآدم بين الروح والجسد .
فلما أحياه الله تعالى ، نظر إلى العرش ، فرأى اسمي .
فأخبره الله تعالى ، أنه سيّد ولدك .

فلما غرّهما الشيطان ، تابا واستشفعا باسمي إليه » .

(١) يراد بهذا إظهار عظمة الرسول وإشهار كرامته عند الله .

(٢) دلائل النبوة ١٧

● عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصاب آدمُ الخطيئة ، رفع رأسه فقال : رب بحقِّ محمد إلا غفرتَ ليته . »

فأوحى الله تعالى إليه : وما محمد ؟ ومن محمد ؟
 فقال : رب ، إنك لما أتممتَ خلقي ، رفعتُ رأسي إلى عرشك ، فإذا عليه مكتوب « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .
 فعلت أنه أكرمُ خلقك عليك ، إذ قرنتَ اسمه مع اسمك .
 قال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك . »

● وقال سعيد بن جبير : اختصم ولد آدم : أي الخلق أكرم على الله تعالى ؟

فقال بعضهم : آدم ، خلقه الله بيده ، وأشجده له ملائكته .
 وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله .
 فذكروا ذلك لآدم ، فقال آدم : لما نُفِخَ في الروح ، لم تبلغ قديمي ، فاستويت جالسا ، فبرق لي العرش ، فنظرت فيه « محمد رسول الله » فذاك أكرمُ الخلق على الله عز وجل .

● عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم : أنا الله ، ذوبكة (١) ، أهلها خيرتي ، وزوارها وفدي ، وفي كنفِي (٢) ، [وفيها بيتي] أعمره بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجا ، شُعفا غُبْرا (٣) ، يَمْجُونَ (٤)

(١) أي : صاحب مكة .

(٢) كنفِي . أي : في حَفْظِي وسِتْرِي . كما يستفاد من القاموس .

(٣) أي منبرة رؤوسهم . (٤) يمجون : أي يرفعون أصواتهم .

بالتسكير عجيباً ، ويزجون بالتلبية^(١) زجيحاً ، ويشجون^(٢) بالبكاء ثجيحاً .
فمن اعتمده لا يريد غيره فقد زارني وضافني ، ووفد إلىّ ونزل بي ،
وحقّ لي أن أتحمفه بكرامتي .

أجعل ذلك البيت ، وذِكْره ، وشرفه ومجده ، وسنائه^(٣) ، لنبيّ
من ولدك يقال له إبراهيم .

أرفع له قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأنبط^(٤) له سقايته ،
وأريه حِلّه وحرّمه ، وأعلّمه مشاعره .

ثم تَعَمَّرْهُ الأمم والقرون حتى ينتهي إلى نبي من ولدك ، يقال له
محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين ، أجمله من سكانه ،
وولاته ، وحجابه ، وسقائه .

فمن سأل عن يومئذ فأنا مع الشُّعَثِ الغُيْرِ ، المُوفِّين بنذرهم ، المقبلين
إلى ربهم .

• عن ابن عباس : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام :
لولا محمد ما خلقت آدم ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » فَسَكَنَ .

(١) يزجون بالتلبية هذا مجاز عن إتيانهم بالتلبية كثيراً كما يفهم من أساس
البلاغة للزحشمري .

(٢) يشجون : أى : يكثرّون من البكاء ، شبه كثرة الدموع السائلة على خدودهم
بانصباب الماء من الأماكن المرتفعة .

(٣) سنائه ، أى : رفته وشرفه كما يستفاد من الصحاح .

(٤) أى أخرج له الماء . والمراد : ماء زمزم .

الباب الثاني

في ذكر الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

• عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم ، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه .
فأتاه بالقميضة البيضاء ، التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصجنت بماء التَّنْزِيمِ ، ثم غسّت في أنهار الجنة ، وطيفَ بها في السموات والأرض .

فعرفت الملائكة محمداً وفضله ، قبل أن تعرف آدم .
ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في غُرّة جبهة آدم .
وقيل له : يا آدم ، هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين .
فلما حملت حواء بـ « شيث » انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت تلد في بطن ولدين إلا شيثاً ، فإنها ولدت وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم (١) .

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر ، إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم في الجنة ؟

(١) ومن أين لكعب هذا العلم الذي يخالف سنة الله في خلقه ، والذي يمارض الواقع ، ولا يؤيده شاهد آخر صحيح ؟ !

قال : « كنت في صلبه ، وأهبط إلى الأرض ، وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار ، في صلب أبي إبراهيم . لم يلتق لي أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تشعب شعيتان إلا كنت في خيرهما . أخذ الله لي بالنبوة ميثاقاً ، وفي التوراة بشرى ، وفي الإنجيل شهر اسمي . تشرق الأرض لوجهي ، والسماء لرؤيتي . »

وقال العباس : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك . فقال له : قل : لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادَ لَا بَشَرَ أَنْ تَ وَلَا مُضَفَّةً وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ الْجَمَ نَسَرًا وَأَهْلَهُ الْفَرْقُ
وَرَدَّتْ نَارَ الْخَلِيلِ مُكْتَتِمًا تَجُولُ فِيهَا وَلَسْتَ تَخْتَرِقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حَتَّى اخْتَوَى بَيْتَكَ الْمُتَمَيِّنُ مِنْ خِنْدِفٍ (١) عَلَيَاءُ تَخْتَمُهَا النُّطْقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وَرَدْتَ (٢) أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ تَخْتَرِقُ (٣)

(١) خندف : اسم امرأة الياس بن مضر واسمها ليلى بنت عمران بن قضاة .
اه من هامش تهذيب الصحاح .

(٢) البدء والتاريخ : لما ولدت .

(٣) من المعجب أن المؤلف نفسه حكم على هذا الحديث بالوضع ، وقال : إنه من وضع القصاص . انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي .

الباب الثالث

في دعاء إبراهيم الخليل باليجاد محمد صلى الله عليه وسلم

• لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال :
رَبَّنَا وَابْتَئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ^(١) .

قال السدي عن أشياخه : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

• عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني عند الله ، لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم
بأول ذلك :

أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ،
وكذلك أمهات النبيين يرين » .

ورواه ليث عن معاوية فقال : وإن أمه رأت — حين وضعته — نورا
أضاءت منه قصور الشام .

(١) البقرة الآية ١٢٩ وبقيتها (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

الباب الرابع

في بيان ذكره في التوراة والانجيل
وذكر أمته ، واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك^(١)

قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ^(٢) » والمراد : أنهم
يجدون نعمته .

« يَاأَمْرُهُم بِالْمَعْرُوفِ » وهو مكارم الأخلاق ، وصلة الأرحام .

« وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » وهو الشرك .

« وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ » وهو ما كانت العرب تستطيحه .

وقيل : هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل ، والبحيرة ،
والسائبة ، والوصيلة ، والحامى .

« وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » وهي ما كانت العرب تستخبثه ،

وما كانوا يستحلون من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .

(١) قال أبو نعيم في دلائل النبوة : « ونموته وصفاته في الكتب المأثورة وعند
الرهابة والاساقفة والاحبار من أهل الكتابين ، مستفيضة .

وكانوا يرجعون في أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن كالضروري ، لتبشير الانبياء
صلوات الله عليهم به وإرساله ، وإيصائهم أمتهم بتصديقه إن أدركته ، وما كان
في أيديهم من الكتب واليهود المتقدمة المتواترة عن آبائهم وأسلافهم » .

(٢) سورة الاعراف ١٥٧

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ » وهى الأثقال التى كانت على بنى إسرائيل ، من تحريم السبت ، والشحوم ، والعروق .

« وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » قال أبو إسحاق الزجاج : ذكر الأغلال تمثيلاً . وكان عليهم أن لا يُقبل فى القتل دية ، وأن لا يعملوا فى السبت ، وأن يُقرضوا ما أصابهم من أموال .

• عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ (١) » الآية . قال : لم يبعث الله تعالى نبياً ، آدم ومن بعده ، إلا أخذ عليه العهد ، فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث وهو حياً ليؤمنن به ، ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه .

• عن قتادة : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ » .

قال : هذا ميثاق أخذ الله تعالى على النبیین ، أن يصدق بعضهم بعضاً .

وأخذ موافق أهل الكتاب فيما بلغتهم رسلهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه .

• عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . قال : أجل . والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٢) » ، وحرزاً للأمينين .

أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب
فى الأسواق ، ولا تجزى بالسينة السيئة ، ولكن تجزى وتعفو .

ولن يقبضه الله ، حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا « لا إله
إلا الله » ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صماً وقلوباً غُلْفاً » .
انفرد بإخراجه البخارى .

• عن عبد الله بن سلام قال : صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى التوراة : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين ،
ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسينة السيئة ،
ولكن يعفو ويصفح ، ولن أتوفاه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به
آذاناً صماً وقلوباً غُلْفاً وأعينا عمياً ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله .
• عن ابن عباس أنه سأل كعباً كيف تجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التوراة ؟

قال : نجده : محمدٌ رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجره إلى طابة (١) ،
ويكون ملكه بالشام .

ليس بفحاش ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافئ بالسينة
السينة ، ولكن يعفو .

وقال كعب : نجده مكتوباً : محمد رسول الله ، لافظ ولا غليظ ،
ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسينة السيئة ، ولكن يعفو ويففر .
وأمتة : الحمادون ، يكبرون الله على كل نجد (٢) ، ويحمدونه
فى كل منزلة .

(١) يعنى : المدينة النورة . (٢) أى مرتفع من الأرض .

يأتزون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، بهم ينادى
في جو السماء .

صَفُّهُمْ في القتال ، وصفهم في الصلاة ، سواء ، لهم بالليل دوى
كدوى النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة .

• عن كعب قال في الشطر الأول : محمد رسول الله ، عبدى المختار ،
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يحزى بالسيئة السيئة ،
ولكن ينفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة ، ومُلكه بالشام .

في الشطر الثانى : محمد رسول الله ، أمته الحمادون ، يحمدون الله
في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل
شرف (١) .

رعاة الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس
كناسة ، ويأتزون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم .
وأصواتهم بالليل [في] جو السماء ، أصوات النحل .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن موسى لما نزلت التوراة وقرأها ، وجد فيها ذكر
هذه الأمة » .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون ،
المشفوع لهم ، فاجعلها أمتى .
قال : تلك أمة محمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة ، هم المستجيون المستجاب لهم ،
فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم ، يقرءونه
ظاهراً ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم
يؤجرون عليها . فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسئته ولم يعملها
لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب إني أجد في الألواح أمة يُؤثنون^(١) العلم الأول والعلم
الآخر ، يقتلون قرن الضلالة ، المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب : فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين .

قال : يا موسى ، إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين^(٢) .

(٢) الأعراف آية ١٤٤ .

(١) أى : يعطيهم الله العلم .

قال : قد رضيت رب (١) .

• وروى أن كعب الأحبار رأى حبرا من اليهود يبكي .

فقال له : ما يبكيك ؟

قال ذكرت بعض الأمر .

فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني ؟

قال : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل ، أن موسى عليه السلام نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتي ؟

قال : تلك أمة أحد .

قال الخبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد في كتاب الله المنزل : أن موسى نظر في التوراة فقال « رب إني أجد أمة هم الحمادون ، رعاة الشمس المحكمون ، إذا أرادوا أمرا قالوا : نفعله إن شاء الله . فاجعلهم أمتي ؟

قال : هم أمة أحد ؟

قال الخبر : نعم .

(١) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة ٣١ وقال عنه : وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لا أعلم أحدا رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، تفرد به الربيع ابن النعمان ، وبغيره من الأحاديث ، عن سهيل ، وفيه لين .

قال : فَأُنشِدُكَ اللَّهَ ، هل تجد في كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد أمة إذا أشرف (١) أحدهم على شرف كبر الله ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، والأرض لهم مسجد ، حيث ما كانوا ، مطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غُرٌّ محجلون من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتي ، قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الجبر : نعم .

قال : أَنُشِدُكَ اللَّهَ ، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ، فقال : رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء ، يرثون الكتاب ، الذين اصطفتيهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد يا موسى .

قال الجبر : نعم .

قال : أَنُشِدُكَ اللَّهَ ، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم ، يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل ، لا يدخل النار منهم أحد ، إلا من برئ من الحسنات ، مثل ما برئ الحجر من الشجر ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الجبر : نعم .

(١) قوله : إذا أشرف أحدهم على شرف الخ يعني إذا صعد مرتفعاً من الأرض .

فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا ، وأمته ، قال : ليتنى
من أصحاب محمد : فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن :

« يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ
مَا آتَيْنُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ (١) » الآية .

وقال تعالى : « وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
يَعْدِلُونَ (٢) » .

فرضى موسى ، كل الرضا .

• عن كعب أنه سمع رجلا يقول : إني رأيت في المنام كأن الناس
جمعوا للحساب ، فدعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبى أمته ، ورأى لكل
نبى نورين ، ولكل من اتبعه نوراً يمشى به .

فدعى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ،
ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما .

فقال كعب ، وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدثك هذا ؟ قال :
أنا ، والله الذى لا إله إلا هو ، رأيتُ هذا المنام .

فقال : بالله الذى لا إله إلا هو ، لقد رأيتَ هذا في منامك ؟
قال : نعم :

قال : والذى نفس كعب بيده ، أو ، والذى نفس محمد صلى الله
عليه وسلم بيده ، إنها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وصفة الأنبياء
وأممها في كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

• وقال ابن أبي نملة : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويُعلمون الولدان بصفته واسمه ، ومُهاجرة (١) المدينة ، فلما ظهر ، حسدوا وبغوا وأنكروا (٢) .

• وقال أبو سعيد الخدري : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوما لأحدث فيهم ، ونحن - يومئذ - في هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودي يقول : أظلل خروجُ نبي يقال له أحمد : يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي ، كالمستهزئ به .

ما صفته ؟

قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلَةَ ، ويركب الحمار ، وهذا البلد مُهاجرة .

قال : فرجعت إلى قومي - بنى خدرة - وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأتيت رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب (٣) تقول هذا .

قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأخذوا جميعاً فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذه مُهاجرة .

قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبي هذا الخبر .

(١) موضع هجرته . (٢) دلائل النبوة ٤٠ .

(٣) يثرب : اسم للمدينة المنورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود ، لأسلت يهود كلها ، إنما هم له تبع .

وقال محمد بن مسلمة : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودى واحد ، يقال له يوشع ، فسمعه يقول وأنا غلام : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت - ثم أشار بيده إلى بيت الله تعالى - فن أدركه فليصدقه .

قُبِث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا ولم يُسلم ، حسداً وبغيا .

● عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذه دار هجرته .

ثم خرج إلى يهود تيماء ، فأخبروه بمثل ذلك .

ثم خرج إلى الشام ، فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن مهاجرة يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا دين على دين الحنيفية .

وأقام مترهباً ، ولبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، حسد وبغى ، وناقق .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، بم بعثت ؟
قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالحنيفية ، دين إبراهيم .
[قال : فأنا عليها .]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها [(١)] .
فقال : أنت تخلطها بغيرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيتُ بها بيضاء نقية ، أين ما كان
يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟
فقال : لست بالذى وصفوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت .
فقال : ما كذبتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكاذبُ أمانة الله وحيداً طريداً .
فقال : آمين .

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه .
وفي رواية أخرى : فلما أسلم أهلُ الطائف ، لحق بالشام فات بها
طريداً وحيداً غريباً .

● وقال ابن عباس : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس
والخزرج ، برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه .

فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه (١) لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذي كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ » (٢) .

يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب .

يعني بذلك : أهل الكتاب .

فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، ورأوه من غيرهم ، كفروا به ، وحسدوه .

عن قتادة « وكانوا يستفتحون على الذين كفروا » قال :

كانت يهود ، تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب ، كانوا يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجدّه في التوراة ، نعذبهم ونقتلهم .

فلما بعث من غيرهم ، كفروا به ، حسداً للعرب .

● وقال المغيرة بن شعبه : إنه دخل على المقوقس ، وإنه قال له :

إن محمداً نبي مُرْسَل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه .

قال المغيرة : فأقت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفتها ، من قبطها ، ورومها ، عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة أبي يحنس^(١) ، كانوا يأتونه بمريضهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً قط يصلى الصلوات الخمس أشدَّ اجتهداً منه . فقلت : أخبرني ، هل بقي أحدٌ من الأنبياء ؟

قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ، ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحدٌ ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأُمِّيُّ العربي ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة .

وليس بالأبيض ولا بالآدم .

يُغْنِي^(٢) شعره ، ويلبس ما غُلِظَ من الثياب ويحتزى^(٣) . بالقليل من

الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يُبَالَى من لاقى ، يباشر القتال بنفسه .

ومعه أصحابه يَفْدُونَهُ بأنفسهم ، هم له أشدُّ حُبًّا من أولادهم وآبائهم .

يُخْرِجُ^(٤) من أرض القَرْظِ^(٥) ومن حرم يأتي إلى حرم .

ويهاجر إلى أرض ذات سبّاخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبه : زِدْنِي فِي صِفَتِهِ .

قال : يَأْتِرُ عَلَى وَسْطِهِ ، وَيَفْسِلُ أَطْرَافَهُ ، وَيُخَصُّ بِمَالٍ يُخَصُّ

بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ .

(١) دلائل النبوة : أبي غني . أو أبي غنيم .

(٢) أى لا يخلق شعره . (٣) أى يكتفى .

(٤) بالأصل محرفة : فخرج . (٥) القَرْظُ : ورق شجر السلم .

كان النبي يبعث إلى قومه ، وبعث (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة .
وجُعِلَتْ له الأرض مسجدًا وطهورًا أيما أدرَكْتَهُ الصلاة تيمم ويصلي .
من كان قبله مشدّد عليه ، لا يُصلون إلّا في الكفائس والبيع .
ثم إن المغيرة جاء فأسلم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع
ذلك ، فأعجبه (١) أن يسمعه أصحابه .

قال : فكنت أحدثهم ذلك ، في اليومين والثلاثة (٢) .

• ورؤي أن ورقة بن نوفل ، وزيد بن سميد خرجا يلتحسان الدين ،
حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت ؟
فقال : من بيت إبراهيم .

قال : وما تلتمس ؟

قال : ألتمس الدين .

قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطالب في أرضك .

فرجع وهو يقول :

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدًا وَرِقًّا .

• عن خليفة بن عبدة المنقري قال : سألت محمد بن عدي : كيف
سمّاك أبوك محمدًا .

قال : أمّا إنى سألتُ أبى عما سألتنى عنه ، فقال :

(١) أى : أحب النبي أن يسمع أصحابه كلام المغيرة .

(٢) كذا في دلائل النبوة . وقد حُرِفَتْ في الأصل : قلت أحدثهم بذلك .

هذا وقد ذكر أبو نعيم هذا الخبر مفصلاً في دلائل النبوة ، واختصره ابن الجوزي .

خرجتُ رابع أربعة من بني تميم ، أنا أحدهم ، وسفيان بن مجاشع
ابن دارم ، ويزيد بن عمرو بن ربيعة ، وأسامة بن مالك بن جندب ،
نريد ابن جفنة الغساني .

فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقُرْبُه ديرٌ ، وفيه
ديراني ، فأشرف علينا وقال : إن هذه اللغة ما هي لأهل هذا البلد .
قلنا : نعم نحن قومٌ من مُضر .

قال : من أيّ المضرين .

قلنا : من خندف .

قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا^(١) نبيٌّ فسارعوا إليه ، وخذوا
يحظكم منه ترشدوا ، فإنه خاتم النبيين ، واسمه محمد .

فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا إلى أهلنا ، ولد لكل رجل
منا غلام ، فسماه محمداً .

● عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان لنا جارٌّ من يهود
في بني عبد الأشهل .

قال : فخرج علينا يوماً من بيته ، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
بيسير ، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ ، أحدث^(٢) من فيه سنّاً ، على بُرْدَةٍ مضطجع
فيها بفناء أهلي .

فذكر البعث والقيامة والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار .

(٢) أي : أصغر .

(١) أي : قريباً .

فقال ذلك لقومٍ أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يروُن أن بعثاً
كائن بعد الموت .

فقالوا : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون
بعد موتهم إلى دارٍ ، فيها جنة ونار ، يحزون فيها بأعمالهم ؟ .

قال : نعم ، والذي يحلف به ، لوَدَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم
تَنُور يُخَمِّونه في الدار ، ثم يدخلونه إياه فيطبّقونه عليه ، وأن ينجو
من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك ! وما آية ذلك ؟

قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده نحو مكة ، واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلى وأنا من أحدثهم سناً ، قال : إن يستنفذ هذا الغلام
عُمره يُدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله
عليه وسلم وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فأَمَنَّا به ، وكفر به حسداً وبغياً .

فقلنا له : ويلك يا فلان ! أَلست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ !

قال : بلى ، وليس به .

• عن ابن مسعود : أن الله تعالى ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ،
وذلك أنه دخل الكنيسة فإذا هو يهود . وإذا يهودى يقرأ عليهم
التوراة .

فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا ، وفي ناحيتها
رجل مريض .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالكم أمسكتم ؟
قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا . حتى جاء المريض
يحبو ، حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم .
قال : هذه صفتيك ، وصفة أمتك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك
رسول الله . ثم مات (١) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ادفنوا أخاكم .
• عن أبي بن كعب قال : لما قدم تُبَّعُ المدينة ونزل بقناة (٢) بعث
إلى أحبار يهود ، فقال : إني تخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع
الأمر إلى دين العرب .

فقال له ساموك اليهودي ، وهو أعلمهم يومئذ :
أيها الملك : إن هذا بلدٌ يكون إليه مهاجرُ نبي من ولد اسماعيل ،
مولده مكة ، اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذي أنت
به ، يكون به من القتل والجراح ، أمرٌ كثير في أصحابه ، وفي عدوهم .

قال تُبَّعُ : ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما يزعمون ؟

قال : يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا .

قال : فأين قبره ؟

قال : بهذا البلد .

قال : فإذا قوتل لمن تكون الدائرة ؟

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، ورواه ابن كثير باختلاف .

(٢) في أعلام النبوة للماوردي : ونزل بسفح أحد .

قال : تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ، ويُقتل به أصحابه قتلا لم يقتلوه في موطن ، ثم تكون له العاقبة ، ثم يظهر ، فلا ينازعه هذا الأمر أحد .

قال : وما صفته ؟

قال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينيه حمرة ، يركب البعير ويلبس السَّملة ، سيفه على عاتقه ، لا يبالي بمن لاقاه ، من أخ ، أو ابن عم ، أو عم حتى يظهر أمره .

قال تبع : مالى إلى هذه البلدة من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدي .

نفجرج تُبَعَّ منصرفا إلى اليمن .

قال عبد الله بن سلام : لم يمت تُبَعَّ حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم إماما كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبعامات مُسَلِّما .

• عن الزبير بن باطا ، وكان أعلم اليهود قال : إني وجدت سِفْرا كان أبى يختمه علىّ ، فيه ذكر أحمد ، نبى يخرج بأرض القرظ ، صفته كذا وكذا .

فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يبعث .
فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السِّفر ففحاه ، وكتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقال : ليس به .

• عن ابن عباس قال : كانت يهود « قريظة » و « النضير » و « فدّك »

و « خير » يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة .

فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة : هذا الكوكب قد طلع .

فلما تنبأ قالوا : تنبأ أحمد ، قد طلع الكوكب .

كانوا يعرفون ذلك ويُقرّون به ويصفونه ، إلا الحسد والبغى !! .

• وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بـ«منى» تجارات ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : انظروا يا معاشر قريش ، أحصوا ما أقول لكم : ولد الليلة ، نبيُّ هذه الأمة « أحمد » ، وبه شامة بين كتفيه ، فيها شعرات .

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه ، فلما صاروا فى منازلهم ، ذكروا ذلك لأهاليهم .

فقيل لبعضهم : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام ، وسماه محمداً .

وأنوا اليهودى فى منزله ، فقالوا : علمنا أنه ولد فىنا مولود .

قال : أبعد خبرى ، أم قبله ؟ قالوا : قبله ، واسمه « أحمد » .

قال : فاذهبوا بنا إليه .

فخرجوا معه حتى دخلوا على أمّنة رضى الله عنها ، فأخرجته إليهم ، فرأى الشامة بظهره ، ففُشِيَ على اليهودى . ثم أفاق . قالوا : مالك وبلك ؟

قال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب ، أنه يقتلهم ، ويُبيد أحبارهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطونَّ بكم سطوة ، يخرج نبؤها من المشرق والمغرب .

• عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس^(١) فقال : أخرجوا إلى أئمتكم . فقالوا : عبد الله بن سوريا .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى ، وظلهم من الغمام ، أتعلم أنى رسول الله ؟

قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبينٌ في التوراة ، ولكن حسدوك . قال : فما يمنعك أنت ؟

قال : أكره خلاف قومي ، عسى أن يتبعوك ويسلموا ، فأسلم . • وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقة التوراة القرآن .

فقالوا : يا عمر ، ما أحدٌ أحب إلينا منك ، لأنك تفشاننا . قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً . فبينما أنا عندهم ذات يوم ، إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذا صاحبك .

(١) بيت المدارس : البيت الذى يدرس فيه اليهود .

فقلت : أنشدكم الله ، وما أنزل عليكم من الكتاب ، أتعلمون أنه رسول الله ؟

قال سيدهم : نشدكم الله فأخبروه .

فقالوا : أنت سيدنا ، فأخبره .

فقال : إنا نعلم أنه رسول الله .

قلت : فما (١) أهلككم ، إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه .

قالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ، وسِلَماً من الملائكة .

عدوُّنا جبريل ، وهو ملك الفِطَاظَةِ والغِلْظَةِ .

وسِلَماًنا ، ميكائيل ، وهو ملك الرَّأْفَةِ واللِّينِ .

قلت : فإني أشهد ، ما يحل لجبريل أن يعادى سِلَماً ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل !

ثم قمت ، فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ألا أقرأتك آيات نزلت علىَّ قبلُ ؟

فتلا : « قُلْ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) » .

فقلت : والذي بعثك بالحق ، ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود ، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني !

قال عمر : فلقد رأيتني في دين الله أصلبَ من الحجر .

(١) الأصل : فإني أهلككم .

(٢) سورة البقرة ٩٧ .

• عن أبي سفيان بن حرب قال : خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت تجاراً إلى الشام ، فكنا كلما نزلنا منزلاً أخرج من رَحْله سِفْراً يقرؤه علينا .

فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى ، فأرأوه وعرفوه ، وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، ثم رجع في وسط النهار ، فطرح ثوبه ، واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان ، هل لك في عالم من علماء النصارى ، إليه تناهى علم الكتب ، تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا .

ففضى هو وحده ، وجاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح .

وأصبح كثيراً حزينا ، ما يكلمنا ولا نكلمه .

فسرنا ليلتين ، على ما به من الهم .

فقلت له : ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك .

قال : لِمُنْقَلَبِي .

قلت : وهل لك من مُنْقَلَب ؟

قال : إى والله ، لأموتن ولأُحَاسِنَنَّ .

قلت : فهل أنت قابلٌ أُمَانِي ؟

قال : عَلَى ماذا ؟ قلت : على أَنَّكَ لَا تُبْعَثُ وَلَا تُحَاسَبُ .

فضحك وقال : بلى والله ، لَنُبْعَثَنَّ وَلَنُحَاسَبَنَّ ، وَلَيَدْخُلَنَّ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

وفريقٌ فِي النَّارِ .

قلت : فني أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟

قال : لا علم لصاحبي بذلك فيّ ، ولا في نفسه .

فكنا في ذلك ليلتنا ، يمجب منا ونضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقنا شهرين .

ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاءنا مع نصف النهار .

فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ، حتى جاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ، ثم رمى بنفسه على فراشه .

فوالله ما نام ولا قام ، فأصبح مبثوثاً حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى ، ثم قال : يا صخر ، حدثني عن عُتبة بن ربيعة : أيجنب المحارم والمظالم ؟

قلت : إى والله .

قال : ويَصِلُ الرحم ويأمر بصلتها ؟

قلت : نعم .

قال : وكريم^(١) الطرفين ، وسط في العشرة ؟ قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قُرْشياً أشرف منه ؟

قلت : لا والله .

قال : أُنْحَوِجُّ هو ؟

قلت : لا ، بل ذو مال كثير .

(١) بالأصل محرفة : ذكرتم الطرفين .

قال : كم أتى له من السنين ؟ قلت : هو ابن سبعين قد قاربها .

قال : فالسن والشرف ، أزرّيا به ؟

قلت : لا والله ، بل زاداه خيراً . قال : هو ذاك .

ثم إن الذي رأيته بي أنى جئت هذا العالم ، فسألته عن الذي يُنتظر .

فقال : هو رجل من العرب ، من أهل بيت تحجّه العرب .

فقلت : فينا بيت تحجّه العرب ؟

قال : هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش .

فأصابني شيء ، ما أصابني مثله ، إذ خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون أنا هو .

قلت : فصّفه لى .

قال : رجل شابّ حين دخل فى الكهولة .

بدّه أمره ، أنه يحتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ، ويأمر بصلتها .

وهو مُحجّج ، كريم الطرفين ، متوسط فى العشيرة ، أكثر جنده

من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟

قال : قد رجفت الشام - منذ رفع عيسى بن مريم - ثمانين رجفة ، كلها

فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة ، فيها مصيبة ، يخرج على أثرها .

فقلت : هذا هو الباطل ، لئن بعث الله رسولا ، لا يأخذه إلا مُسنّنا

شريفا .

قال أمية : والذي يحلف به ، إنه لهكذا .

نفرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان ، أدركتنا راكب
من خلفنا ، فإذا هو يقول : أصابت الشام بعدكم رجفة ، دُمِّر أهلها فيها ،
وأصابتهم مصائب عظيمة .

فقال أمية : كيف ترى يا أبا سفيان ؟

فقلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقا .

وقد معنا مكة ، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة تاجرا ، فمكثت
فيها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فجاء الناس يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهند
تلاعب صبيانها ، فسلم عليّ ورحّب بي ، وسألني عن سقري ومقدمي ،
ثم انطلق . فقلت : والله إن هذا الفتى لمجرب ! ما جاءني أحد من قريش
له معي بضاعة إلا سألتني عنها ، وما بلغت . والله إن له معي لبضاعة ما هو
بأغنام عنها ، ثم ما سألتني عنها .

فقلت : أو ما علمت بشأته ؟

فقلت وفزعني : وما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله !
فذكرت قول النصارى ووجت^(١) .

ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية ، فقلت : هل تذكر حديث

النصارى ؟ قال : نعم .

قلت : قد كان .

قال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فتصّب عرقا ، وقال : إن ظهروا وأنا حيّ لأبليّن الله^(٢) في نصرته ، عذرا .

(١) وجت . أى : سكّت . (٢) لأبليّن الله : أى لأبذلن ما أستطيع في نصرته .

فعدت من الين ، فنزلت على أمية ، فقلت : قد كان من أمر الرجل ما بلغك ، فأين أنت منه ؟

قال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً ! !

• عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا (١) إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لكنا كننا نسمع من يهود .

كننا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور .

فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن ، تتبعه فنقتلكم معه ، قتل عاد وإرم .

فكننا كثيراً ما نسمع ذلك منهم : فلما بعث الله رسوله ، أجنبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به .

فبادرنا إليه ، فأما به وكفروا .

فقينا وفيهم نزلت هذه الآيات : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢) » .

قال عاصم : وقال لي شيخ من بني قريظة : هل تدرن عما كان إسلام ثعلبة وأسد ، ابني سمية ، وأسد بن عبيد ، نفر من بني ذهل ، إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ؟ قلت : لا أدري .

(١) الأصل : عن رجل من قوم قتادة قال : وهو تحريف . والتصويب من ابن هشام . (٢) البقرة ٨٩ .

قال : فإن رجلا من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيثيان ، قدم علينا قبل الإسلام ، فحلّ بين أظهرنا .

فما رأينا رجلا لا يصلى الخمس ، أفضل منه ، وكان إذا قحط المطر ، استسقى لنا ، فَنُسْقَى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر يهود ، ما ترون أخرجنى إلى أرض الجوع والبؤس ؟

قلنا : أنت أعلم .

قال : فإنى قدمت هذه البلدة ، أتوكفُّ خروج نبي قد أظلّ زمانه ، هذه البلدة مهاجرة ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسَبِّقَنَّ إليه .

يا معشر اليهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبّى الذرارى والنساء من خالفه فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبانا أحداثا : يا بنى قريظة ، والله إنه النبي الذى عهد إليكم فيه ابن الهيثيان .

قالوا : ليس به .

قالوا : بلى والله ، إنه لهو . فنزلوا فأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم .

• عن سلمان الفارسي رضى الله عنه أنه صحب الرهبان فى طلب الدين ، إلى أن قال له آخر من صحبه : أى بنى : والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس بمكان تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي

مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين
بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ،
بين كتفيه خاتم النبوة .

• وقال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بُصرى ، فإذا راهب
في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم : هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟
قال طلحة : قلت : نعم ، أنا .
قال لى : ظهر بمكة بعدُ أحد ؟
قلت : ومن أحد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ،
ونُحِرجه من الحرم ، ومهاجرة إلى نخل ، وحرّة ، وسباخ .
قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال الراهب .

فخرجت حتى قدمت مكة ، قلت : هل كان من حديث ؟
قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، تنبأ ، وتابته ابن أبى قُحافة .
فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فأخبرته وقلت له : اتبعت هذا الرجل ؟
قال : نعم ، انطلق فتابعه ، فإنه يدعو إلى الحق . وذهب أبو بكر معه .
قال طلحة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب
وما قال لى .

• عن جُبَيْر بن مُطْعَم : لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ،
فظاهر أمره بمكة خرجتُ إلى الشام .

فلما كنت بِبُصرى ، أتانى جماعة من النصارى ، فقالوا لى :
أَمِنْ أهل الحرم أنت ؟

قلت : نعم .

قالوا : فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟

قلت : نعم .

فأخذوا بيدي ، وأدخلوني ديراً لهم ، فيه تماثيل وصور .

فقالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم ؟

فنظرت ، فلم أرى صورته .

قلت : لا أرى صورته .

فأدخلوني ديراً أكبر من ذاك ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدير .

فقالوا لى : انظر ، هل ترى صورته ؟

فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته .

ولإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته ، آخذٌ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا لى : هل ترى صفته ؟

قلت : نعم .

قلت : لا أخبرهم ، حتى أعرف ما يقولون .

قالوا : هل هو هذا ؟

قلت : نعم .

فأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : اللهم نعم ،
أشهد أنه هو .

قالوا : تعرف هذا الذى آخذ بعقبه ؟

قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده (١) .

• عن جبير بن مطعم قال : كنت أكره أذى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظننت أنهم سيقتلونه ، خرجت حتى لحقت بدير من الديارات ، فذهب أهل الدير إلى رئيسهم فأخبروه ، فقال : أقيموا له حقه الذى ينبغى له ثلاثاً .

فلما مرت ثلاث أحضروه الصورة .

قال : قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة .

قال : فتخاف أن يقتلوه ؟

قلت : أظنهم قد فرغوا منه .

قال : والله لا يقتلونه ، وليقتلن من يريد قتله ، وإنه لنبى ، وليظهرنه الله تعالى .

• عن صفية بنت حيى قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء ، غدا عليه أبى : حيى بن أخطب ، وعى أبو ياسر ابن أخطب مغلسين .

قالت : فلم يرجعا ، حتى كان غروب الشمس .

فأتيا كالبين كسلانين ساقطين ، يمشيان الهوينى .

فَهَشَّتْ إِلَيْهِمَا ، فَمَا التَفَتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْهَمِّ .
فَسَمِعَتْ عُمَى أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي : أَهْوْ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ .
قَالَ : أَتَثَبْتَهُ وَتَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ عِداوَتُهُ وَاللَّهِ ، مَا بَقِيتُ أَبَدًا^(١) .

• وَمِنْ حَدِيثِ مُخَيَّرِيقٍ وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا كَثِيرَ الْمَالِ مِنَ النَّخْلِ ،
وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِفَتِهِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ إِلْفُ دِينِهِ ،
فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ، وَكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ .

فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، وَاللَّهِ إِنْ كُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لِحَقٍّ .

قَالُوا : فَإِنَّ الْيَوْمَ ، يَوْمَ السَّبْتِ .

قَالَ : لَا سَبْتَ .

ثُمَّ أَخَذَ سِلَاحَهُ وَخَرَجَ ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِـ « أُحُدٍ » ،
وَكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَعَهْدَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ : إِنْ قَتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ
فَالِي لِحَمْدٍ ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغْنِي يَقُولُ : مُخَيَّرِيقٌ ،

خَيْرُ يَهُودٍ .

وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَهُ .

فَعَامَّةُ صِدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا .

• عن ابن عباس : أن قريشاً اجتمعوا ، فيهم الوليد بن المغيرة ،
والعاص بن وائل ، وأبو جهل ، وأمية ، وأبي ، ابنا خلف ، والأسود
ابن المطلب ، وسائر قريش .

فبعثوا منهم خمسة رهط ، منهم عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث
إلى المدينة ، يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
صفته ومبعثه .

وقالوا : يزعم أنه نبي ، واتمه محمد ، وهو يتيم فقير .

ولما نزع أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب .

فقالوا : نجد نعمته وصفته في التوراة ، وخاتم النبوة بين كتفيه .

قالوا : إن كان كما وصفتم ، فهو نبي مرسل ، وأمره حق ، فاتبعوه .

ولكن سلوه عن ثلاث خصال ، فإنه يخبركم بمحصلتين ، ولا يخبركم
بالثالثة ، إن كان نبياً .

فإنما قد سألنا مسيلمة عن هؤلاء الثلاث خصال ، فلم يدر ما هي .

وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة .

فرجعت الرسل إلى قريش بالخبر من اليهود .

فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن
خصال ثلاث .

أخبرنا عن ذى القرنين ، وعن الروح ، وعن أصحاب الكهف .

فقال : أخبركم بذلك غداً . ولم يقل إن شاء الله .

فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لترك الاستثناء ، فشق ذلك عليه .

فجاء جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبطأت عليّ فقال : لتركت
الاستثناء : « وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^(١) » .

ثم أخبره بخبر ذى القرنين ، وأصحاب الكهف .

وقال : « الروح من أمر ربى ، لا علم لى به » .

فقالوا : سحران تظاهرا . يعنون التوراة والفرقان .

• عن عمرو بن عبسة : رَغِبْتُ ^(٢) عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت
أنها الباطل ، يعبدون الحجارة ، وهى لا تضر ولا تنفع .

فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال :

يخرج رجل من مكة ، ويرغب عن آلهة قومه ، ويأتى بأفضل الدين ،
فإذا سمعت به ، فَاتَّبِعْهُ .

فلم يكن لى همٌ إلا مكة آتيها ، فأسأل : هل حدث فيها أمر ؟
فيقولون : لا .

فأنصرف إلى أهلى ، وأعرض الركبان ، فأسألم ، فيقولون : لا .

فأتى لقاعد ، إذ مرّ بى راكب قتل : من أين جئت ؟

قال : من مكة .

قلت : هل حدث فيها حدث ؟

قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ، ودعا إلى غيرها .

قلت : هذا صاحبى الذى أريد .

(٢) أى : أعرضت .

(١) سورة الكهف : ٢٣ و ٢٤

فشددت راحلتى وجئت فأسلمت (١) .

• عن ابن عباس قال : إن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم السيد ، والعاقب ، فأنزل الله تعالى فيهم : « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ » (٢) الآية .

قالوا : فَأَخَّرْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

فذهبوا إلى بنى قريظة ، والنضير ، وبنى قينقاع ، فاستشاروهم .
فأشاروا عليهم ، أن يصلحوه ، ولا يلاعنوه ، فهو النبي الذي نجاه في التوراة ، والإنجيل .

فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألف حلة في صَفَر ، وألف حلة في رجب ، ودرهم .

• عن عكرمة أن أناسا من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، فلما بعث ، كفروا به . فذلك قوله تعالى : « وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » (٣) .

• عن سهل مولى عثيمة قال : إنه كان نصرانيا ، وكان يتيما في حجر أبيه وعمه ، وكان يقرأ الإنجيل .

قال : فأخذت مصحفا لعمى ، فقرأته ، حتى مرت بي ورقة ، فأنكرت كثافتها ، فإذا هي ملصقة .

(١) الخبر مفصل في دلائل النبوة ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .

ففتقتها ، فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم : أنه لا قصير ، ولا طويل ، أبيض ، بين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويمتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد .

قال : نجاء عمي ، فرأى الورقة ف ضربني ، وقال : مالك وفتح هذه الورقة ؟

فقلت : فيها نعت النبي أحمد . قال : إنه لم يأت بعد .

• عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال :

كان عند أبي ، أو عند جدى ، ورقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان ، فيها « بسم الله ، وقوله الحق ، وقول الظالمين فى تباب .

هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان ، يأتزرون على أوساطهم ، ويفسلون أطرافهم ، ويخوضون البحار على أعدائهم .

فيهم صلاة ، لو كانت فى قوم نوح ، ما أهلكوا بالطوفان ، أو فى نوح ، ما أهلكوا بالصيحة » .

فأخبرنى أنهم جاءوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوها عليه ، وأخبروه خبرها ، فأمرهم أن يضعوها فى أضعاف المصحف .

• عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فيما أوحى إليه : أن صدق بمحمد ، ومُرْ أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فسكن .

• وقال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى أشعياء (١) : إني مبتعث نبياً أمياً ، أفتح به آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

أجل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والصفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته . وأحمد : اسمه . أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، [وأغنى به بعد العيلة (٢)] وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين قلوب وأهواء متشتتة ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب .

• وقال أشعياء لإيلياء ، وهي قرية بيت المقدس ، واسمها أورشليم : أبشرى أورشليم ، يأتيك الآن راكب الحمار ، يعنى عيسى . ويأتيك بعده راكب البعير ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

• وروى أن رجلاً من أهل الشام من النصارى ، قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم ، وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهن .

فقال : يا نساء قريش (٣) : إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد . فأيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً ، فلتفعل .

(١) ويقال فيه سمياً ، قال في القاموس : وسمياً بن أمصيا نبي من أنبياء بني إسرائيل ، بعث بعد موسى ، بشر بعيسى .

قال ابن عباد : هو آخر نبي من بني إسرائيل . والشين لغة فيه .

(٢) من دلائل النبوة . (٣) محرفة بالأصل وما أثبتته من أعلام النبوة .

ومضى الرجل فحفظت خديجة حديثه .

• ومن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم الموجودة في كتيب الله القديمة قول الله تعالى في السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام :
« قد أجبت دعائك في إسماعيل وباركت عليه ، وكثرت ، وعظمت جدّاً
جدّاً ، وسيلد اثني عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة » .

ثم أخبر موسى بمثل ذلك في السفر وزاد شيئاً .

يقال : فلما (١) خرجت هاجر من سارة ، تراءى لها ملك الله ، وقال :

يا هاجر : أمة سارة ، ارجعي إلى سيدتك ، واخضعي لها ،
فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة ، وها أنت تحبلين
وتلدن ابناً ، وتسمينه إسماعيل ، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك ، وتكون
يده فوق يد الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .

قال ابن قتيبة : فتدبر هذا القول ؛ فإن فيه دليلاً يبيناً على أن المراد به
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق ، ولا كانت يد إسحاق
مبسوطة إليه بالخضوع .

وكيف يكون ذلك والملك والنبوة ، في ولد إسرائيل والعيص ،
وها ابنا إسحاق .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتقلت النبوة إلى
ولد إسماعيل .

(١) بالأصل محرقة : فما .

فدانت له الملوك ، وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شريعة ، وختم به النبيين ، وجعل لهم الخلافة والملك في آخر الزمان .

فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع ، وأيدي الجميع ، بالرغبة إليهم ، مبسوطة بالخضوع .

● ومن أعلامه في التوراة قال : « جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » (١) .

وليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، هكذا هو عند أهل الكتاب ، وعندنا .

وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل . وكان المسيح يسكن ساعير ، بأرض الخليل بقرية تدعى « ناصرة » ، وباسمها ، تسمى من اتبعه : « نصارى » .

وكما وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلامه من جبال فاران ، بإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، في جبال فاران ، وهي جبال مكة .

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب ، خلاف في أن فاران ، هي مكة .

(١) ذكر في البدء والتاريخ بعض هذه الأخبار وغيرها بالعبرية والعربية ، ثم قال :

« وكما في التوراة والإنجيل من الدلائل عليه وعلى أصحابه ، وعلى مهاجرتهم وبواديهم ، حتى ذكروا أصواتهم وقرآنهم وهياتهم في صلاتهم وقتلهم ، ولكن من لم يجعل الله له نورا فلما له من نور » .
انظر البدء والتاريخ ٣٧/٥ — ٣٣ .

فإن ادعوا أنها غير مكة - وليس بنكير من تحريفهم وإفكهم - قلنا :
أليس في التوراة ، إن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟
وقلنا : دلونا على الموضع الذى (١) استعلن الله منه ، واسمه فاران ،
والنبي الذى أنزل (٢) عليه كتاباً بعد المسيح .

أوليس « استعلن » و « علن » بمعنى واحد ، وهما : ظهر وانكشف ؟
فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام ، وفشا في مشارق الأرض
ومغاربها فشوة ؟

• ومن أعلامه في التوراة : قال الله تعالى لموسى في السفر الخامس :
إني أقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي على فمه .
فمن [من] إخوة بنى إسرائيل إلا هو [ابن] إسماعيل ؟ كما تقول :
بكر وتغلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة
بنى بكر .

يرجع في ذلك إلى أخوة الأبوين .

فإن قالوا : هذا النبي الذى وعد الله أن يقيمه لهم هو أيضاً من
بنى إسرائيل ، لأن بنى إسرائيل إخوة بنى إسرائيل ، أكذبهم التوراة ،
وأكذبهم النظر ؟

لأن في التوراة أنه لم يقم في بنى إسرائيل ، مثل موسى .
وأما النظر : فإنه لو أراد أني أقيم لهم نبياً من بنى إسرائيل مثل
موسى ، لقال أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى . ولم يقل من إخوتهم .

(٢) الاصل : أنزلت .

(١) الاصل : التي .

كما لو أن رجلا قال لرسوله : ائتني برجل من بني تغلب بن وائل .
فلا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر .

قال ابن قتيبة : ومن قول حبقون النبيء في زمان دانيال قال
حبقون (١) : جاء الله من التيمن والقديس من جبال فاران (٢) ، فامتلات
الأرض من تميميد أحمد وتقديسه ، وملاك الأرض يمينه ورقاب الأمم .

قال : وقال أيضاً : تضيء لنوره الأرض وتُحْمَل خيلُهُ في البحر .

وزاد في بعض أهل الكتاب : أنه قيل في كلام حبقون : وستُترع
في قسيك إتراعاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ، ارتواءً .
وهذا إفصاح باسمه وصفاته .

فإن ادَّعوا أنه غير نبينا - وليس ذلك بُنكرٍ من جخدم وتحريفهم - :
فمن أحمد الذي امتلات الأرض من تميميده ، والذي جاء من جبال فاران
فلك الأرض ورقاب الأمم ؟

قال ابن قتيبة : ومن ذكر شَعْياله عن الله عز وجل : « عبدى الذى
سُرَّت به نفسى » .

وترجمه آخر ، فقال : عبدى ، خيرتى ، رضا نفسى ، أفيض عليه
روحى .

وترجمه آخر فقال : أنزل عليه وحى فَيُظْهِرُ في الأمم عدلَهُ ، ويوصى
الأمم بالصايات ، لا يضحك ولا يُسْمَع صوته في الأسواق .

(١) للثهور والمفوظ « حبقوق » بالقاف في آخره .

(٢) الذى في ت : جاء الله من القديس والتيمن من جبال فاران .

يفتح العيون العمى ، ويُسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ،
وما أعطيته لا أعطى أحداً غيره .

أحمدُ ، يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتي من أقصى الأرض ، يُفرحُ البريةَ
وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية (١) :

وزاد آخر في الترجمة : لا يَضْمَف ولا يُفَلِّب ، ولا يميل إلى الهوى ،
ولا يُسَمِع في الأسواق صوته .

ولا يُذِلُّ الصالحين الذين هم كالقصبه الضعيفة ، بل يقوَّى الصديقين .

وهو ركنُ المتواضعين ، وهو نور الله الذي لا يُطفَأ ولا ينحصر ، حتى
يُثَبَّت في الأرض حُجَّتِي ، وينقطع به العذر ، وإلى توراتهِ تنقاد الجن .

وهذا إفصاح باسمه وبصفاته .

فإن قالوا : أى توراة له ؟

قلنا : أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم .

• ومنه قول كعب : شكايته المقدس إلى الله تعالى الخراب ،
فقل له :

لأبدلنك توراةً مُحدثةً ، وعَمَّالاً مُحدِّثين ، يزفون (٢) بالليل زفيفَ
النسور ويتحننون عليك كما تتحنن الحمامة على بيضها ، ويملاؤنك خدوداً
سُجَّداً .

(١) أى : مرتفع من الأرض .

(٢) قوله : « يزفون » أى : يسرعون إلى عبادة الله . متجافين مضاجهم ،
صافين أقدامهم ، قياماً في صلاتهم ، باسطين أيديهم على الأرض في سجودهم كما تبسط
النسور أجنحتها .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر « شعيا » له قال : « أنا الله ، عظمتك بالحق ، وجعلتك نور الأمم ، وعهد الصنفون^(١) ؛ لتفتح أعين العميان ، وتُنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور » .

قال : وقال في الفصل الخامس : « إيلياهو^(٢) من سلطانه على كتفه » .
يريد : علامة نبوته على كتفه ، هذا في التفسير السرياني .

فأما في العبراني ؛ فإنه يقول : على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر داود له في الزبور : « سَبِّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا ؛ سَبِّحُوا الَّذِي هَيْكَلُهُ الصَّالِحُونَ ؛ لِيَفْرَحَ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ وَبِبُيُوتِ صِهْيُونَ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَهُ أُمَّتَهُ وَأَعْطَاهُ النِّصْرَ ؛ وَشَدَّدَ الصَّالِحِينَ مِنْهُ بِالْكَرَامَةِ ؛ يَسْبِّحُونَهُ عَلَى مُضَاجِعِهِمْ ؛ وَيَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ مَرْتَفَعَةٍ .

بأيديهم سيوف ذات شفرتين ؛ لِيَنْتَقِمُوا [اللَّهُ] مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَهُ ؛ يُوَقِّتُونَ مَلُوكَهُمْ بِالْقِيُودِ ؛ وَأَشْرَافَهُمْ بِالْأَغْلَالِ » .

قال ابن قتيبة : فَمِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ الَّتِي سَيُوفُهَا ذَاتُ شَفْرَتَيْنِ ؛ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ ؟

وَمِنْ الْمُتَّقِمِ بِهَا مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَهُ ؟ .

وَمِنْ الْمَبْعُوثِ بِالسِّيفِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قال ابن قتيبة : وفي مزمور آخر : « تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ السِّيفَ^(٣) فَإِنْ نَامَوْسُكَ وَشَرَاتُكَ ؛ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ ؛ وَسِهَامُكَ مَسْنُونَةٌ ؛ وَالْأُمَمُ يَمْحَرُّونَ تَحْتِكَ » .

(١) صنفون : العرب . والمباراة محرفة بالأصل : وعهد النسمون .

(٢) الأصل : الياين . وهو تحريف .

(٣) كان السيف في يده رحمة بالجهالين ، وقصاصا من الظالمين .

فَمَنْ مِتْلَهُ السِّيفُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُ نَبِينَا ؟
 وَمَنْ خَرَّتْ الْأُمَمُ تَحْتَهُ ؛ غَيْرُهُ ؟
 وَمَنْ قُرِنَتْ شِرَائِعُهُ بِالْهَيْئَةِ ؛ فَمَا الْقَبُولُ أَوْ الْجَزِيَّةُ أَوْ السِّيفُ ؟
 وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ » .
 قَالَ : وَفِي مَزْمُورٍ آخَرٍ : « إِنْ اللَّهُ أَظْهَرَهُ مِنْ صَيْفُونَ ^(١) إِكْلِيلًا
 مَحْمُودًا » .

ضَرْبُ الْإِكْلِيلِ مِثْلًا لِلرِّيَاسَةِ وَالْإِمَامَةِ .
 وَ « مَحْمُودٌ » هُوَ : مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 قَالَ : وَفِي مَزْمُورٍ آخَرٍ : « إِنَّهُ يَحُوزُ مِنَ الْبَحْرِ [إِلَى النَّهْرِ] ^(٢)
 وَمِنْ لَدُنِ الْأَنْهَارِ [إِلَى الْأَنْهَارِ] ^(٢) إِلَى مَنْقَطَعِ الْأَرْضِ .
 وَأَنَّهُ تَخْرُ أَهْلُ الْجَزَائِرِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُكَبِهِمْ ؛ وَيَلْحَسُ أَعْدَاؤُهُ التُّرَابَ .
 تَأْتِيهِ الْمُلُوكُ بِالْقِرَائِينَ ؛ وَتَسْجُدُ لَهُ ؛ وَتَدِينُ لَهُ الْأُمَمُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْبَادِ .
 لِأَنَّهُ يَخْلُصُ الْمُضْطَهَدَ الْبَائِسَ ^(٣) مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ ؛ وَيَنْقُذُ الضَّعِيفَ
 الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ ؛ وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .
 وَأَنَّهُ يُعْطَى مِنْ ذَهَبِ بِلَادِ سَبَأَ ؛ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ وَيُبَارَكُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ ؛ وَيَدُومُ ذِكْرُهُ إِلَى الْأَبَدِ » .

(١) الْأَصْلُ : صَيْفُونَ . وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ . قَالَ : وَصَيْفُونَ :
 الْمَرْبُ ، وَالْإِكْلِيلُ : النَّبُوَّةُ .
 (٢) مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ .
 (٣) الْأَصْلُ : الْيَابِسُ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذى ملك ما بين البحر والنهر ؛ وما بين
دجلة والفرات إلى منقطع الأرض ؟

ومن ذا الذى يُصَلَّى عليه ويُبارك فى كل وقت من الأنبياء غيره ؟ !

قال : وفى موضع آخر من الزبور ؛ قال داود : اللهم ابث حامل (١)
السنة ؛ حتى يعلم الناس أنه بشر .

وهذا إخبار عن المسيح ؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم قبلهما بأحقاب .

يريد : أبث محمدا حتى يعلم الناس أن المسيح بشر .

يعلم داود أنهم سيدعون للمسيح ما ادعوا .

قال : وفى شعيا : « قيل لى : قم نظارا فانظر ما ترى ؛ فغبر به .

قلت : أرى راكبين مُقبلين ؛ أحدهما على حمار ؛ والآخر على جمل .

يقول أحدهما للآخر : سقطت بابل وأصنامها المنجّرة . »

قال : فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى ؛ هو المسيح .

فإذا كان صاحب الحمار المسيح ؛ فلم لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم
صاحب الجمل ؟ !

أو ليس سقوط بابل والأصنام المنجّرة به وعلى يديه ؛ لا بالمسيح ؟ !

ولم يزل فى إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان ؛ من لدن إبراهيم
عليه السلام .

أو ليس هو بركوب الجمل ؛ أشهر من المسيح بركوب الحمار ؟ !

* * *

قال ابن قتيبة : فأما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل :

قال المسيح للحواريين : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط ؛ روح الحق ؛ الذى لا يتكلم من قبل نفسه ؛ إنما هو كما يقال له ؛ وهو يشهد على وأنتم تشهدون ؛ لأنكم مع من قبل الناس ؛ وكل شيء أعده الله لكم ؛ يخبركم به . »

قال : وفي حكاية يوحنا عن المسيح أنه قال : الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ؛ فإذا جاء ونح العالم على الخطيئة ؛ ولا يقول من تلقاء نفسه ؛ ولكنه مما يسمع به يكلمكم ؛ ويسوسكم بالحق ؛ ويخبركم بالغيوب والحوادث . »

قال : حكاية أخرى : « إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى باسمى ؛ وهو يعلمكم كل شيء . »

وقال : « إني سائل أبى ؛ أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر ؛ يكون معكم إلى الأبد ؛ يعلمكم كل شيء . »

وفي حكاية أخرى : إن البشير ذاهب ؛ والفارقليط من بعده يجيئكم بالأسرار ؛ ويفسر لكم كل شيء ؛ وهو يشهد لي كما شهدت له ؛ فإني أجيئكم بالأمثال ؛ وهو يأتيكم بالتأويل . »

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء - على اختلافها - متقاربة .

وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عِدَّةٌ .

فمن هذا الذى هو روح الحق ؛ لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؛ ومن العاقب للمسيح ؛ والشاهد له بأنه قد بلغ ؟

ومن الذى أخبر بالحوادث فى الأزمنة ؛ مثل خروج الدجال ؛ وظهور الدابة ؛ وطلوع الشمس من مغربها وأشباه هذا ؟

وبالغيوب من أمر القيامة والحساب ؛ والجنة ؛ والنار وأشياء ذلك ؛
مما لم يُذكر في التوراة والإنجيل ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم !

قال ابن قتيبة : وفي إنجيل متى : أنه لما حبس يحيى بن زكريا
لِيُقْتَلَ ؛ بعث تلاميذه إلى المسيح وقال : قولوا له ؛ أنت هو الآتى ؛
أَوْ نَتَوَقَّعُ غيرك ؟

فأجابه المسيح وقال : « الحق اليقين أقول لكم ؛ إنه لم تُقم النساء
عن أفضل من يحيى بن زكريا ؛ وإن التوراة ؛ وكتب الأنبياء ؛ يتلو بعضها
بعضاً بالنبوة والوحي ؛ حتى جاء يحيى .

فأما الآن فإن شئتم فاقتلوا ؛ فإن إيلياهو ، مُزمع أن يأتى .
فمن كانت له أذن سامعة فليسمع . »

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال :
إما أن يكون قال : « إن أحمد مُزمع أن يأتى » فغيروا الاسم ؛
كما قال الله تعالى : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ^(١) » جعلوه إيليا .
وإما أن يكون قال : « إن إيل مزعم أن يأتى و « إيل » هو
الله عز وجل .

ويحيى الله ؛ هو يحيى رسوله بكتابه ؛ كما قال في التوراة : « جاء الله
من سيناء » أراد « جاء موسى من سيناء بكتاب الله » .

ولم يأت كتابٌ بعد المسيح ؛ إلا القرآن .
وإما يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم .

وهذا لا يجوز عندهم ؛ لأنهم مجمعون على أنه لا نبيَّ بعد المسيح .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكر مكة والحرم والبيت ؛ في الكتب المتقدمة :

في كتاب شعيا : « إنه سَمَلًا البادية والمدن ؛ قصورُ آل قيدار ؛
يسَبَّحون ؛ ومن رءوس الجبال ينادون ؛ هم الذين يحملون الله الكرامة ؛
ويُبْثَنون (١) تسبيحه في البر والبحر » .

وقال : « أرفع علماً لجميع الأمم من بعيد فيصفر بهم من أقاصي
الأرض فإذا هم سراع يأتون » .

قال ابن قتيبة : و « بنو قيدار » هم العرب ؛ لأن قيدار هو
ابن إسماعيل بإجماع الناس .

والملم الذي يُرفع ؛ هو النبوة .

والصغير بهم : دعاؤهم من أقاصي الأرض للحج ؛ فإذا هم سراع يأتون .
وهو نحو قول الله تعالى : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » (٢) .

وفي موضع آخر من كتاب شعيا : « سَبَعَتْ من الصَّبا قوما فيأتون
من المشرق مجيبين أفواجا ، كالصعيد كثرة ؛ ومثل الطَّيَّان الذي يدوس
برجليه الطين » .

والصبا يأتي من مطلع الشمس ؛ يبعث الله من هناك قوما من أهل
خراسان وما ضاهاها .

(١) ز : ويثبتون . ومعنى « يثنون » ينشرون ويذيعون .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

فمن الذى هو نازل بمهبِّ الصُّبا ؛ فيأتون مجيين بالتلبية أفواجاً
كالتراب كثرة ؟

وَمَنْ مثل الطيان الذى يدوس برجليه الطين ؟ !

يريد : أن منهم رجالاً كاللِّين .

وقد يجوز أن يكون أراد المزولة ؛ إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال فى ذكر الحجر المستلم : قال شعيا :

« قال الرب السيد : هاأنا ذا مؤسس بصهيون ؛ وهو بيت الله حجراً

فى زاوية مكرّمة » .

والحجر فى زاوية البيت ؛ والكرامة أن يُسْتَلَمَ وَيُلْتَمَ .

وقال شعيا فى ذكر مكة :

« سبرى واهزئى ؛ أيتها العاقر لم تلد ؛ وانطقى بالتسبيح ؛ وافرحى

إذ لم تحبلى ؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله ، أهل بيت المقدس من بنى إسرائيل .

أراد أن أهل مكة يكونون بمن يأتهم من الحجاج والعُمَّار ؛ أكثر

من أهل بيت المقدس .

فشبه مكة بامرأة عاقر لم تلد ؛ لأنه لم يكن فيها قبل رسول الله صلى الله

عليه وسلم ؛ إلا إسماعيل وحده ؛ ولم ينزل بها كتاب .

ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت المقدس ؛ لأنه بيت الأنبياء

ومهيّط الوحى ؛ ولا يشبّه بالعاقر من النساء .

وفى شعيا أيضاً من ذكر مكة :

« قد أقسمتُ بنفسى كتسمى أيام نوح ألا أغرق الأرض بالطوفان ؛

كذلك أقسمتُ أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ؛ فإن الجبال تزول ؛
والقلاع تنحط ؛ ونعمتي عليك لا تزول .

ثم قال : « يا مسكينة يا مضطهدة ؛ ها أنا ذا ؛ بان بالحسن حجارتك ؛
ومزيتك بالجواهر ؛ ومكّلتُ باللؤلؤ سقّفك ؛ وبالزّبرجد أبوابك .

وتبعدين من الظلم ؛ فلا تخافى ؛ ومن الضعف ؛ فلا تضعفى .

وكل سلاح يصنعه صانعٌ ؛ فلا يعمل فيك ؛ وكل لسان وكل لفة تقوم
معلك بالخصوصة ، تغلحين معها .

ثم قال : « ويسمّيكَ الله اسمًا جديدًا » .

يريد : أنه سَمّى المسجد الحرام ؛ وكان قبل ذلك يسمى الكعبة .

« فتقوى فأشرقى ؛ فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك » .

« انظري بعينك حولك ؛ فإنهم مجتعمون ؛ يأتيك بنوك وبناتك
غدواً ، حينئذ تسرّين وتزهرين ؛ ويخاف عدوك ويشبع قلبك ؛ وكل غنم
قيدار مجتمعةٌ إليك ؛ وسادات بناوت يخدمونك » .

وبناوت ؛ هو ابن إسماعيل .

وقيدار هو أبو النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أخو بناوت .

ثم قال : « وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار ؛ لا تغلق ؛ ويتخذونك
قبلةً ؛ وتدعّين بعد ذلك مدينةَ الرّب » .

أى : بيت الله عز وجل .

وفى موضع آخر من شعيا :

« ارفعى بصرك إلى ما حولك تستبهجين وتفرحين ؛ من أجل أنه يصل
إليك ذخائر البحر ؛ ويحج إليك عساكر الأمم ؛ حتى تعمرك قطر الإبل

المؤبلة^(١) ، وتضييق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، وبأتيتك أهل سبأ وتسير إليك بأغنام قيدار ، ويخدمك رجالات بناوت .

يعنى سدنة البيت ، إنما هم^(٢) من ولد بناوت بن إسماعيل .

قال ابن قتيبة : ذكرُ طريق مكة في شعيا :

وفي شعيا عن الله تعالى :

« إني أعطى البادية كرامة لبنان ، وبها الكرمال . »

والكرمال ولبنان : الشام وبيت المقدس .

يريد أجعل الكرامة التي كانت بالوحي هناك ، وظهور الأنبياء ، للبادية ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم :

« وتشق في البادية مياه وسواقٍ في أرض القلاة ، وتكون الفيافي والأماكن العطاش ، يتابع ومياها ، ويصير هناك محجة ، وطريق الحرم لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين . »

وفي كتاب « حزقيل » أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم^(٣) بكرمة عداها فقال :

« ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسفخة ، ورمى بها على الأرض ، وأحرقت السمام^(٤) ثمارها . »

(١) الإبل المؤبلة . أى : للقتية . كافي الصحاح . (٢) ت : أنهم .
(٣) ت : وشبهها . وما هنا أصح . (٤) السمام : الرياح الحارة . ١٠١ . الصحاح .

فعمد ذلك غرس غرس في البدو ، في الأرض المهمة العطشى ، وخرجت
من أغصانها العاضلة ، ناراً أكلت ثمار تلك ، حتى لم توجد فيها عصاً قوية ،
ولا قضيب .

قال ابن قتيبة : ذكر الحرم في كتاب شعيا :

قال : « إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً » .

وكذلك جميع السباع لا تؤذى ولا تفسد في كل حرمة .

ثم ترى تلك الوحوش إذا خرجت من الحرم عاودت الذعر وهربت
من السباع .

وكان السبع في الطلب ، والحرص في الصيد ، كما كان قبل
دخوله الحرم .

قال ابن قتيبة : ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر :

قال شعيا : وذكر قصة العرب يوم بدر : « يدوسون الأمم ، كدياس
البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون » .

ثم قال : « يهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسيّ موتورة ،
من شدة الملحمة » .

قال ابن قتيبة : فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل

الكتاب ، يتلونه ، ولا يحدون ظاهره ، خلا اسم نبينا عليه السلام ،

فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يعبأ^(١) ذلك عنهم ، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم « مشقح » .

ف « مشقح » هو محمد صلى الله عليه وسلم بغير شك .
واعتباره أنهم يقولون « شقحا لإلهنا » إذا أرادوا أن يقولوا « الحمد لله » فإذا كان الحمد شقحا ف « مشقح » محمد صلى الله عليه وسلم .
ولأن الصفات التي أقرؤا بها ، هي وفاقاً لأحواله وزمانه ، ونحرجه ، ومبعثه ، وشريعته .

فليدلونا على من له هذه الصفات ، ومن خرت الأم بين يديه ، وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته .

ومن صاحب الجبل الذي هلك بابل وأصنامها به .
وأي هذه الأمة من ولد قيدار بن إسماعيل ، الذين ينادون من رموس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين بثوا تسبيحه في البر والبحر ؟ !
هيهات أن يمدوا ذلك ، إلا في محمد وأمته .

* * *

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم ، لم يكن فيما أودع في القرآن من ذكر ما في كتبهم دليل .
كقوله تعالى : « الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(٢) » . وقوله : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ^(٣) » .

(١) سياق الكلام يقتضى أن يقال « ولن يعبأ » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ (٣) سورة آل عمران ٧٠ .

وقال : « يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ » (١) .

وقال : « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » (٢) .

فكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم ، بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتى ، أنكم تجدوننى مكتوباً عندكم . وهم لا يجدونه ، وقد كان غنياً أن يدعوهم بما يفهم ؟

ولما تيقن بالحال ، عبد الله بن سلام ومن أسلم ، أسلموا :

* * *

قلت : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته ، ويقرّون به ، ويمدون بظهوره ، ويوصون أهابهم بالإيمان به .

فلما ظهر ، آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحجّى ابن أخطب ، وأبى عامر الراهب ، وأمّية بن أبى الصلت :

وقد أسلم جماعة من علماء متأخرى أهل الكتاب ، وصنفوا كتباً يذكرون فيها صفاته التى فى التوراة والإنجيل .

فالمجبُّ من يتيقن وجود الحق ، ثم يحمّله الحسد على الرضا بالخلود فى النار !!

الباب الخامس

في إعلام كعب بن لؤي بن كعب بن غالب ببعثة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب

• عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسمى الجمعة عروبة ،
فيخطبهم فيقول :

أما بعد ، فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساجٍ (١) ونهار
ضاحٍ (٢) ، والأرض مهادٍ (٣) والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم
أعلام (٤) والأولون كالآخرين ، والأنتى والذكر والزوج وما يهيج ،
إلى بلى (٥) صائرون (٦) .

فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم .
فهل رأيتم من هالك رجع ، أو ميت نُشر ؟

(١) قال في المصباح : سجا الليل يسجو : ستر بظلمته ومنه : سجيت الميت
بالتفيل : إذا غطيته بثوب ونحوه فيكون المعنى « وليل سائر الدنيا بظلمته » وفي
الصحاح . وليلة ساجية وساكنة وساكرة بمعنى واحد ، وفي اللسان « وليلة ساجية »
إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب ، غير مظلمة . وفي التنزيل « والليل إذا
سجا » أي سكن واشتدت ظلمته وغطى السكون بظلامه .

(٢) أي عم الأرض بنوره . (٣) أي فراش للاستقرار عليها .

(٤) أي علامات يهتدون بها في رحلاتهم البرية والبحرية .

(٥) أي إلى فناء .

(٦) في دلائل النبوة : صائرين . والصاراة معرفة بالنسخ .

الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون :

حرّمكم زينّوه وعظموه ، وتمسّكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم : ثم يقول :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلُّ أَوْبٍ بِحَادِثٍ (١) سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
يُؤْوِبَانِ (٢) بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَأْوِبَا وَبِالنَّعَمِ الضَّافِي هَلِينَا سُتُورُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقٌ خَيْرُهَا
ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجلٍ ، لتنصّبتُ (٣)
فيها تنصّبَ الجمل ، ولأرقلتُ (٤) فيها إرقال النحل .

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُ فَحَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا
وكان بين موت كعب بن لؤى ، وبين مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة ، وستون سنة .

(١) قال في القاموس : الأوب : الرجوع . والمراد : كلما تجدد الليل والنهار تتجدد الحوادث .

(٢) يؤوبان الخ . المعنى : الليل والنهار يرجعان إلينا بالحوادث المتجددة ، كلما رجعا .

(٣) لتنصبت إليه . أى : لسرت إليه طول يومى كما يسير الجمل . كما يستفاد من القاموس .

(٤) أرقلت . أى : أسرعت اه قاموس . وفى الصحاح (الإرقال ضرب من الحبيب وهو الإسراع فى المدو) كما يستفاد من القاموس والصحاح .

الباب السادس

في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي
يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم

قال أهل السير^(١) :

رأى نصر بن ربيعة رؤيا هالته^(٢) ، فلم يدع كاهنا ولا منجيا إلا جمعه إليه ، وقال لهم : إني رأيت رؤيا هالتي ، فأخبروني بتأويلها .
فقالوا : اقصصها علينا .

فقال : إنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها .
قالوا : فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سطيح وشقير . وهما اسم كاهنين .

فبعث إليهما ، فقدم سطيح فقال [له] : إني رأيت رؤيا هالتي فإن أصبتها أصبت تأويلها .

فقال : رأيت مُحَمَّةً^(٣) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تَهَمَة^(٤) فأكلت منها كل ذات مُجْجَمَة .

- (١) يتساهل الرواة في قبول هذه الأساطير لما لها من دلالة رمزية .
وإلا فعي من ناحية الوزن العلمي ، مردودة .
(٢) أى : أفزعته .
(٣) الحمة : الفحمة المشتعلة .
(٤) تهمة : منخفضة ، ومنه سميت تهامة .

قال الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيع ، فما عندك فيها ؟
قال : أحلف بما بين الحزرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ،
فأيملكن ما بين أيّين إلى جُرش (١) .

قال له الملك : وأيّك إن هذا لنا لفائظ موجه ، فتى هو ؟
أفى زمانى أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، الحين من ستين إلى سبعين .

قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وتسعين يمضين من السنين ، ثم يخرجون
منها هاريين .

قال : ومن بلى ذلك ؟

قال : إرم ذى وزن (٢) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك ؟

قال : لا بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه .

قال : نبيّ زكى ، يأتيه الوحي من [قِبَل] العلى .

قال : ومن هذا النبي ؟

(١) أيّين وجرش : خلفان من مخاليف اليمن .

(٢) الثمور فيه : سيف بن ذى وزن ، ولكنه عدل إلى إرم ، لتشيبه إرم
عادى عظم الخلق والقوة .

قال : رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون
الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون
ويشقى به المسيئون .

قال : أحق ما تخبرني به ؟

قال : نعم والشفق والفسق والفلق ، إن ما أنبأتك به لحق .

فلما فرغ قدم شقاً فقال له : إني رأيت رؤيا فأخبرني بها . فأخبره
كما قال سطيح ، وأخبره بتقلب الممالك على نحو ما قال سطيح ، إلى أن قال :
ثم يأتي رسولٌ يأتي بالحق والعدل ، يكون الملك في قومه إلى
يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويجمع الناس الميقات .

الباب السابع

في ذكر نسب نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم

هو محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ،
ابن قصي ، بن كلاب ، بن مُرَّة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن فهر ، بن مالك
ابن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدركة ، بن إلياس ، بن مضر ،
ابن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

ولا يختلف النسابون إلى عدنان .

ثم يختلفون فيما بعده ، فبعضهم يقول : عدنان بن أدد ، بن الهميسع ،
ابن حل بن قيثار بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعضهم يقول : عدنان ، من غير ذكر أدد بن أدد .

وفي حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عدنان
ابن أدد بن لؤي بن أعراق الثرى » .

قالت أم سلمة : « زيد » هو الهميسع : ويرى هو نبت . وأعراق الثرى
هو إسماعيل : كذلك حكى الزبير بن بكار :

وحكى أيضاً أن أعراق الثرى إبراهيم ، لأنهم لما رأوه لم يحترق
بالنار . قالوا : ما هو إلا أعراق الثرى .

وهكذا ضبط لنا زيد . وقد حدثنا عن أبي أحد المسكري أنه قال :
إنما هو زيد مثل اسم أبي دلالة .

• عن عروة قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان . . .

وقال ابن أبي خيثمة : ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف
ما وراء معد بن عدنان بثبت .

الباب الثامن

في ذكر طهارة آبائه وشرفهم

• عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد نبياً أفضل من بني هاشم » (١) .

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقراً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جاسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوك مثل نخلة تنبت في كبوة من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلني من خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ، ثم حين

(١) أخرجه البيهقي والطبراني في الأوسط وابن عساكر . وفي الخصائص :

جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » .

• وقال ربعة : إن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك حين يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كِبا » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله خلق خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » .

« الكبا » مقصور . وهو الكناسة . قال الأصمى : فإذا مدَّ فهو البحر . قال شمر : ولم يسمع الكبوة .

الباب التاسع

في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، فنزلت : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١) » أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم .

• وقال الشعبي : أكثر الناس علينا في هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم ، فكتبت إلى ابن عباس .

فكتب ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط النسب في قريش ، لم يكن حيٌّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ، فقال الله تعالى :

« قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » .

أي : تودُّوا قرابتي منكم ، وتحفظوني في ذلك .

عن ابن عباس في قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (١) » .

قال : ليس من العرب قبيلة ، إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، مُضَرِّيَّهَا وَرَبِيعِيَّهَا ، ويمانيها .

الباب العاشر

في قوله عليه السلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

• عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء . »

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله يفتلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصنيَّ مُهْدَبًا ، ولا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما . »

الباب الحادي عشر

في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجود
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد المطلب : بينا أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا هالتي ، ففرغت
منها فرعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش ، وعلى مطرف خزٍ وجهتي (١)
تضرب منكبي .

فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغير ، وأنا يومئذ سيد قومي .
فقلت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رآه من حدثان
الدهر شيء (٢) ؟

فقلت لها : بلى .
وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يدها
على أم رأسه ، ثم يبدو بحاجته ، ولم أفعل ، لأنني كنت كبير قومي .
فجلست فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت ، قد نال
رأسها السماء ، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب .

وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس بتسعين ضعفاً .
ورأيت العرب والعجم ، ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظماً
ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تحفي ، وساعة تزهر .

(١) الجملة : شعر الرأس الكثيف .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم : هل رأيت من حدثان الدهر شيئاً ؟

ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها .

فإذا دنوا منها ، أخرجهم شاب ، لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم .

فرفعت يدي لأتناول منها قسماً فقال لي : لا نصيب لك فيها .

فقلت : ومن له نصيب ؟ فقال : النصيب لها ، وللذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتهيت فزعا مرعوباً .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، وتدين له الناس .

ثم قالت لأبي طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود .

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة - والله أعلم - أبا القاسم الأمين .

فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السُّبَّةُ والعار !

الباب الثاني عشر

في ذكر منام^(١) وآه خالد بن سعيد بن العاص

يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خالد بن سعيد : قال كنت ذات ليلة نائماً قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة ، حتى لا يبصر امرؤ كَفَّه .

فبينما هو كذلك إذ خرج نور [من زمزم^(٢)] ، ثم علا في السماء فأضاء في البيت ، ثم أضاءت مكة كلها .

ثم إلى فخل يثرب فأضاء بها حتى كأنني أنظر البُسر في النخل .

فاستيقظت ، فقصصتها على أخي ، عمرو بن سعيد ، وكان جَزَلَ الرأي .

فقال : يا أخي ، إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب .

ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم .

قال خالد : فإنه لما هداني الله [به] للإسلام .

قالت أم خالد : فأول من أسلم ابني . وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال : « يا خالد ، أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول

الله . » فقصص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده^(٣) .

(١) لا يستغرب أن تكثر الرؤى الصادقة ، بين يدي حدث عظيم كالإسلام . والنفوس المصقولة من أي دين ربما أمكنها أن تستشف القيوب .

(٢) من الخصائص .

(٣) خبر خالد ابن سعيد ، أخرجه ابن سعد ، والبيهقي . والزيادة من الخصائص .

الباب الثالث عشر

في ذكر منام رآه عمرو بن مرة يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في المنام ، وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة ، حتى أضاء لي من الكعبة إلى جبل يثرب وأشعر جهينة (١) .

فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظلماء (٢) وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن (٣) .

فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحى من قریش حدث . وأخبرتهم بما رأيت .

فلما انتهينا إلى بلادنا ، جاءنا الخبر أن رجلاً يقال له أحمد ، قد بُعث .

(١) الأشعر : هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه .

(٢) الأصل : امتنت الظلم وهو تحريف . وما أثبتته من الخصائص ٦٧

(٣) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فخرجت حتى أتيتها ، فأخبرته بما رأيت فقال لي :
 يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوكم إلى الإسلام ،
 وأمرهم بمحقن الدماء ، وصلة الأرحام وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج
 البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً .
 فمن أجاب ، دَخَلَ الجنة ، ومن عصى فله النار ، فأمن بالله يا عمرو
 ابن مرة ، يؤمنك الله من هول جهنم » .
 فقلت : يا رسول الله ، آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام ،
 وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام .
 ثم أنشدته أبياتاً قلتها ، حين سمعت به .
 وكان لنا صنم ، وكان أبي سادنا له ، فقامت إليه فكسرتة ، ثم لحقت
 بالنبي صلى الله عليه وسلم :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَّنِي لِأَلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ
 وَشَمَرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِرَارِ مُهَاجِرًا أَجُوبُ إِلَيْكَ الدَّعْتَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ (١)
 لِأُحِبَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا رَسُولَ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ (٢)
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مرحباً بك يا عمرو بن مرة .

فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ابعت بي إلى قومي ، لعل الله
 عز وجل يمين عليهم بي ، كما من بك علي .

-
- (١) الدعث : الأرض المستوية . والدكادك : أرض فيها غلظ .
 (٢) يريد بقوله هذا ، الله تعالى . الذي فوق السموات . قال في المختار من
 الصحاح « الحباك والحبيكة : الطريقة في الرمل ونحوه ، وجمع الحَبَاكِ حُبُك ،
 وجمع الحبيكة حباكك . وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ) قالوا : طرائق
 النجوم . ا هـ . المراد منه .

فبعثني إليهم وقال : عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تلك فظا ، ولا متكبرا ، ولا حسودا .

فأتيت قومي فقلت : يا بني رفاعه ، بل يا معاشر جهينة ، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وأمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً ، فمن أجاب ، فله الجنة ومن عصي فله النار .

يا معاشر جهينة إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أتم منه ، وبغض إليكم في الجاهلية ، ما حبب إلى غيركم من العرب .
كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، والغزاة في الشهر الحرام .

فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب ، تناولوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، وسارعوا في ذلك ، تكن لكم فضيلة عند الله عز وجل .

فأجابوا إلا رجلا منهم ، فقام فقال :

يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك ! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ، ونفرك جماعتنا ، ونخالف دين آبائنا ، إلى ما يدعو إليه هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا حياء ولا كرامة .

ثم أنشأ الخبيث يقول :

هَذَا ابْنُ مَرْثَةَ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةٌ مِنْ يُرِيدُ صَلَاحًا
إِنِّي لَأَحْسِبُ قَوْلَهُ وَقِفَالَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحًا

أَنْسَقَهُ (١) الْأَشْيَاخَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى مِنْ رَامَ (٢) ذَاكَ فَلَا أَصَابَ فَلَا حَا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب يفتني وبينك ، أمر الله عيشه ، وأبكم لسانه وأكمه أسنانه .

قال عمرو : فوالله ما مات حتى سقط فوه ، فكان لا يجد طعم الطعام ، وعي وخرس .

فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه معه ، حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحب بهم وحيّاهم ، وكتب لهم كتابا هذه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب أمان من الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني : أجهينة بن زيد ، إن لكم بطون الأرض وظهورها ، وتلاع (٣) الأودية وسهولها ، ترعون نباته وتشربون صافيه ، على أن تقرؤوا بالخمس وتصلوا صلاة الخمس ، وفي التبعة (٤) والصريمة (٥) شاتان إذا اجتمعا ،

(١) أى : نيف ونخطيء .

(٢) قوله (من رام) إلى آخر البيت جملة دعائية أى : من أراد تخطئة الآباء والأجداد ، لا وفقه الله لأن يكون من المقالحين .

(٣) قوله « تللاع » قال في المختار من الصحاح مفردة « تلعة » يوزن « القلعة » ما ارتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد عن أبي عبيدة هـ . وفي المصباح التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادى ، والجمع « تللاع » مثل « كلبة » و « كلاب » و « التلعة » أيضا ما انهبط من الأرض . فعى من الأضداد هـ .

(٤) التبعة : ولد البقرة فى السنة الأولى كما يستفاد من القاموس ، والصحاح والمصباح .

(٥) الصريمة تصغير صرمة بالكسر ، وهى القطة من الإبل ، ما بين العشرة إلى الأربعين .

وإن افرقا فشاة شاة ، ليس على أهل البصرة (١) صدقة ، والله يشهد على ما بيننا ،
ومن حضر من المسلمين .

فذلك حين يقول عمرو بن مرة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَبَيَّنَّ بُرْهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرِ
كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ لِمُجْمَعِنَا وَأَخْلَفِنَا (٢) فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
إِلَى خَيْرٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ (٣) الضَّرَائِرِ
أَطَفْنَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ بَطُونُ الْأَعَادَى بِالظُّبَا (٤) وَالْخَوَاصِرِ
فَنَحْنُ قَبِيلٌ قَدْ بَنَى التَّجْدُ حَوْلَنَا إِذَا اجْتَلَبَتْ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ
بَنُو الْحَرْبِ نَقَرِيهَا بِأَيْدٍ طَوِيلَةٍ وَيُيَبِّضُ (٥) تَلَالَا فِي أَكْثِ الْمَغَاوِرِ
تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ يَحْمُونَ سِرْبَهُ (٦) بِسُمرِ الْعَوَالِي (٧) وَالصَّفَاحِ (٨) الْبَوَاتِرِ
إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَدَارَتْ رَحَاهَا بِاللُّيُوثِ الْهَوَاصِرِ (٩)
تَبْلُجُ (١٠) مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهُهُ كَمِثْلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الْهَوَاصِرِ

(١) قوله (ليس على أهل البصرة الخ) يريد أنه لا زكاة على الجمال التي تستعمل
لنقل الطعام من بلد إلى بلد .

(٢) أى : الأجيال الآتية ببلدنا .

(٣) الاعتكاف : الإطلام والاختلاط عوفى : اعتكاف الغرائر .

(٤) أى : بمجد السيوف .

(٥) أى : السيوف اللامعة في أيدي الأبطال .

(٦) سربه : أى : نفسه . (٧) سمر العوالي . أى : الرماح .

(٨) الصفاح البواتر . أى : السيف القاطعة . (٩) أى : الأسود الكاسرة .

(١٠) تبلج : وضع وأشرق . والخبر رواه الطبراني وأبو نعيم .

وذكر ياسر بن سويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه في خيل
أوسرية ، وامرأته حامل ، فولد له مولود ، فحملته أمه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، قد ولدت هذا المولود ، وأبوه
في الخيل .

فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرَّ يده عليه وقال :
اللهم أَكْثِرْ رِجَالَهُمْ ، وَأَقِلِّ نِسَاءَهُمْ ، وَلَا تَحْجِبْهُمْ ، وَلَا تُرْ أَحَدَانَهُمْ
خَصَاصَةً .

ثم قال « سَمِّيه مُسْرَعًا ، فهو إِسْرَاعٌ فِي الْإِسْلَامِ » .

الباب الرابع عشر

في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بني زهرة

عن عبد المطلب : خرجتُ إلى اليمن في « رحلة الشتاء » (١) ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزُّبور ، فقال :

يا عبد المطلب ، أتأذن لي أن أنظر إلى بعض جسدك ؟

قلت : نعم ، ما لم يكن عورة .

فنظر في منخري فقال : أجد في أحد منخريك مُلكاً ، وفي الآخر نبوءة ، فهل لك من شاعة ؟

قلت وما الشاعة ؟

قال : الزوجة .

قلت : أما اليوم فلا .

قال : فإذا قدمت مكة فتزوج .

فقدم عبد المطلب ، فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة . فولدت له حمزة وصفية .

ثم تزوج عبدُ الله بن عبد المطلب ، آمنه بنت وهب ، فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكانت قريش : تقول فلج (٢) عبد الله على أبيه .

وفي رواية أخرى أنه قال : وفي الآخر نبوة ، وإنا نجد ذلك في بني زهرة ، فإذا رجعت فتزوج فيهم .

(١) في دلائل النبوة للبيهقي المخطوط « في رحلتى الإيلاف » وفي الخصائص : « رحلة الشتاء » وهو أصح . ولذلك أئتمتاه في المتن .

(٢) فلج : فاز . والخبر أخرجه الحاكم والبيهقي ، والطبراني ، وأبو نعيم .
(١٠ م — الوفا)

الباب الخامس عشر

في ذكر عبد الله أبي نبينا صلى الله عليه وسلم

كان عبد الله ، وأبو طالب ، والزيير ، لأم واحدة ، واسمها فاطمة بنت عمرو .

وكان عبد المطلب قد رأى في المنام قائلا يقول له : « احفر زمزم » . ونفت له موضعا .

فقام يحفر ، وليس له ولد يومئذ ، إلا الحارث ، فنازعته قريش . فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ، ثم بلغوا أن يمنموه ، لينعروا أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تموا عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، أخبرهم بنذره ، فأطاعوه وكتب كلٌّ منهم اسمه في قدح ، وجمعها ، وأعطاها قيمٌ هَبِل وقال : اضرب بقداح هؤلاء .

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه وأخذ الشفرة ليذبحه . فقامت إليه قريش من أنديةها وقالوا : لا تفعل حتى تُعذر فيه . فانطلق به إلى عرّافة .

فقال له : كم الدية فيكم ؟

قال : عشر من الإبل .

قالت : قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبْلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهِ
وَعَلَى [الْإِبْلِ] الْقِدْحَ (١) .

فَإِنْ خَرَجْتَ عَلَى صَاحِبِكَ ، فَزِيدُوا مِنَ الْإِبْلِ حَتَّى يَرْضَى رِبْكَ .

فَإِذَا خَرَجْتَ عَلَى الْإِبْلِ ، فَقَدْ رَضَى ، وَنَجَا صَاحِبُكَ .

فَقَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ .

فَزَادُوا عَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَيْهِ ، فَزَادُوا ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ ، حَتَّى
جَعَلُوهَا مِائَةً .

فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبْلِ فَتَحَرَّتْ ، ثُمَّ تَرَكْتَ لَا يُصَدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ ،
وَلَا سَبْعٌ .

(١) ابن هشام : ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ .

الباب السادس عشر

في ذكر تروج عبد الله آمنة بنت وهب

لما نحرث الإبل فداء لـ « عبد الله » مرة مع أبيه على أمّ قتال بنت نوفل
ابن أسد بن عبد المطلب ، وهي أخت ورقة .

فقلت : يا عبد الله أين تذهب ؟

قال : مع أبي .

قلت : لك عندي مثل الإبل التي نُحِرْت عنك ، وقعَ عليّ .

قال : إني مع أبي ، لا أستطيع فراقه .

نفرج به عبد المطلب ، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة ،
فزوجّه آمنة ، فدخل عليها ، فوقع عليها مكانه .

فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التي كانت عرّضت عليه نفسها .

قال لها : مالك لا تعرضين عليّ اليوم ، ما كنت عرضت عليّ بالأمس ؟

قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم

حاجة (١) .

(١) أشك كثيراً في صحة هذه الرواية التي لا تشرف أبا النبي صلوات الله عليه
كما يقصد ناقلوها ، وليست النبوة إفراز غدة في الجسم ، بل هي اصطفاء من الله
« الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولم يكن من آباء النبي من يتوق إلى الزنا ، وخاصة
فور زواجه .. !

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر ،
وقرأ الكتب .

وكان فيما أدرك ، أنه كائن في هذه الأمة نبي من ولد إسماعيل .

• عن ابن عباس قال : لما خرج عبد المطلب بـ « عبد الله » ، ليزوجه
مرّة به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر ، من أهل تباله ، قد قرأت الكتب
فرأت على وجهه نوراً ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع على ، وأعطيك
مائة من الإبل ؟ فأنشأ يقول :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ ؟

ثم تركها ومضى .

• عن أبي الفياض قال : مر عبد الله بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة
بنت مر ، وكانت من أجل النساء ، وأشبههن وأعفهن ، وكانت قد قرأت
الكتب ، وكان شبان قریش يتحدّثون إليها .

فرأت نور النبوة في وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى من أنت ؟ فأخبرها .

قالت : فهل لك أن تقع على وأعطيك مائة من الإبل ؟

فنظر إليها وقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَبَيْنَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب ، فكان معها .

ثم ذكر الخشمية وجمالها ، وما عرضت عليه ، فأقبل عليها ، فلم ير منها ،
من الإقبال عليه آخرًا ، كما رآه منها أولاً .

فقال : هل لك فيما قلت ؟

فقلت : « قد كان ذلك مرة ، فاليوم لا » .

فذهبت مثلاً .

وقالت : أى شيء صنعت بعدى ؟

قال : وقعت على زوجتى آمنة بنت وهب .

قالت : إني والله ، لست بصاحبة ربية ، ولكننى رأيت نور النبوة
في وجهك فأردت أن يكون ذلك في وأبى الله أن يجعله إلا حيث جعله .

وبلغ شباب قريش ، ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبيه (١) عنها .

فذكروا ذلك لها ، فأنشأت تقول :

إِنِّي رَأَيْتُ نَجْمِيَّةً (٢) بَلَغَتْ فَمَثَلًا لَأَتِ بِحَنَاتِمِ (٣) الْقَطْرِ
فَلَمَّا نَهَا نُورًا (٤) مُبْضِي لَهُ مَا حَوْلَهُ كَأَضَاءِ الْفَجْرِ
وَرَأَيْتُهُ شَرَفًا أَبْوَدَ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زِنْدِهِ يُورِي

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمْ أَمِيمَةً إِذْ لِلْبَاهِ يَمْتَلِجَانِ

(١) أى : امتناعه . (٢) نجمة . أى : سحابة .

(٣) أى : سحائب . قال في الصحاح : « الحناتم » سحائب سود لأن السواد عندهم خضرة . ومفرد الحناتم « حتم » وهى الجرة الخضراء .

(٤) لماتها : لمحتها . وتروى : فلما بها ، نور . وكذلك : فلماها نور .

كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوهِ (١)
وَمَا كُلُّ مَا يَخْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ (٢)
فَأَجِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ
سَتَكْفِيكَ إِمَّا يَدٌ مُتَقَمِّلَةٌ (٣)
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا قَضَتْ
فَتَائِلَ قَدْ مِثَّتْ لَهُ (٤) بِدِهَانِ
بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي (٥)
سَيَكْفِيكَ جَدَّانِ (٦) يَصْطَرِعَانِ
وَأَمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِبَنَانِ
نَبَا (٧) بَصْرِي عَنْهُ وَكُلُّ (٨) لِسَانِ

(١) أى : بعد خمود لهبه ، والمراد : بعد انطفائه .

(٢) مِثَّتْ : دَهَتْ .

(٣) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : التَّالِدُ ، وَالتَّلَادُ ، وَالْإِتْلَادُ : الْمَالُ الْقَدِيمُ الْأَصْلِيُّ الَّذِي

وَلَدَ عِنْدَكَ ، وَهُوَ تَقْيِيزُ « الطَّارِفِ » .

(٤) أى : لَضَمِّ وَقْتٍ . (٥) جَدَّانِ : حِطَّانِ يَتَنَافَسَانِ .

(٦) الْأَصْلُ مُتَمَلِّقَةٌ وَمَا أُثْبِتَهُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَابْنُ كَثِيرٍ . وَمَعْنَى مُتَقَمِّلَةٌ :

مُتَشَبِّهَةٌ مُنْقَبِضَةٌ .

(٧) قَالَ فِي الْمُخْتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ « نَبَا الشَّيْءِ عَنْهُ : تَبَاعَدَ ، وَنَبَا بَصْرِي عَنْ

الشَّيْءِ أَيْ لَمْ يَدْرِكْهُ ، وَهُوَ تَصْيِيرُ مُجَازِيٍّ كَمَا فِي أُسَاسِ الْبَلَاغَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ إِذَا

لَمْ يَصِلِ السَّيْفُ فِي الضَّرِيَّةِ . (٨) أى : تَعَبَ .

الباب السابع عشر

في ذكر ما جرى لأمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به أمنة بنت وهب كانت تقول :
ما شعرتُ أني حملت به ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت رفع حيضتي .
فأتاني آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟
فكأنني أقول : ما أدري .
فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وذلك يوم الاثنين .
قالت : فكان ذلك مما يقنّ عندي الحمل ، ثم أمهلني .
حتى إذا دنت ولادتي ، أتاني ذلك الآتي فقال :
قولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد .
قالت : كنت أقول ذلك .
فذكرت ذلك لنسائي ، فقلن تعلق حديداً في عضديك وفي عنقك .
قالت : ففعلت ، فلم يكن يترك [عليّ] ^(١) إلا أياماً ، فأجده قد [قطع] ^(١) فكنت لا أتملّقه .
ولقد قالت أمنة : لقد علقت به ، فما وجدت مشقة حتى وضعته .
وأمرت أن تسميه أحمد .

(١) من الخصائص الكبرى للسيوطي .

الباب الثامن عشر

في ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

ولد عبد الله لأربع وعشرين سنة مضت ، من ملك كسرى أنوشروان ،
ثم تزوج آمنه ، فلما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفي .

• عن أيوب بن عبد الرحمن قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى
الشام ، في غير من غيرات قریش ، يحملون تجارت .

ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدُ الله يومئذ مريض ،
فقال : أتخلف عند أخوالي ، بنى عدى بن النجار .

فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة .

فسأله عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله وهو مريض .

فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفي ، ودفن

في دار النابغة ، وهو رجل من بنى عدى بن النجار .

فرجع ، فأخبر عبد المطلب ، فَوَجَدَ (١) عليه وَجْداً شديداً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، حمل يومئذ :

ولعبد الله يومَ توفي خمس وعشرون سنة .

• قال الواقدي : ترك عبد الله « أمّ أيمن » وخمسة أجمال ، وقطعة

غنم ، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• وقد قيل : إن عبد الله توفي بعد ولادة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ولا يصح .

(١) أى : حزن عليه حزناً شديداً .

الباب التاسع عشر

في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول
عام الفيل .

وقيل لليلتين خلّتا منه .

وقيل لاثنتي عشرة ليلة .

وقال ابن عباس : ولد يوم الفيل .

وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد ، ثلاث عشرة ليلة بقيت
من الحرم وكان أول الحرم تلك السنة ، الجمعة ، وذلك لمضي اثنتين وأربعين
سنة من ملك كسرى أنوشروان .

● وقيل : إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار محمد
ابن يوسف الثقفي ، أخى الحجاج .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ،
فلم تزل في يد عقيل حتى توفي ، فباعها ولده ، من محمد بن يوسف ، فبنى داره
التي يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك في الدار حتى أخرجته الخيزران
وجعلته مسجداً يصلى فيه .

● عن أبي قتادة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم
يوم الاثنين . فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل عليّ فيه .

انفرد بإخراجه مسلم .

• قال ابن إسحق : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لافتنى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

• وقد روى عن الزهري أنه قال : ولد بعد الفيل بمشرب سنين ، ولا يصح .

وقال البراء : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاثنين لثمان خلائف من ربيع الأول ، يوم العشر من نيسان .

• وقال حسان بن ثابت : إني لغلّام يَفْعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، إذا يهودى ييثرب يصرخ ذات غداة : يا معشر يهود .

فلما اجتمعوا قالوا : مالك ويلك ؟ !

قال : قد طلع نجم أحمد ، الذى يولد به هذه الليلة .

قال : فأدركه اليهودى ، فلم يؤمن !

• عن حسان أيضاً قال : إني لعلى فارع وهو أطم^(١) ، فى السّحر ، إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفد منه .

فإذا يهودى على أطم من أطام المدينة معه شعلة من نار .

فاجتمع الناس إليه فقالوا : مالك ويلك !

فقال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

فجعل الناس يضحكون منه ، ويمجبون لما يأتى به .

(١) فارع . أطم من أطام المدينة ، ينسب إلى حسان بن ثابت .

الباب العشرون

في قصة الفيل

قال علماء السير : بنى أبرهة كنيسة لم يُرَ مثلها وقال :

لست بمُنْتَهٍ ، حتى أصرف إليها حجاج العرب .

فلما عرفت العرب ذلك ، خرج منهم رجل ، فأحدث فيها .

فغضب أبرهة وحلف ، ليسيرنَّ إلى البيت فيهدمه .

فخرج ومعه الفيل .

فلما انتهى إلى مكة ، نهىها وقال لبعض أصحابه : سَلْ عن سيد أهل

مكة ، وقل له : إنا لم نأتِ لحربكم ، إنما جئنا لهدم هذا البيت .

فدَلَّ على عبد المطلب ، فأخبره ما قال .

فقال : والله ما نريد حربَه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله

الحرام ، وبيت خليله إبراهيم : وإن يمنعه ، فهو بيته . ثم حمل إليه ، فأكرمه

وأجلَّه وقال : حاجتك ؟

قال : أن تردَّ عليَّ مائتي بعير أصبتها لي .

فقال لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم زهدتُ

فيك حين كلمتني ! أتكلمني في مائتي بعير ، وتترك بيتاً هو دينك ودين

آبائك ، قد جئت لهدمه ؟ !

فقال : أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

وخرج عبد المطلب إلى قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في الجبال والشعاب ، تخوفاً عليهم من معرة الجيش .

ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ وَامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ امْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا فِتَاكَ
وقال أيضاً :

لَا تُهْمُ (١) إِنَّ التَّمْرَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ وَجِلَالَهُ (٢) فَأَمْنَعُ جِلَالَكَ
لَا يَفْلِيَنَّ صَالِيَهُمْ وَجِثَالُهُمْ غَدَاً بِحَالِكَ (٣)
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالَكَ (٤)
عَدُّوا (٥) حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ (٦) جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جِلَالَكَ (٧)
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعْبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا قَدْ بَدَا لَكَ

ثم إن أبرهة تهيأ للدخول وهيا الفيل ، فأقبل نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبِ الْخُثَمِيِّ وقال بأذن الفيل : ابرك محمود ، وارجع من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام . فبرك .

(١) لفة في « اللهم » .

(٢) الخلال : جمع حلة ، وهي الطائفة من البيوت وتطلق على اللتاع .

(٣) المجال : القوة والشدة . وغدوا : غدا . وهو اليوم الذي يمد يومك ، وقد استعمل هنا تاماً ، ولا يستعمل كذلك إلا في الشعر . وروى : عدوا ، بالعين المهملة .

(٤) أى : أهل بيتك وهو الكعبة .

(٥) أى : قصدوا بيتك . (٦) أى : سميم ومكرهم الذى دبروه .

(٧) وما رقبوا جلالك . أى : لم يراقبوا في قلوبهم عظمتك .

ومضى نُفَيْلٌ يَشْتَدُّ فِي الْجَبَلِ ، فَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى ، فَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمِنِّ فَهَرُولٌ : وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى طَيْرًا أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ ، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا ، حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ ، أَمْثَالَ الْحَصْبِ وَالْعَدَسِ ، لَا يَصِيبُ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ .

فَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَذِرُونَ الطَّرِيقَ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ . فَهَلَكُوا فِي كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ .

وَأَصِيبُ أِبْرَهَةَ بَدَأَ فِي جَسَدِهِ ، فَسَقَطَتْ أَنْفَالُهُ فَقَدَمُوا [بِهِ] صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ .

وَوُلِدَ فِي هَذَا الْعَامِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ عَامَ الْفِيلِ ، وَقَدْ عَيَّنَ ذَلِكَ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَّى وَحُسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ عَاشُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ سِتِينَ سَنَةً ، وَفِي الْإِسْلَامِ سِتِينَ سَنَةً وَقَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي ذَلِكَ عَنْ عِيَانِ الْأَمْرِ وَمَشَاهِدَتِهِ .

مِنْهُمْ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَهُوَ جَاهِلِيٌّ وَكَانَتِ الْحَبِشَةُ أَخَذَتْهُ ، لِيُدْهَلَا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ بِحِمْلَةٍ فَقَالَ :

أَلَا رُدِّي زَكَاةً بَيْنَنَا رُدَيْنَا (١) نَعْمُنَاكُمْ عَلَى الْهِجْرَانِ عَيْنَنَا

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرَيْهِ (٢) لَدَى جَنْبِ الْحَصْبِ (٣) مَا رَأَيْنَا

(١) ابْنُ هِشَامٍ وَالْمُرَاجِعُ : أَلَا حَيْثُ عَنَا يَارْدِينَا .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : وَلَا تَرَيْهِ .

(٣) قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ : الْحَصْبُ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ «مَنْى» وَيُسَمَّى الْبَطْحَاءُ .

حَدَّثَ اللَّهُ إِذْ عَابَتْ طَيْرًا وَخِفَتْ حِجَارَةً تُتْلَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهُمْ يُسْأَلُ (١) عَنْ نُفِيلٍ كَأَنَّ عَلَى الْحُبْشَانِ دِينًا
وقال أمية بن أبي الصلت :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ مَا يُمَارَى (٢) فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَقْمَسِ (٣) حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو (٤) كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

• قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة ،
أعميين مُقْعَدِينَ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ .

قال ابن قتيبة : وفي أمر الفيل ، أنه يئنة على الإله المسخر للطير ، وإنما
فعل ذلك لنصرة من ارتضاه ، وهلكة من سخط عليه ، لا لنصرة
قريش ، فإنهم كانوا كفارا ، لا كتاب لهم ، والحبشة لهم كتاب .
فلا يخفى أن المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه الداعي
إلى التوحيد .

• عن عائشة أيضاً أنها قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة
أعميين مقْعَدِينَ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ .

(١) ابن هشام والمراجع : وكل القوم يسأل عن نفيل .

(٢) أى : ما يجادل .

(٣) قال فى القاموس : « والمقمس » كـ « معظم » و « محدث » موضع
بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم .

(٤) قوله : ظل يحبو الخ . أى استمر يزحف كالطمون وهو يمالج الموت .

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر ما جرى عند وضع آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

• قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .

• وقالت آمنة أيضاً - لما ضربها المخاض - قالت : فجعلت أنظر إلى النجوم تدلّى ، حتى قلت لَتَمَعَنَّ عَلَى .

فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا ترى إلا نوراً .

وقالت الشفاء ، أم عبد الرحمن : لما ولدت آمنةُ محمداً صلى الله عليه وسلم ووقع على يدي ، استهلّ صارخاً فسمعت قائلاً يقول : رحمك ربك .

قالت الشفاء : فأضاء لى ما بين المشرق والمغرب ، حتى نظرت إلى بعض قصور الشام .

قالت : ثم اضطجعت فلم أنشب^(١) أن غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يمينى .

فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبتُ به إلى المغرب .

ثم عاودنى الرعب والظلمة والقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يسارى .

(١) أنشب: ألبث .

فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبت به إلى المشرق ، ولن يعود أبداً .

فلم يزل الحديث منى على بال ، حتى ابتعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فكنيت في أول الناس إسلاماً .

وقالت آمنه : ولدته جائئاً على ركبتيه ، ينظر إلى السماء .

ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً ، وولد وقد قطعت سُرته . وكنت وضعت عليه إناءً ، فوجدت الإناء قد انفلق عنه ، وهو يعمص إبهامه ، يشخب لبناً .

• وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح قال : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : ولد الليلة نبي العرب ، له شامة بين منكبيه سوداء ظفراء ، فيها شعرات .

فرجع القوم فسألوا أهلهم ، هل ولد لعبد المطلب الليلة ولد ؟ قالوا : نعم .

فأخبروا اليهودي فقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل .

• عن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأت أمي كأنه خرج منها نور ، وأضاءت منه قصور الشام . »

• عن عكرمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعتته تحت برمة فاخلفت عنه .

قالت فنظرت إليه ، فإذا هو قد شقَّ بصره ، ينظر إلى السماء .

• وعن عمة وهب بن زَمْعَةَ قالت : لما ولدت أَمَنَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى عبد المطلب .

فجاءه البشير وهو جالس في الحِجْرِ معه ولده ، ورجال من قومه .

فأخبروه أن أَمَنَةَ ولدت غلاماً ، فسُرَّ بذلك عبد المطلب .

وقام هو ومن كان معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها ، وما أمرت به .

فأخذ عبد المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله تعالى ، ويشكر ما أعطاه .

قال ابن واقد : فَأُخْبِرْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ يَوْمَئِذٍ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأَزْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي التَّنْهَدِ عَلَى الْغِلْمَانِ أُعِيدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَزْكَانِ
حَتَّى أَرَاهُ بِالْبَيْتِ الْبُنْيَانِ أُعِيدُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَتَانٍ (١)
مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرَبٍ أَلْعِيَانِ

• وقال العباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً .

فأعجب جده عبد المطلب وقال : ليكون لابني شأن . وكان له شأن .

• عن عبد الرحمن بن عوف قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتفت الجن على أبي قُبَيْسٍ عَلَى الْحُجُونِ ، الذي بأصله المقبرة ، وكانت قریش تبلى فيه ثيابها فقال :

فَأَقْسِمُ مَا أَنْتِ مِنَ النَّاسِ أَنْجَبْتِ وَلَا وَلَدَتْ أَنْتِ مِنَ النَّاسِ وَلَا

(١) ذى شَتَانٍ ، أى : ذى عداوة .

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ نَجِيَّةٌ مِنْ لُؤْمِ التَّبَائِلِ مَاجِدَةٌ
وَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحَدًا فَأَكْرَمَ مَوْلُودًا وَأَكْرَمَ وَالِدًا

وقال الذي على أبي قيس :

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ (١) لَا تَغْلُطُوا وَمَيِّزُوا الْأَمْرَ بِفِعْلِ مَضَى
إِنَّ بَنِي زُهْرَةَ مِنْ سِرِّكُمْ (٢) فِي غَابِرِ (٣) الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْبِدَى
وَاحِدَةٌ مِنْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا فِيمَنْ مَضَى فِي النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِيَ
وَاحِدَةٌ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا جَنِينُهَا مِثْلَ النَّبِيِّ النَّحْيِ

(١) موضع بمكة على طريق منى .

(٢) قوله « من سرکم » تعبير مجازي ، والمراد : من الاشراف نسباً .
قال في أساس البلاغة « أعطيتك سره : خالصه وهو في سر النسب ؛ محضه » .

(٣) قوله : في غابر : أى في الماضي . وقد يطلق على المستقبل فهو من الاضداد .

الباب الثاني والعشرون

في ولادته مسرورا غتونا

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتي ،
أنى ولدتُ مختوناً ، ولم يرَ أحدٌ سِوَأَتِي » .

فإن قيل : فلمَ لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان ، حتى شقَّ صدره
وأخرج قلبه ؟

قال ابن عَقِيل : لأن الله سبحانه أخفى أذون التطهيرين الذي جرت
العادة أن تفعله القابلة والطبيب ، وأظهر أشرفهما وهو القلب ، فأظهر آثار
التجمل والعناية بالعصمة في طرقات الوحي .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته

عن مخزوم بن هانيء عن أبيه ، وأتت له خمسون ومائة سنة ، قال :
لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس (١)
إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفَة (٢) وغاضت بحيرة ساوة (٣) ،
وخذت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى الموبدان (٤) إبلاً صعباً
تقود خيلاً عراباً (٥) قد قطعت رجلة وانتشرت في بلادها .
فلما أصبح كسرى أفرغه ما رأى (٦) فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن
لا يكتم ذلك وزراءه ومرازبته .

فلبس تاجه وقعد على سريرته وجمعهم إليه ، فلما اجتمعوا عنده قال :
أندرون فيم بعثت إليكم ؟
قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك .

فبيناهم كذلك ، ورد عليهم كتاب بمخمود النيران ، فازداد غمّاً إلى غمه
فقال الموبدان : وأنا ، أصلح الله الملك ، قد رأيت في هذه الليلة [رؤيا]
وقص عليه الرؤيا في الإبل .

فقال : أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟

(١) قال في الصحاح رجست السماء ترجس إذا رعدت وغمضت وارتجست
مثله اه ، وفي الأساس رجست السماء رجساً وارتجست : قصفت بالبرعد اه والمراد هنا
ارتج إيوان كسرى .

(٢) قوله : شُرْفَة ، أي : سقطت من أعلى الإيوان أربع عشرة شُرْفَة .

(٣) غاضت : أي : ذهب ماؤها في الأرض .

(٤) الموبدان : قاض قضاة المجوس .

(٥) الخيل العراب : الخيل الأصلية المعدة للسباق والحروب : وهي

خلاف البراذين . (٦) في الاكتفاء : أفرغه ذلك .

قال : حادث يكون من عند العرب (١) .
فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك ، إلى النعمان بن المنذر
أما بعد ، فوجه إلى رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه .
فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بَقِيلَةَ الفسائي .
فلما قدم عليه قال له : هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟
قال : لِيُخْبِرْنِي الملك [عما أحب] فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته
بمن يعلمه .

فأخبره بما رأى فقال : علم ذلك عند خال لي ، يسكن مشارف الشام
يقال له سطيح :

قال فَأَتَيْهِ فَاسْأَلْهُ عما سألتك عنه ، واثنتي بجوابه .
فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى (٢) على اللوت ،
فسلم عليه وحيّاه فلم يَحْزِرْ (٣) جواباً .
فأنشأ عبد المسيح يقول :

أَصْمٌ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ (٤) أَلْيَعَنُ أَمْ فَادَ فَازَ لَمْ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنِ (٥)

(١) في الاكتفاء : حدث يكون من ناحية العرب . والزيادات في الاكتفاء .

(٢) أى : قرب من الموت . (٣) أى : لم يجبه على تحيته .

(٤) الفطريف : السيد الشريف ، والسخى السرى اه قاموس .

(٥) فاد : مات قال :

رَعَى خَرَزَاتِ الْمَلِكِ عِشْرِينَ حِجَّةً وَعِشْرِينَ حَتَّى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ

وازلم : ذهب مسرعاً . والأصل فيه : ازلام فمحذفت الهمزة تخفيفاً ؛ وقيل أصلها

ازلام ، كاشهاب ، فمحذفت الهمزة تخفيفاً أيضاً . وشأو العنن : اعتراض الموت على

الخلق . وقيل : ازلم : قبض ، والعنن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه .

وقد تمحفت الرواية في النهاية . أن فار . انظر النهاية ١٣٩/٢

يَا فَاصِلَ (١) الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَّسٍ أُبَيْضَ فَضْمَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنَ
رَسُولُ قَبِيلِ الْعُجْمِ يَسْرِي (٢) لِلْوَسَنِ لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَبِّبَ الزَّمَنِ
تَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَمَلْنَدَاةُ شَمَزَنْ تَرْفَعُنِي وَجَنَّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ (٣)
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنَ تَلْفَهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاةُ الدَّمَنِ (٤)

فلما سمع سطيح شعره ، رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جلل مشيح ،
أتى إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس
الإيوان ، وغمود النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً
عزاًباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها .

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحبُ المِراوة ، وفاض
وادی السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليست الشام

- (١) الأصل : يا فارس الخطبة . وما أثبتته رواية اللسان . و « الاكتفا » .
(٢) في الاكتفاء : ينمى للوسن . وما بين القوسين ساقط من الأصل .
(٣) المَلْنَدَاةُ : القوة من النوق . والشَزَنْ : التي تمشي من نشاطها على جانب ،
شَزَنْ فَلَان : إذا نشط ، وقيل : الشَزَنْ المعني من الحفاء . والوجن بفتح فسكون ،
وبفتحتين : الأرض الناعية الصلبة ، ويروى بالضم جمع وجين .
(٤) الْجَاجِي : جمع جَوْجُو ، وهو عظام الصدر . والقَطَنُ بفتح الطاء أسفل
الظهر . وقيل الصواب : القطن بكسر الطاء جمع قَطَنَة ، وهي ما بين الفخذين .
والبوغاء : اتراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه أى تجمع وتسكر . ويشهد له
الرواية الأخرى : تلفه الريح ببوغاء الدمن . النهاية .

وقد وردت هذه القصة في ابن كثير ٢/٢٦٩ . ولسان العرب ٣/٣١٢ ،
والاكتفاء للكلاعي ١/١٢٠ — ١٢٢ (بتحقيق) . باختلاف وزيادة ونقص .
قال الترمذی : وهو حديث حسن غريب .

لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت .

ثم قضى سطيح مكانه .

فثار عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمَزْ فَإِنَّكَ مَاضِي الَّتِي شَمِيرُ لَا يُفْزِعُكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يُنْسِ مَلِكُ بَنِي شَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرَبَّمَا رَبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةِ تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرِيحِ مَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ قَمَنَ عَلَيْهِمُ أَنْ قَدْ أَقْلَ قَمَحُورُ وَمَهْجُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعُ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

فلما قدم عبد المسيح على كسرى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ، قد كانت أمور .

فلك منهم عشرة ، أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

وكان سطيح لهما على وضم ، لم يكن فيه عظم ولا عصب ، إلا الجمجمة والكفين ، ويطوى من ترقوته إلى رجليه ، كما يطوى الثوب ، ولم يكن منه شيء يتحرك إلا لسانه ، وكان يحمل على وضمة .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر أمهات الحوادث في سنيه صلى الله عليه وسلم

• كان من أعظم الحوادث في السنة الأولى من مولده ، انشقاقُ الإيوان ، وقصة الفيل ، ويوم جبلة .

قال أبو عبيدة : أعظمُ آيات العرب يوم جبلة ، وكان عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لعامرٍ وعَبْسٍ ، على ذبيان وتميم .
وقد قال الرّضّى :

فَإِنْ إِبَاءَ الْأَذَى خَلَّتْ جَاجِهَا عَلَى مَنَاصِلِهَا عَبْسٌ وَذِبْيَانُ

• وفي سنة سبع من مولده ، أصابه رمد شديد ، فعولج بمكة ، فلم تغن عنه .

فقيل لعبد المطلب : إن في ناحية عكاظ راهباً يعالج العين .

فركب إليه فناداه ، وديره مفلق ، فلم يجبه ، فتزلزل به ديره ، حتى خاف أن يسقط عليه ، فخرج مبادراً .

فقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ، ولو لم أخرج إليك نَحْرَ^(١) عَلَى دَيْرِي ، فارجع به ، واحفظه ، لا يفتاله بعضُ أهل الكتاب .

(١) أى : لسقط وتهدم الدير على .

ثم عالجها ، وأعطاه ما يعالج به .

وَأَتَى اللَّهُ لَهُ الْحَبَّةَ فِي قُلُوبِ قَوْمِهِ ، وَكُلِّ مِنْ يَرَاهُ .

• وفي سنة ثمان من مولده مات عبد المطلب وكفله أبو طالب ، ومات كسرى أنوشروان وَوَلَّى ابْنَهُ هُرْمِزَ .

• وفي سنة عَشْرٍ من مولده صلى الله عليه وسلم كان الْفَجَارُ الْأَوَّلُ (١) .

فلما أَتَتْ لَهُ بَضْعُ عَشْرَةِ سَنَةٍ خَرَجَ فِي سَفَرٍ مَعَ عَمِّهِ الزُّبَيْرِ ، فَهَرَّوْا بِوَادٍ فِيهِ فَحُلٌّ مِنَ الْإِبِلِ يَمْنَعُ مِنْ يَجْتِازُ ، فَأَرَادُوا الْانْحِرَافَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا أَكْفِيكُمْ ، فَدَخَلَ أَمَامَ الرِّكْبِ ، فَلَمَّا رَأَى الْبَعِيرَ بِرُكٍّ وَحَلَ الْأَرْضَ بِكُلِّ كَلْتَةٍ ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَرَكِبَهُ فَسَارَ حَتَّى جَاوَزَ الْوَادِيَ ثُمَّ خَلَّى عَنْهُ . فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ سَفَرِهِمْ مَرُّوا بِوَادٍ مَمْلُوءٍ مَاءً يَتَدَفَّقُ ، فَوَقَفُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اتَّبِعُونِي . ثُمَّ اقْتَحَمَهُ وَاتَّبَعُوهُ فَأَيَسَّ اللَّهُ الْمَاءَ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ تَحَدَّثُوا بِذَلِكَ فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّ لِهَذَا الْغَلَامِ لَشَأْنًا (٢) .

وكان يُفَرِّشُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَبَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَهُ ، فَكَانَ

(١) الْفَجَارُ بِمَعْنَى الْمَفْاجِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قِتَالًا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَفَجَّرُوا فِيهِ جَمِيعًا ، فَسُمِّيَ حَرْبُ الْفَجَارِ . وَكَانَ لِلْعَرَبِ أَرْبَعُ جُفَارَاتٍ آخَرُهَا جُفَارُ الْبَرَاضِ هَذَا . وَأَمَّا الْفَجَارُ الْأَوَّلُ فَكَانَ بَيْنَ كِنَانَةَ وَهُوْزَانَ ، وَالْفَجَارُ الثَّانِي بَيْنَ قُرَيْشٍ وَهُوْزَانَ ، وَكَانَ الْفَجَارُ الثَّالثُ بَيْنَ كِنَانَةَ وَهُوْزَانَ أَهْ بِاخْتِصَارٍ .

من العقد الفريد والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بولاق .

(٢) هذا مما يمد من الكرامة أو الإرهاص ، وليس من باب المعجزة ، لأنه لم يكن قد ادعى النبوة بعد ، وعلى كل ، فهذه الأخبار واهية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفَر^(١) فيجلس في مكانه ،
فيأخذه أعمامه ليؤخروه ، فيقول : دعوا بُنَيَّ فوالله إن له لشأنا .

- وفي سنة أربع عشرة من مولده كان الفجار الآخر .
- وفي سنة خمس عشرة من مولده قامت سوق عُكاظ .
- وفي سنة تسع عشرة من مولده ذلك هُرمز بن كسرى وولي
ابنه أبرويز .

- وفي سنة عشرين من مولده كان حلف الفضول .
- وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هُدِمت الكعبة وبنيت .
- فلما تمت له أربعون سنة نُبِّيَّ ، فجاءه الوحي .
- وبعد عشرين يوما من مبعثه ، رُمِيت الشياطين بالشهب .
- واستقر بالنبوة ثلاث سنين ثم نزل : « فاصدع بما تؤمر » .
- وكانت قریش لا تُنكر عليه حتى سَبَّ آلَهم فأذَوْه وأذوا
أصحابه .

- فأمر أصحابه في سنة خمس من النبوة بالهجرة إلى الحبشة .
- وكانت وقعة بُعث في سنة سبع من النبوة .
- وفي سنة عشر من النبوة ، مات أبو طالب وماتت خديجة بعده
بثلاثة أيام .

- وفي سنة إحدى عشرة ، خرج يعرض نفسه على القبائل .

(١) الجفر : الغلام الطليظ .

- وفى سنة ائنتى عشرة ، كان الميراج .
- وفى سنة ثلاث عشرة ، بايعه الأنصار فى العقبة .
- وفى السنة الأولى من سنى الهجرة ، خرج إلى القار . وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار .
- وفى سنة ائنتين حُوِّلَتُ القبلة إلى الكعبة ، ونزلت فريضة رمضان ، وكانت غزاة بدر .
- وفى السنة الثالثة كانت غزاة أحد ، وفى السابعة غزاة خيبر .
- وفى الثامنة كانت غزاة الفتح .
- وفى العاشرة ، حجَّ صلى الله عليه وسلم .
- وفى الحادية عشرة ، تُوفِّيَ صلى الله عليه وسلم .

الباب الحادي عشر والعشرون

في ذكر أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

• عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى (١) ، وأنا العاقب » .

• وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لى أسماء :
« أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر ، الذى يحشر الناس على قدمى ،
وأنا الماحى ، الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا العاقب ، الذى ليس بعدى نبى » .

• عن أبى موسى قال : سئى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه ، ومنها ما لم يحفظ قال :

« أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقِّى ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الملاحم » .
وعنه أيضاً قال : سئى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه فقال :

« أنا محمد ، وأحمد ، والمقِّى ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الملحمة » .

• عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أطعم

[أحد] طعاماً على مائدة ولا جلس إليها وفيها اسمي إلا قدس (١) كل يوم مرتين .

• عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم قط في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ، لم يدخلوه في مشورتهم ، إلا لم يبارك لهم فيه (٢) » .

• عن ابن فارس الغوى : أن لتبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسماً : محمد ، وأحد ، والمأحى ، والحاشر ، والعاقب ، والمتقى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والمبشر ، والبدر ، والضحوك ، والقتال (٣) ، والمتوكل ، والفالج ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبي ، والأُمى ، والقُثم .

والحاشر : الذي يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه .

والمتقى : آخر الأنبياء ، وكذلك العاقب .

والملاحم : الحروب . والضحوك : اسمه في التوراة ، وذلك أنه كان طيب النفس ، فكُتِبَ .

والقُثم : من القُثم وهو الإعطاء ، وكان أجود الناس .

وفي المأحى إشارة إلى ظهور دينه على الملوك ، ونحوه الكفر ، وكثرة الفتوح .

(١) و (٢) هذان الحديثان موضوعان . والرواية في شرح المواهب ٣٠٣/٥ (إلا وقدسوا كل يوم مرتين) .

(٣) إذا صح هذا الاسم فلا بد أن يفهم على أن الإسلام لم يمسك السيف إلا دفاعاً ورحمة .

قال ابن قتيبة : ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يُسمَّ أحد قبله باسمه ، صيانة من الله لهذا الاسم ، كما فعل يحيى بن زكريا ، إذ لم يجعل له من قبل سمياً .

وذلك أنه سماه في الكتب المتقدمة ، وبشرت به الأنبياء .

فلو جعل الاسم مشتركاً فيه ، شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة .

إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه ، حضر أربعة أنفس عند رآه ، وأخبرهم ، باسمه وقرب زمنه ، فسموا أولادهم بذلك (١) ، ولا يعرف غيرهم (٢) .

(١) وم : محمد بن عدى ، ومحمد بن يزيد بن عمرو ، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ، ومحمد بن أسامة بن مالك .

(٢) وقال القاضي عياض في الشفا : « وأما أحمد ، الذي في الكتب وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب ، أو شك .

وكذلك محمد أيضاً ، لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم .

إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالته . ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة ، أو يدعى له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره ، حتى تحققت الشبهة له ، صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما « الشفا ص ١٩٠

هذا ، وقد ذكر في شرح المواهب ، أن عدد من سمي محمداً في الجاهلية يصل إلى عشرين .

الباب السادس والعشرون

في ذكر كنيته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ، يُكْنَى أبا القاسم ، لأنه أول ولد ولدته أمه .
• عن أنس بن مالك قال : لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية ، كاد يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه ، حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقد نهى أن يكنى بكنيته .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باليمع ، فنادى رجل رجلاً : يا أبا القاسم . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الرجل : لم أعنيك يا رسول الله ، إنما عنيت فلاناً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَمَّوْا بِاسْمِي ، ولا تكونوا بكنيتي » .

• عن جابر أن رجلاً من الأنصار ، ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمداً .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال :

« تسموا باسمي ، ولا تكونوا بكنيتي » .

• عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى باسمي ، فلا يكنى بكنيتي ، ومن اكتنى بكنيتي فلا^(١) يتسم باسمي .

(١) في الأصل « فلا يتسمى باسمي » وهو خطأ مطبعي لأن (لا) ناهية تجزم

الفعل المضارع بحذف حرف الملة .

وقد اختلفت الرواية عن أحمد ، فروى عنه أنه يكره أن يجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته ، فإن أفرد الكنية عن اسمه ، لم يكره .

وروى عنه ، كراهية في الجملة ، في الجمع ، والإفراد .

وروى عنه نفى الكراهة في الجملة ، لما روى في حديث عائشة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

إني ولدت غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي أنك تكره ذلك .

فقال : ما الذي أحلّ اسمي وحرّم كنييتي ؟ ! » .

أو : « ما الذي حرم كنييتي ، وأحلّ اسمي » .

قلت : وقد أجاز ذلك لعلّ في ولد يأتيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال علي : « يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك ولد ، أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » .

فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ .

قلت : والذي يقتضيه النظر في الأحاديث أنه قد كان يكره أن يكتنى بكنيته ، لأن الخطاب لمثله بالكنية .

فأما بعده ، فلا تكره الكنية ، ولا يجمع بينها وبين الاسم .

الباب السابع والعشرون

في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

- أول من أرضعه ثوية ، مولاة أبي لهب ، أياماً .
- ثم قدمت حليلة .

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوج ابنة عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد ، فولد حمزة .

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرضتهما ثوية ، بلبن ابنها مسروح أياماً .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها - : إنها لا تحمل لي ، إنها بنت أخي ، أرضعتني وأبأها ، ثوية .

وكانت ثوية تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة ، فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكرمها خديجة ، وهي يومئذ أمة ، ثم أعتقها أبو لهب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة ، حتى ماتت بعد فتح خيبر ، ولا يعلم أنها أسلمت .

بل قد قال أبو نعيم الأصبهاني : حكى بعض العلماء أنه اخلف في إسلامها .

• عن عروة قال : كانت ثوبية مولاة لأبي لهب ، فأعتقها ، فأرضعت
النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب ، رآه بعض أهله في النوم ، فقال :

ماذا لقيت يا أبا لهب ؟

فقال : ما رأيت بعدكم رَوْحًا ، غير أني سقيت في هذه — وأشار إلى
النفرة التي فوق الإبهام — بعنق ثوبية .

قال : وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا سلمة .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر حليلة وهي التي أَرْضَعته بعد ثويبة

وهي حليلة بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شحنة .
وزوجها ، الحارث بن عبد العزى بن رفاعه .
واسم إخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضاعة حليلة :
عبد الله ، وأنيسة ، وخِدَامة بنو الحارث . وخِدَامة هي الشِّماء ، غلب
ذلك على اسمها ، فلا تعرف إلا به .
ويزعمون أن الشِّماء سُدِّيَتْ يوم حُنين .
فَقَالَتْ : اعلَمُوا أَنِّي أُخْت نَبِيِّكُمْ .
فلما أُتِيَ بِهَا ، عرفها فأغناها .
وكانت حليلة من بني سعد بن بكر .
قالت حليلة : خرجت على أتانٍ لى قَمَراء (١) قد أذَمَّت (٢) بِالرَّكَب .
قالت : وخرجنا في سنة شهباء ، لم تُثَبِّقْ شَيْئًا ، أنا وزوجى ، الحارث
ابن عبد العزى .
قالت : ومعنا شارف لنا ، والله إن تبصُر (٣) بقطرة لبن ، ومعى صبي
لنا ، والله ما ننام ليلتنا من بكائه ، ما فى ثديي لبن يُغْنِيهِ ، ولا فى شارفنا
لبن يَغْذِيهِ ، إلا أنا نرجو الفرج .

(١) القمراء : التي يميل لونها إلى الخضرة .
(٢) أذمت : تأخرت .
(٣) تبص : ترشح . والشارف : الناقة المسنة .

فلما قدمنا مكة لم تتبع منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه .

ولإنما كنا نرجو الكرامة في رضاة من نرضع له من أبي المولود .
وكان يتيماً صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : ما عسى أن تصنع بنا أمه !
فكنا نأبى .

حتى لم يبق من صواحبنا امرأة ، إلا أخذت رضيعاً غيرى .
فقلت : أرجع ولم آخذ أحداً ؟ فكرهت ذلك ، وقد أخذ صواحبنا .
فقلت لزوجى : والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم ، فَلَا خُذَّه .
قالت : فأتيته فأخذه ، ثم رجعت به إلى رَحلى .
فقال لى زوجى : قد أخذته ؟ قلت : نعم : وذاك أنى لم أجد غيره .
قال : أصبت ، عسى الله أن يجعل فيه خيراً .

قالت : والله ما هو إلا أن وضعته في حجرى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء
من لبن ، فشرب حتى رَوَى ، وشرب أخوه حتى رَوَى .
وقام زوجى الحارث إلى شاربنا من الليل ، فإذا هى (١) شجاء فحلب
علينا (٢) ما شئنا ، فشرب حتى روى ، وشربت حتى رويت .
قالت : فكشنا بخير ليلة ، شباعاً رواء .

فقال زوجى ، والله يا حليلة ، ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة ، قد
نام صبياننا ، وقد رويانا .

(١) رواية ابن هشام « فإذا إنها لحافل » ومعنى « حافل » تمتلئ ، تملأ ، تفيض ، باللين ،
كما أن معنى « شجاء » كذلك . (٢) ت : فحلبنا .

قالت : ثم خرجنا .

فوالله لقد خرجت أتانِي (١) أمام الركب ، قد قطعهم ، حتى ما يتعلق بها منهم أحد ، حتى إنهم ليقولون :
ويحك يا بنت الحارث ، كفى علينا النصَب (٢) ، أهذه أتانك التي خرجت عليها ؟

فأقول : بلى والله . فيقولون : إن لها شأنًا .

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر .

قالت : فقدمنا على أجَدَب أرض الله .

قالت : فوالذي نفس حليمة بيده ، إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ، وأسرح راعي غنميتي ، وتروح (٣) غنمي حُفْلًا بطانًا ، وتروح أغنامهم جِيعًا هلاكًا ، ما بها من لبن لشربه ، فتشرب ما شئنا من لبن .
وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها .

قالت : فيقولون لرعاتهم : ويلكم ، ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة .
فيسرحون في الشَّعب الذي يسرح فيه ، وتروح غنمهم جِيعًا ما بها من لبن ، وتروح غنمي حُفْلًا لبنًا .

قالت : وكان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر !

(١) أتانِي ، أي : حماتي .

(٢) أي : التعب ، والمراد : أتعبنا حتى عجزنا عن لحاقك .

(٣) أي ترجع آخر النهار حُفْلًا ، أي ممتلئ . تدي كل شاة باللبن وكذا بطونها بما رَعَتْ من نبات الأرض .

ويشب في الشهر ، شباب الصبي في سنة .
قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جَفَر .
قالت : فقدمنا به على أمه فقلت لها ، وقال لها زوجي :
دعي ابني ، فلنرجع به ، فإننا نخاف عليه وباء مكة .
قالت : ونحن أضن شيء به لما رأينا من بر كته صلى الله عليه وسلم .
فلم نزل بها ، حتى قالت : ارجعي به .
قالت : فكث عندنا شهرين .
قالت : فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت ، إذ جاء أخوه يشتد^(١) ،
فقال لي ولأبيه : أدركا أخي القرشي ، فقد جاءه رجلان فأضجماه فشقا بطنه .
قالت : فخرجت وخرج أبوه ، نشتد نحوه .
فأتيناهما إليه ، وهو نائم ممتنع^(٢) لونه .
فاعتقته واعتقته ، وقال : مالك يا بني ؟
قال : أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فوالله
ما أدري ما صنعا .
قالت : فاحتملناه فرجعنا به .
قالت : يقول زوجي : يا حليلة ، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب .
فانطلق ، فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ، ما نتخوف عليه ،
قالت : فرجعنا به إلى أمه .

(١) أي : يسرع في الجري . (٢) أي : مصفر اللون .

قالت : ما ردّ كما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه ؟
فقلنا : لا والله ، إلا أنا قد كفلناه ، وأدّينا الذى علينا من الحق فيه ،
وتخوفنا عليه الأحداث ، فقلنا : يكون عند أمه .

قالت : والله ما ذاك بكما ، فأخبرانى خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالت بنا ، حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخافين عليه ؟ لا والله ، إن لإبنى هذا شأنًا . ألا أخبركما عنه ؟
إنى لما حملت به ، فلم أحمل حملاً^(١) قط هو أخف منه ، ولا أعظم
بركة منه :

ولقد وضعته ، فلم يقع كما تقع الصبيان ، لقد وقع واضعاً يده فى الأرض ،
رافعاً رأسه إلى السماء .

دعاه والحقا بشأنكما .

(١) يفهم منه أنها حملت بغيره وهو غير صحيح .

١١٧

الباب التاسع والعشرون

في ذكر شرح صدره في صغره صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن سعد :

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حليلة أربع سنين ، وكان يعدو مع أخيه وأخته في البهيم قريباً من الحى .

فأتاه ملكان هناك ، فشقا بطنه ، واستخرجا علقة سوداء فطرحاها ، وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب ، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم .

ثم قال أحدهما للآخر : دعه ، فلو وزنته بأمته كلها لرجعها .

وجاء أخوه بصيح : يا أماه ، أدركى أخى القرشى .

ففرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه ، فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم محتقعا اللون ، فذهبت به إلى آمنة بنت وهب ، فأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نرده ، إلا على جدع أنفنا .

ثم رجعت به أيضاً .

فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكانا بعيداً .

ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت .

فأفرعها ذلك من أمره ، فقدمت به إلى أمه لترده ، وهو ابن

خمس سنين .

• وروى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

كيف أول شأنك يا رسول الله ؟

قال : كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر .

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً .

فقلت : يا أخي ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم .

فأقبل طائران أبيضان ، كأنهما نسران .

فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم .

فأقبلا يتتدران ، فأخذاني فبطحاني إلى القفا ، فشقا بطني .

ثم استخرجا قلبي فشقاه ، فأخرجا علقيتين سوداوين .

فقال أحدهما لصاحبه : ايتني بماء تلج ففسلا به جوفى .

ثم قال : ايتني بماء برد . ففسلا به قلبي .

ثم قال : ايتني بالسكينة . فذرأها في قلبي .

ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه .

فخاطه ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة (١) واجعل ألفاً من أمته في كفة .

فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق ، أشفق أن يخرَّ عليَّ بعضهم (٢) .

فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم .

ثم انطلقا ، وتركاني وقد فرقتُ فرقاً شديداً (٣) .

(١) إذا صح ذلك كله فهو من قبيل تجسيم الحقائق ، مثل وزن الأعمال .

(٢) يخر . أى : يسقط . (٣) أى : خفت خوفاً شديداً .

ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيت ، فأشفقت^(١) على أن يكون
التبس بي .

فقلت : أعيدك بالله .

فحملتني على الرجل ، وركبت خلفي ، حتى بلغت إلى أمي .

فقلت : أدت أمانتي وذمتي ، وحدثتها بالذي لقيت .

فلم يرعها^(٢) ذلك وقالت : إني رأيت حين خرج مني نوراً ، أضاءت
منه قصور الشام .

• عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل
وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه وشق عن قلبه فاستخرج القلب ،
ثم شق القلب فاستخرج منه علة فقال : هذا حظ الشيطان منك ،

ففسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه .

وجاء الغلمان يسمعون إلى أمه ، يعني ظئره .

فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه ، وهو ممتمع .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر الحيط في صدره صلى الله عليه وسلم .

• عن شداد بن أوس قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بني عامر ، فقال : يا محمد أنبئني ببدء شأنك .

قال : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى بن مريم .

وذلك أن أمي وضعتني كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر .

(١) أشفقت : خافت .

(٢) لم يرعها : أي : لم يفزعها ولم يحملها خائفة .

فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى
من الصبيان .

إذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ، ملىء ثلجاً .
فأخذنى من بين أصحابى .

فخرج أصحابى هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى .

ثم أقبلوا على الرهط ، فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ؟ فإنه ليس
منا ، هذا ابن سيد قریش ، فإن كنتم لابد قاتليه ، فاخترأوا منا أينما
شئتم ، فاقتلوه .

فعمد أحدهم فأضعفنى ، ثم شق صدرى ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها
بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها .

ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه : تنح .

فتمحنى عنى ، ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى ، وأنا أنظر إليه
فصدعه (٢) .

ثم أخرج منه مضغة سوداء ، فرمى بها .

ثم قال بيده منه ، كأنه يتناول شيئاً .

فإذا أنا بخاتم فى يده من نور ، يحار الناظرون دونه .

نفختم به قلبى ، فامتلاً نوراً ، ثم أعاده مكانه .

فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهنراً .

ثم قال الثالث : تنح .

فَأَمَرَ يَدَهُ مِنْ مَفْرَقِ صَدْرِي ، إِلَى مَتْنَبِي عَانَتِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقَّ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ أَخَذَ يَدَيَّ فَأَنَهَضَنِي مِنْ مَكَانِي ، إِنْهَاضًا لَطِيفًا .

ثُمَّ ضَمُونِي إِلَى صَدُورِهِمْ ، وَقَبَّلُوا مَا بَيْنَ رَأْسِي وَبَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا :
يَا حَبِيبَ اللَّهِ ، لَمْ تُرْعَ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ، لَقَرَّتْ
عَيْنَاكَ .

قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذَا أَنَا بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِخِذَائِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي ،
وَهِيَ ظَنَرِي ، أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتَفُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : يَا ضَعِيفَاهُ ؛ يَا حَبْزَاهُ ؛ يَا سِمَاهُ .
فَأَكْبُوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا : حَبْزَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ .
ثُمَّ قَالَتْ ظَنَرِي : أَمَسْتَضَعِفَ أَنْتَ مِنْ بَيْنِ أَحِبَّاءِكَ فَقَتَلْتَ لَضَعْفِكَ ؟
ثُمَّ ضَمَّنَنِي إِلَى صَدْرِهَا .

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لِنِي حَجْرَهَا ، وَإِنْ يَدَيَّ لِنِي يَدَ بَعْضِهِمْ .
وظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يَبْصُرُونَهُمْ ، فَإِذَا هُمْ لَا يَبْصُرُونَ .

فَقَتَلَ بَعْضُ الْقَوْمِ : إِنْ هَذَا الْغَلَامُ بِهِ لَمْ^(١) أَوْ طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ .
فَزَهَبُوا بَنِي إِلَى الْكَاهِنِ ، فَقَصَّصُوا عَلَيْهِ قِصَّتِي .

فَقَالَ : اسْكُتُوا ، حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغَلَامِ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ .
فَسَأَلَنِي ، فَقَصَّصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي .

فَوُثِبَ إِلَيَّ ، فَضَمَّنَنِي إِلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

(١) لَمْ . أَيْ : مَسَّ مِنَ الْجِنِّ .

يا للعرب ! اقتلوا هذا الغلام ، واقتلوني معه ، فواللات والعزى ،
إن تركتموه وأدرك ، لبيد لن دينكم .

ثم احتملوني . فهذا بدء شأني .

● وقال زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما قامت سوق عكاظ ،
انطلقت حليلة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَاف من هُذيل ، يريه
الناسُ صبيانهم .

فلما نظر إليه صاح وقال : يا معشر هذيل ! يا معشر العرب .

فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبي .

وانسَلَّت به حليلة .

فجعل الناس يقولون : أى صبي ؟

فيقول : هذا الصبي . فلا يرون شيئاً . قد انطلقت به أمه .

فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاماً ، وآلته ، ليقتلن أهل دينكم ،
وليكسرن آلهتكم ، وليظهرن أمره عليكم .

فطلب بُعْكَاز فلم يوجد .

قال محمد بن عمر : وجعل الشيخ الهذلي يصيح : يا هذيل ، وآلته ، إن
هذا لينتار أمراً من السماء . وجعل يُغري بالنبي صلى الله عليه وسلم . فلم
ينشب أن وَلِهَ وذُهب عقله ، حتى مات كافراً .

● عن ابن عباس قال : خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم
فوجدته مع أخته ، فقالت أُنْبَى ، ما هذا الحر الذي أنت فيه ؟ !

فقالت أخته : يا أماء ، ما وجد أخى حرّاً ، رأيت غمامة تظل عليه ،
فإذا وقف وقف ، وإذا سار سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

• وقد روينا أن حليلة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وقد تزوج خديجة ، فشكت إليه جذب البلاد وهلاك الماشية .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فيها ، فأعطتها أربعين شاة
وبعيراً موقعا للظمينة . فانصرفت إلى أهلها .

ثم قدمت عليه بعد الإسلام ، فأسلمت هي وزوجها وبايعا .

• عن محمد بن المنكدر قال :

استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أرضعته .

فلما دخلت عليه قال : « أمي أمي » وعمد إلى رذائه ، فبسطه لها ،
فعمدت عليه .

وقد روى أنها جاءت إلى أبي بكر بعده ، فأكرمها ، وإلى عمر
ففعل مثل ذلك .

وقد روى أنه أعيد شرح صدره ، بعد أن تم له عشر سنين .

• عن أبي بن كعب : كان أبو هريرة جريئاً على سؤال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال :

يا رسول الله ، ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟

فاستوى جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة .

إني لفي صحراء ، ابن عشر سنين وأشهر ؛ وإذا بكلام فوق رأسي .

وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟

فاستقبلاني بوجهه ، ما رأيتها على أحد قط .

فأقبلا إلى يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما يقضدي ؛ لا أجد

لأحدهما مساً .

فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأضجعا نى ؛ بلا قصر ولا هَـصَر .

فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره .

فهوى أحدهما إلى صدرى ، ففلقه فيما أرى ؛ بلا دم ولا وجع .

فقال له : أخرج العِلَّ والحسد .

فأخرج شيئاً كهَيْئَةِ العَلَقَةِ . ثم نبذها فطرحها .

فقال له : أدخل الرَّأْفَةَ والرحمة . فإذا مثُلُ الذى أخرج شِبْهَ الفِضَّةِ .

ثم هَزَّ إِيَّهَا مَ رَجُلَى الْيَمِينِ فقال : أعد وسلم .

فرجعت بها ؛ أعدو رَأْفَةً عَلَى الصَّغِيرِ ورحمةً لِلْكَبِيرِ (١) .

(١) رواه ابن كثير فى تفسيره ٥٢٤/٤ عن عبد الله ابن الإمام أحمد . وفيه

زيادة واختلاف .

الباب الثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين
من مولده صلى الله عليه وسلم

• عن كعب قال : قالت حليلة : ركبت أتانى ، وحملت محمداً بين
يدى ، أسير به ، حتى أتيت الباب الأعظم ، من أبواب مكة ، وعليه
جماعة مجتمعة . فوضعت به ؛ لأقضى حاجة وأصالح شأنى .
فسمعت هدةً شديدة ، فالتفت فلم أره .

فقلت : معاشر الناس ، أين الصبي ؟ قالوا : أى الصبيان ؟ قلت : محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب ؛ الذى نصر الله به وجهى ؛ وأشبع جوعى .
رَبَّيْتُهُ ؛ حتى إذا أدركت سرورى ؛ أتيت به لأرده إلى أمه ؛ وأخرج
من أمانتى ؛ اختلس من بين يديّ ؛ واللوات والعزى ؛ لئن لم أره لأرْمِيَنَّ
نفسى من شاهق هذا الجبل . قالوا : ما رأينا شيئاً .

فلما أياسونى ؛ وضعت يدي على رأسى وقلت : وإمحمداه وإولاده .
فأبكيك الجوارى الأبقار لبكائى ؛ وضج الناس معى بالبكاء .

فأتيت عبد المطلب فأخبرته ؛ فسلّ سيفه ونادى : يا آل غالب .

وكانت دعوتهم فى الجاهلية . فأجابته قريش .

فقال : فَقَدَ ابْنى محمد . فقالت قريش (١) : اركب نركب معك ؛
فلو خضت بحراً خضناه معك .

(١) فى الأصل « فقالوا قريش » وما أثبتناه هو الصحيح المؤيد بسياق الكلام .

فركب وركبوا فأخذوا على أعلى مكة وانحدر على أسفلها ؛ فلم ير شيئا ؛
فترك الناس وأقبل إلى البيت الحرام فطاف سبعا ثم أنشأ يقول :

يَا رَبِّ رُدِّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهُ لِي وَاتَّخِذْ عِنْدِي بَدَا

فسمعوا مناديا ينادى في الهواء يقول :

معاشر الناس ؛ لا تضجوا ؛ إن لمحمد ربًّا لا يضيعه .

قال عبد المطلب : أيها الهاتف ؛ ومن لنا به ؟ وأين هو ؟

قال : هو بوادي تهامة ؛ عند شجرة الين .

ففضى عبد المطلب ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه تحت شجرة يجذب
الأغصان ؛ ويمبث بالورق ؛ فحملة إلى مكة ؛ وجهاز حليلة أحسن الجهاز .

وفي رواية أخرى أن حليلة لما قدمت به ؛ ضاع في الناس .

فأخبرت عبد المطلب ؛ فأتى الكعبة فقال :

لَا مُمْ رُدِّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّهُ رَبِّ وَاتَّخِذْ عِنْدِي بَدَا

أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدًا

وفي رواية ؛ أن عبد المطلب بمث به في حاجة فقال هذا .

• عن أبي حازم قال : قدم كاهن مكة ، ورسول الله صلى الله

عليه وسلم ابن خمس سنين : وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب فقال :

يا معشر قريش ، اقتلوا هذا الفقى ، فإنه يُفَرِّقُكُمْ وَيَقْتُلُكُمْ .

فهرب به عبد المطلب .

• ولم تزل قريش تخشى من أمره ، ما كان الكاهن حذرهم .

البَابُ الحَادِي الثَّلَاثُونَ

في ذكر وفاة أمه آمنة

• عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما بلغ ست سنين ، خرجت به إلى أخواله ، بنى عديّ ابن النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بمرين ، فنزلت به دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهرا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك .

• لما نظر إلى أطم بنى عدي بن النجار بالمدينة عرفه فقال :

كنت ألاعب أنيسة ، جارية من الأنصار ، على هذه الآطام ، وكنت مع غلمان من أخوالي ، نظير طائرا كان عليه يقع .

ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلت بي أمي ، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنتم الموم في بئر بنى عدي بن النجار .

• وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه .

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول عوفي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته . فواعت ذلك .

ثم رجعت به أمه إلى مكة .

فلما كانوا بالأبواء ، توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك .

فرجعت به أم أيمن إلى مكة ، وكانت تحتضنه .

• فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عُمرَة الحديبية بالأبواء قال :

« إن الله قد أذن لحمد في زيارة قبر أمه » .

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه .

ف قيل له ، فقال : « أدر كنتم رَحمة رحمتها ، فبكيت » .

• عن أبي مرثد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذم (١) قبر ، فجلس إليه ، وجلس الناس حوله ، فوقف كهيئة المخاطب ، ثم قام وهو يبكي .

فاستقبله عمر ، وكان من أجراً للناس عليه ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما الذي أبكاك ؟

قال : هذا قبر أُمي ، سألت ربي الزيارة فأذن لي ، وسألته الاستغفار ، فلم يأذن لي ، فذكرتها ، فوقفت فبكيت .

فلم يرَ يوم كان أكثر باكياً من يومئذ .

قال ابن سعد : هذا غلط ، ليس قبرها بمكة ، إنما قبرها بالأبواء .

• عن أبي هريرة قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا ، وفي المواهب . رسم .

« استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي بريدة عن أبيه قال : أتيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف على عُسْفَانَ ، فنظر يمينا وشمالا ، وأبصر قبر أمه ، فورد الماء ، فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فلم يفجأنا إلا ببكائه .

فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف إلينا فقال : ما الذي أبكاكم ؟

قالوا : بكيت فبكينا يا رسول الله .

قال : وما ظننتم ؟

قالوا : ظننا أن العذاب نازل علينا .

قال : لم يكن من ذلك شيء .

فقالوا : فظننا أن أمتك كلفت من الأعمال مالا تطيق .

قال : لم يكن من ذلك شيء ، ولكنني مررت بقبر أمي ، فصليت ركعتين ، واستأذنت ربي في أن أستغفر لها فنهيت ، فبكيت ؛ ثم عدت فصليت ركعتين ، واستأذنت ربي في أن أستغفر لها ، فزُجِرْتُ زَجْرًا ، فعلا بكائي .

ثم دعا برأحله فركبها ، فما سار إلا هُنَيْيَةً حتى قامت (١) الراحلة بنقل الوحي ، فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) كذا بالأصل . ولعلها . نامت .

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ» (١).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشهدكم ، أنى برىء من آمنة ، كاتبرا
إبراهيم من أبيه .

● عن الحسن بن جابر ، وكان من المجاورين بمكة قال :

رُفِعَ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنَّ السَّيْلَ يَدْخُلُ قَبْرَ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ هُنَاكَ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْكَامِهِ .

قال ابن البراء : قد وصف لى ، وأنا بمكة ، وضعه .

فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ، ثم حلت إلى مكة ، فدفنت بها .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موت أمه آمنة

• عن نافع بن جبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت ، قبضه إليه جده عبد المطلب ، وضمه ورقاً عليه رقة لم يرقها على ولده .

وكان يقربه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام .
وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني ، إنه ليؤتين ملكاً .

• وقال قوم من بني مُدْج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإننا لم نر قدماً ، أشبه بالقدم التي في المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء .
فكان أبو طالب يحتفظ به .

• وقال عبد المطلب لأم أيمن ، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بركة ، لا تغفلي عن ابني ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة .

• وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال : عليّ بابني .
فيؤتى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

• عن ابن عباس قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحجر ، لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية فنّ دونه ، يجلسون حوله دون المفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على المفرش ، فجزه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك ما بعد كُفّ بصره : ما لابی يبكي ؟
قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش ، فنعموه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني ، يجلس عليه ، فإنه يحسّ من نفسه شرفاً ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم
يستسقون عند منام رقيقة

• عن رقيقة (١) ، وهي لدة عبد المطلب قالت : تتابعن على قریش
سنون أمحلت الضرع ، وأدقت العظم .

فبينما أنا نائمة أو مهمومة ، إذا هاتف يصرخ بصوت صعل (٢) يقول :
يا معشر قریش ، إن هذا النبی المبعوث فيكم ، قد أظلمتكم أيامه ، وهذا إبان
نجومه ، فخيلاً بالحيا (٣) والخصب .

(١) رواه الماوردي في « أعلام النبوة » عن عروة بن مضر ، عن حمزة
ابن نوفل ، عن أمه رقية بنت أبي ضبي بن هاشم .

(٢) الأصل : بصوت صعل . وما أثبتته عن أعلام النبوة للماوردي . وقال
في الصحاح : في صوته صعل ، أي : بمحوة . وقد صعل الرجل ، بالكسر ،
يصعل صعلًا ، أي : صار أج فهو صعل الصوت وأصعل . قال الرازي :

فَلَمْ يَزَلْ مُكْتَبًا وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلَا الصَّوْتُ بِجُوحٍ وَصَحَلْ
وَكَلَّمَا أَوْفَى عَلَى نَشْرِ أَهْلٍ

والمراد بصوت فيه بجم شديد . قال في القاموس « صعل » صوته ، كفرح ،

فهو أصعل وصعل : بجم أو احتد في بجم . أو « الصعل » حركة خشونة
في الصدر ، وانشقاق في الصوت من غير أن يستقيم : هـ .

(٣) الحيا : المطر .

ألا ، فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظاماً جساماً^(١) ، أبيض بضاً ،
أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنيين له نحر يكظم عليه ، وسنة
تهدى إليه ، فليخلص هو وولده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل ، فليستنوا
من الماء ، وليمسوا من الطيب ، ثم يستلموا الركن ، ثم ليرتقوا أبا قبيس ،
فليستسقى الرجل ، وليؤمن القوم ، ففتم ما شتم .

فأصبحت - عليم الله - مذعورة ، قد اقشعر جلدى وولده^(٢) عطفى ،
واقترصت رؤياى ، فوالحرمة والحرم ، ما بقى [بها]^(٣) أبطحى إلا قال :
هذا شئبة الحد .

فتتامت^(٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل .
فسنوا ومسوا ، واستلموا .

ثم ارتقوا أبا قبيس ، وطبقوا جانبيه ، ما يتبلغ سمهم منهلة .
حتى إذا استنوا بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو غلام قد أيقع أو كرب ، فقال :

اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ، ومسئول
غير مبخل ، وهؤلاء عبادك ، وإماؤك بقدرات^(٥) حرمك ، يشكون إليك
ستهم ، أذهبت الخلف والظلف ، اللهم فأمطرنا غيثاً ، مُدَقِّقاً ممرعاً .

(١) كذا بالأصل . وفي أعلام النبوة : وسيطاً جسيماً . (٢) أى : ذهب .
(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة . والمراد بالأبطحى السكى القيم فى مكة .
(٤) أى : جاءوا كلهم وتموا .

(٥) القدرات : جمع غدر ، بفتح الأول والثانى ، وهو كل موضع كبير الجحارة .

فوالكعبة ، ما راحوا (١) حتى تفجرت السماء بمائها ، واكتظ (٢)
الوادى بشجيبه ، فَلَسمَتْ شِيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جدعان ،
وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب :
هنيئاً لك أبا البطحاء . أى : عاش بك أهل البطحاء .
وفى ذلك تقول رقيقة :

بِشَيْبَةِ الحُمدِ أَسقى الله بِلَدَنَّا لَمَّا فَقَدْنَا الحَيَا (٣) وَاجْلُوذَ (٤) المَطَرِ
فَجَادَ بِالماءِ جَوْنِي (٥) لَهُ سَبِيلُ (٦)
سَحَا (٧) فَعَاشَتْ بِهِ الأنعامُ وَالشَّجَرُ (٨)
مُبَارَكُ الأَمْرِ يُسْتَسْقَى القَمامُ بِهِ
مَا فِي الأنامِ لَهُ عِدْلُ (٩) وَلَا خَطَرُ (١٠)
مِنَّا مِنَ اللهِ بِالْمُيْمُونِ طَائِرُهُ
وَخَيْرَ مَنْ بَشَّرَتْ يَوْمًا بِهِ مُضَرُ (١١)

-
- (١) أى : ما عادوا إلى منازلهم . (٢) أى : امتلأ الوادى بكثرة الماء .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) قال فى القاموس (الاجلواذ : المضاء والسرعة فى السير ، وذهاب المطر) ا هـ .
والمراد هنا (انقطع عنا المطر) . (٥) جوني : أى سحاب فيه سواد وحمرة .
(٦) السبل : بفتح السين والباء : المطر . ا هـ . قاموس .
(٧) أى : الصب الكثير .
(٨) الأنعام : البهائم ، والشجر : كل أنواع النبات .
(٩) عدل : أى ليس له مثل .
(١٠) الخطر : المراد به هنا ، علو للزلة ورفعة الشرف .
(١١) ليس فى أعلام النبوة .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب لتهينة سيف بن ذي يزن بالملك
وتبشير شيف عبد المطلب بأنه سيظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله

عن ابن الكلبي قال : لما ملك سيف بن ذي يزن أرض اليمن وقتل
الحبش وأبادهم ، وفدت إليه أشراف العرب ورؤسائهم ليهنتوه بما ساق الله
من الظفر .

ووفد وفد قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم ،
وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسيد ، ووهب
ابن عبد مناف بن زهرة .

فساروا حتى وافوا مدينة صنعاء ، وسيف بن ذي يزن نازل بقصر
يقال له عُمدان ، وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبلقيس بأمر سليمان ،
فأتناخ عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف ، فأذن لهم .

فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب ، وحوله أشراف اليمن على
كراسي من الذهب ، وهو متضمنخ بالعنبر ، وبصيص المسك يلوح في مفرقه (١)
فحيّوه بتحية الملك ، ووضعت لهم كراسي الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب
فإنه قام مائلا بين يديه ، واستأذنه في الكلام .

(١) قوله : بصيص المسك الخ يعني يظهر لعمان المسك من مفرق شعر رأسه .

فَقِيلَ لَهُ : إِنْ كُنْتَ مِنْ تَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلُوكِ فَتَكَلَّمْ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَحْلَكَ مَحَلًّا رَفِيعًا شَاحِحًا مَنِيْعًا ، وَأُنَبِّتَكَ
مُنْبِتًا طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَعَزَّتْ جِرْثُومَتُهُ ، وَثَبَتْ أَصْلُهُ ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ ، فِي أَطْيَبِ
مَغْرَسٍ وَأَعَذَبِ مَنبِتٍ .

فَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَبِيعُ الْعَرَبِ ، الَّذِي إِلَيْهِ مَلَاذُهَا ، وَوَرْدُهَا الَّذِي
إِلَيْهِ مَعَادُهَا .

وَسَلُوكَ خَيْرَ سَلَفٍ ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلْفٍ .
وَلَنْ يَهْلِكَ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ خَلْقُهُ ، وَلَنْ يَحْمَلَ مِنْ أَنْتَ سَلْفُهُ .
نَحْنُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَسِدْنَةِ بَيْتِ اللَّهِ .
أَوْفَدْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجْنَا مِنْ كَشْفِ الضَّرِّ الَّذِي قَدَحْنَا .
فَنَحْنُ وَقَدْ التَّهَنُّنَةُ ، لَا وَقَدْ التَّرْزُؤَةُ .

فَقَالَ سَيْفٌ : أَنْتُمْ قَرِيشُ الْأَبَاطِحِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ .
قَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلًا ، وَمُنَاخًا سَهْلًا ، وَمَلِكًا سَمَحَلًا ،
يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا .

قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مَقَالَتَكُمْ وَعَرَفَ فَضْلَكُمْ .
فَأَنْتُمْ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ .
فَلَكُمْ الْكَرَامَةُ مَا أَقْتَمَ وَالْجَبَاءُ الْوَاسِعَ إِذَا انْصَرَفْتُمْ .
ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ : أَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ .
قَالَ : إِيَّاكَ أَرَدْتُ ، وَلَكَ حَشْدٌ ، فَأَنْتَ رَبِيعُ الْأَنْامِ ، وَسَيِّدُ الْأَقْوَامِ .
انْطَلِقُوا وَانْزِلُوا حَتَّى أَدْعُو بِكُمْ .
ثُمَّ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ وَلَمْ يَكْرَاهِهِمْ .

فأقاموا شهراً لا يدعوم ، حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب :
إيتني وحدك من بين أصحابك .

فأتاه ، فوجده مستخياً لا أحد عنده ، فقرّبه حتى أجلسه معه على
سريره ، ثم قال :

يا عبد المطلب إني أريد أن ألقى إليك من على سراً ، لو غيرك يكون
لم أُنْجِ به إليه ، غير أني رأيتك معدته ، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله
فيه بأمره ، فإن الله منجز وعده ، وبألف أمره .
قال عبد المطلب : أرشدك الله أيها الملك .

قال سيف : إني أجد في الكتب الصادقة والعلوم السابقة ، التي اختزناها
لأنفسنا ، وستزناها عن غيرنا ، خيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف
الحياة ونفخ المات ، للعرب عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد .
ولولا هيبة الملك وإعظامه ، لسألته أن يزيدني من سروره إياي سروراً .
فقال سيف : فبي بيعت من عقبك ، ورسول من قرنك ، اسمه أحد ،
ومحمد ، وهذا زمانه الذي يولد فيه ، أولعله قد ولد .

يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه [قد ولدناه مراراً (١) والله باعته
جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه .
تحمده عند مولده النيران ، ويحيد الواحد المنان ويذجر الكفر والظفیان .
ويكسر اللات والأوثان .

(١) من دلائل النبوة لأبي سعيد ولاكتفا للسكاعي . ومضاهان أن سرب
ولدا رسول الله .

قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : علا كعبك ، ودام فضلك ، وطال عمرك ، فهل الملك سارئ يافصح وتفسير وإيضاح ؟

قال سيف : والبيت ذى الحُجُب ، والآيات والكتب ، إنك يا عبد المطلب ، لجذّه غير كذب .
نخرّ عبد المطلب ساجداً .

قال سيف : ارفع رأسك ، تلج صدرك ، وطال عمرك ، وعلا أمرك .
فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم أيها الملك ، كان لى ابن كنت به معجباً .
فزوجته كريمة من كرائم قومي يقال لها آمنة بنت وهب ، فجاءت بفلام سميته محمداً وأحمد ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .
قال : هو هو ، لله أبوك ، فاحذر عليه أعداءه . وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً .

ولولا على بأن الموت محتاج قبل ظهوره ، لسرت إليه بخيل ورجل حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكي .
فإنى أجد في كتب آبائي ، أن يثرب استناب أمره ، وهم أهل دعوته ونصرته ، وفيها موضع قبره .

ولولا ما أجد من بلوغه الغايات ، وأن أقيه الآفات ، وأن أدفع عنه الماهات ، لأظهرت اسمه ، وأوطأت العرب عقبه .

وإن أعش فسأصرف ذلك إليه . قم فانصرف بمن معك من أصحابك .
ثم أمر لكل رجل منهم بمائتي بعير ، وعشرة أعبد من الحبش ، وعشرة أرطال من الذهب ، وحلتين من البرود .

وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم ، وقال له : يا عبد المطلب ، إذا
شبَّ محمد وترعرع ، فاقدم على بحبره .
ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة .

فكان عبد المطلب يقول : لا تغبطوني بكرامة الملك إياي دونكم ،
وإن كان ذلك جزيلا ، وفضل إحسانه إليّ وإن كان كثيراً ، اغبطوني بأمر
ألقاه إليّ من شرف لي ولعقبتي من بعدى .

فكانوا يقولون له : ما هو ؟ فيقول : ستعرفونه بعد حين .
فكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال ، وإنه ركب يوماً كنعجو
ما كان يركب للصيد وقد كان قد اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه
بحراهم ، فغطفوا عليه يوماً فقتلوه .
وبلغ كسرى أنوشروان ، فرد إليهم هُرمز ، وأمره أن لا يدع
أسود إلا قتله .

• عن ابن عباس قال لما ظهر ابن ذى يزن على الحبشة بعد مولد
النبي صلى الله عليه وسلم ، أتت وفود العرب وشعراؤها تهنيه وتمدحه .
فأتاه فيمن أتاه ، وفد من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأممية
ابن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد ، في ناس من
وفود قريش .

فقدموا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأس غمدان ، الذى ذكره أممية
ابن أبى الصلت :

إِشْرَبَ هَيْنَا عَمَلِكَ النَّجَّ مُرْتَعَاً فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلًّا لَا
فدخل عليه الإذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم .

فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام .
فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك ، فقد أذِنَّا لك .
فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً .
وأنتك منبتاً ، طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ،
وبسق فرعه ، في أكرم موطن ، وأطيب معدن .
فأنت ملك العرب وربيعها الذي يخصب ، وأمير العرب الذي له تنقاد ،
وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُها الذي تلجأ إليه العباد .
سلفك [لك] خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .
فلن يَحْمِلَ من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه .
نحن ، أيها الملك ، أهل حرم الله عز وجل وسدنة بيته .
أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك (١) الكرب ، الذي فدَحْنَا .
فنحن وفد التهئة ، لا وفد المرزئة .
قال : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟
قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .
قال : ابن أختنا ؟ يعني الأنصار .
قال : نعم . قال أذِنْتُ . فآذناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :
مرحباً وأهلاً ، وناقرة ورحلاً ، ومستنأخاً سهلاً ، وملكاً متمحلاً ،
يمطى عطاء جزلاً .

قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأتم أهل الليل
والنهار ، ولكم الكرامة ، ما أقمت ، والحباء إذا طعنتم (٢) .

(١) الاكتفاء : من كشف الكرب .

(٢) قوله : والحباء الخ ، أى : ولكم العطايا إذا رحلتم إلى بلادكم .

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والرغد ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ،
ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة .

فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدنى مجلسه وأخلاه وقال :

يا عبد المطلب إني مفضٍ (١) إليك من سرٍّ (٢) علمي ، ما لو لم يكن غيرك
لم أبح به ، ولكني رأيته معدنه ، فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطوياً
حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

فإني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اختزنه لأنفسنا
واحتجبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ،
وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرٌّ وبرٌّ فاهو ؟ فإذ لك أهل الوبر
زُمرًا بعد زُمر .

قال : إذا ولد مولود بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة
ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أبتُ بخبر ما آب به وافد ، ولولا
هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألت من سارّه إياي ، ما أزداد به سروراً .

قال ابن ذى القرن : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد .

واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه .

قد ولدناه مراراً ، والله باعته جهاراً وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم
أولياؤه ويذل بهم أعداءه .

يصر بهم الناس عن عرض ، ويمسح بهم كرائم الأرض .

(١) في الأصل (مفوض) وهو تحريف (٢) الاكتفا : من سقى .

يكسر الأوثان ، ويخمد النيران ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان .
قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .
قال عبد المطلب : عز جدك ، وعلا كعبك ، وهام مملكك ، وطال
مُحرك فهل الملك سارّى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟

قال ابن ذى وزن : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب (١)
إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب .

نحراً عبد المطلب ساجداً ، فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك ، وعلا أمرك ،
فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟

قال : أيها الملك كان لى ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً .
زوجته كريمة من كرائم قومي ، آمنة بنت وهب ، فولدت غلاماً ،
فسميته محمداً .

مات أبوه وأمه ، وكفليته أنا وعمه .

قال ابن ذى وزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر
عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً .

واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمن
أن تدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة ، فيطلبون لك الفوائل
وينصبون لك الجبال ، وهم فاعلون أو أبناؤهم .

ولولا أعلم أن الموت محتاحى قبل مبعثه ، لسرت بخيلى ورجلى حتى
أصير يثرب دار ملكى .

فإنى أجد فى الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن يثرب استحكام أمره ،
وأهل نصرته وموضع قبره .

(١) الإكتفا : والعلامات والنصب .

ولولا أني أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت - على حداثة سنه - أمره ، ولأوطأت أسنان العرب عقيه .

ولكنني سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك .

وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد ، وعشرة إماء ، ومائة من الإبل ، وحلتين من البرود ، وخمسة أرتال ذهباً ، وعشرة أرتال فضة ، وكروش مملوءة عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال :

إذا جاء الحول فأتني . فأت ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول .

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني أحد بجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاق ، ولكن ليغبطني مما يبقى لي ولعقبى من بعدى ، ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل : ومتى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين (١) .

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلَبْنَا النُّصْحَ تَحْقِيقَهُ الْمَطَابَا	حَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ
مُفْلَغَةً (٢) مَرَايِسُهَا مِقَالَا	إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ فَنَجٍّ عَمِيقِ
تَوَّمُ بِنَا ابْنَ ذِي يَزْنَ وَيَقْرِى	ذَوَاتَ بَطُونِهَا أُمَّ الطَّرِيقِ
فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنْعَاءَ حَلَّتْ	بِدَارِ الْمَلِكِ وَالْحَسْبِ الْعَرِيقِ

(١) الاكتفا : ستملن نبأه بعد حين .

(٢) الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر موت عبد المطلب

قالوا : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته وقال لبناته : ابكينني وأنا أسمع . فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه جعل يحرك رأسه : أي قد صدقت . وقد كنت لذلك ، وهو قولها :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعٍ دَرَزَ طَلَى طَيْبِ الْحَمِيمِ (١) وَالْمُفْتَضَرِ
عَلَى مَا جِدَ الْجَدُّ وَارِيَ الزَّنَادِ جَمِيلِ الْمُحْيَا (٢) عَظِيمِ الْخَطَرِ (٣)
طَلَى شَيْبَةَ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرِ
وَذِي الْمَجْدِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجْرِ (٤)
أَتَتْهُ النَّبَا يَا فَلَمْ تُشَوِّهِ (٥) بَصْرَفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرِ

قال : ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

ويقال : ابن مائة وعشر سنين . ويقال ابن مائة وعشرين سنة .

(١) الحميم (بالكسر) السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المعتصر ، أنه عند المسألة كريم .

(٢) الحيا : الوجه .

(٣) الخطر : القدر والنزلة الرفيعة .

(٤) الفجر : العطاء والكرم والمروء ، وكثرة المال .

(٥) لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

• وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ؟
قال : نعم وأنا يومئذ ، ابن ثمان سنين .

• قالت أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف سرير
عبد المطلب يبكي .

عن ابن جريج قال : كنا جلوسًا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد
الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلى بن عبد الله في الطواف خلفه ،
فتمجبننا من تمام قامتهما ، وحسن وجوههما .

قال عطاء : وأين حسنها من حسن عبد الله بن عباس ! ما رأيت القمر
ليلة أربع عشرة ، وأنا في المسجد الحرام طالعا من جبل أبي قبيس ،
إلا تذكرت وجه عبد الله بن عباس ، ولقد رأيتنا جلوسا معه في الحجر
إذا أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل ، يعتمد^(١) على عصاه ، فسأله عن
مسألة فأجابه .

فقال الشيخ لبعض من في المسجد : من هذا الفتى ؟

قالوا : هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .

فقال الشيخ : سبحان الله ، غير حسن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
إلى ما أرى .

قال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبي يقول : كان عبد المطلب
أطول الناس قامة ، وأحسن الناس وجهًا ، ما رآه أحد إلا أحبه .

كان له مفرش في الحجر ، ما يجلس عليه غيره ، ولا يجلس عليه أحد .

وكان الندوى من قريش ، حرب بن أمية فبن دونه ، يجلسون دون المفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على الفرش ، فغذبه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك بعد ما كف بصره : ما لابنى يبكى ؟ فقالوا : أراد أن يجلس على الفرش فنعموه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابنى يجلس عليه ، فإنه يحس من نفسه بشرف ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

قال : ومات عبد المطلب ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثمان سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكى ، حتى دفن بالحجون قال : ودفن عبد المطلب بالحجون .

ولمّا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب ، لأن أبا طالب وعبد الله ، كانا أخوين لأم ، وقد كان الزبير لأمهما .

غير أن فى سبب تقديم أبى طالب ثلاثة أقوال : أحدها ، وصية عبد المطلب إليه .

والثانى ، أنهما اقترعا ، فخرجت القرعة لأبى طالب .

والثالث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره .

الباب السادس والثلاثون

في ذكر كفالة أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لما توفي عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له .

إن كان يحبه حباً شديداً ، لا يحبه ولده .

وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصب^(١) به أبو طالب صبابة لم يصب مثلاً بشيء قط .

وقد كان يحنه بالطعام .

وإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى ، لم يشبعوا .

وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا .

فكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابني .

فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهم ، فكانوا يفضلون

من طعامهم .

وإذا لم يكن معهم ، لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك كمبارك .

(١) قوله : « صب به أبو طالب الخ » أي : أحب النبي صلى الله عليه وسلم

حباً شديداً لم يحب أحداً مثله .

وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحيلًا .

• عن عمرو بن سعيد قال : كان أبو طالب يُلقَى له وسادة يقعد عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب : وآله ربيعة إن ابن أخي ، ليحس بنعم .

• عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى الحجاز ، ومضى ابن أخي ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركني المطش ، فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخي قد عطشت ، وما قلت له ، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع .

قال : فتى وركه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قال : قلت : نعم . فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، فشربت .

البَابُ السَّابِعُ وَالشَّلَاثُونَ

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى

• عن داود بن الحسين قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام ،
خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى ، وهو ابن
اثنى عشرة سنة .

فلما نزل الركب ، بصرى ، من الشام ، وبها راهب في صومعة له ،
وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة ، يتوارثونها عن كتاب
يدرسونه .

فلما نزلوا بدير بحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم .
حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته ، قد كانوا
ينزلونه قبل ذلك ، كلما مروا - صنع لهم طعاماً ودعاهم .

ولما حمله على دعائهم ، أنه رآهم حين طلوعوا وغامة تظلل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من دون القوم ، حتى نزلوا تحت الشجرة .

ثم نظر إلى تلك الغامة أظلت تلك الشجرة ، فاخضت أغصان الشجرة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرى ذلك ، نزل عن صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأُتي به ،
وأرسل إليهم فقال :

إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأننا أحب أن تحضروه
كلكم ولا تخلوا منكم صغيراً ولا كبيراً ، حرّاً ولا عبداً ، فإن هذا
شيءٌ تكرموني به .

فقال له رجل : إن لك لشأناً يا بحيري ، ما كنت تصنع هذا ، فما شأنك
اليوم ؟ قال : إني أحب أن أكرمكم ، ولكم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم
لحدائة سنه ، ليس في القوم أصغر منه ، في رحلهم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيري إلى القوم ، ولم ير الصفة التي يعرف ويحدها عنده ،
وجعل ينظر ، فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها متخلفة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بحيري : يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي .

قالوا : ما تخلف أحد ، إلا غلام وهو أحدث القوم سناً في رحلهم .

فقال : ادعوه ، ليخضر طعامي .

فما أقبح أن تحضروا ، ويتخلف رجل واحد ، مع أني أراه من
أنفسيكم .

فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخي هذا الرجل ،
يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب .

فقال الحرث بن عبد المطلب : والله إن بنا للؤم أن يتخلف ابن
عبد المطلب من بيننا .

ثم قام إليه ، واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة
تسير على رأسه .

وجعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء فى جسده ، قد كان يحدها عنده فى صفته .

فلما تفرقوا عن الطعام ، قام إليه الراهب وقال :
يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ، إلا أخبرتنى عما أسألك .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله
ما أبغضت شيئاً بفضهما .

قال : فبالله ، إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . قال : سئلى عما بدا لك .
قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عنده .
ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين
كتفيه على موضع الصفة التى عنده ، فقبّل موضع الخاتم .
فقال قريش : إن لمحمد عند الراهب لقدراً .

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب ، يخاف على ابن أخيه .
فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟
قال أبو طالب : هو ابنى .

قال : ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .
قال : فابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك ، وأمه حامل به .

قال : ما فعلت أمه ؟

قال : توفيت قريباً .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود .

فوالله ، لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ، لبيغنه (١) عتياً ، فإنه كائن ،
لابن أخيك هذا شأن عظيم ، نجده في كتابنا ، وما روينا عن آبائنا ، واعلم
أنى قد أدبت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريماً .

وكان رجال من يهود ، قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا
صفته فأرادوا أن يقتالوه ، فذهبوا إلى بحيري فذكروه أمره ، فنهام أشد
النهي وقال لهم : أتجدون صفته ؟

قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل : فصدقوه وتركوه .

ورجع أبو طالب ، فما خرج به سفرأ بعد ذلك ، خوفاً عليه .

• عن أبي بكر بن أبي موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام ،
وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش .

فلما أشرفوا على الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج
إليهم ولا يلتفت .

قال : فهم يحلون رحالهم ، فخرج إليهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء ، فأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك به ؟

قال : إنكم حين أشركتم من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر ، إلا خر

(١) قوله (لبيغنه عتياً) يريد : أن اليهود ربما اغتالوه أو حاولوا الإيقاع به

في الشرور .

ورواية ابن هشام (لَبِغْنَهُ شَرًّا) .

ساجدا ، ولا يسجدون إلا لني ، وأنا أعرف خاتم النبوة [في أسفل (١)]
من غضروف كعفه مثل التفاحة .

ثم رجع ، فصنع لهم طعاما .

فلما أتاها به ، وكان هو (٢) في رعيه للإبل ، فقال : أرسلوا إليه .

فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم ، إذا هم قد سبقوه إلى
في الشجرة .

فلما جلس ، مال في الشجرة عليه فقال : انظروا إلى في الشجرة
مال عليه .

فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن
الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة ، فقتلوه .

فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر ، قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال :
ما جاء بكم ؟

قالوا : أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق
إلا بئث إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره فُبِعِثْنَا إلى طريقك هذه .

فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا .

قال : أفرايتم أمرا أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس
رده ؟ قالوا : لا . [فبايموه وأقاموا معه (١)] .

ثم قال : أنشدكم الله ، أيكم وليه ؟ قال أبو طالب : أنا .

فلم يزل يناشده ، حتى رده ، فزوده الراهب من الكعك (٣) .

(٢) أي النبي .

(١) من شرح اللواهب ١٩٥/١

(٣) قال البيهقي : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي . وضمف الذهبي هذا

الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

الفجار اثنان : الفجار الأول ، والفجار الثاني .

أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وكانت الحرب فيه ، ثلاث مرات .

أما المرة الأولى ، فسيها أن بدر بن معشر الفجاري ، كان يفتخر على الناس .

فبسط يوما رجليه وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني ، فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له « الأحمر بن مازن » فضربه بالسيف على ركبته فأندرها (١) فاقتتلوا .

• وأما المرة الثانية فكان سيها أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة ، فسألوها أن تُسِفِرَ (٢) فأبت .

فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحلّ طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة .

(١) أندرها : أى : قطعها .

(٢) أى : تكشف عن وجهها فامتنت .

فلما قامت ، انكشف دُبُرُهَا ، فضحكوا وقالوا : منعينا النظر
إلى وجهك ، وجُدِّتِ لنا بالنظر إلى دبرك !
فنادت : يا آل عامر .

فتنادوا بالسلاح ، واقتتلوا مع بني كنانة ، ووقعت بينهما دماء ،
فتوسطها حرب بن أمية ، وأرضى بني عامر من مُثَلَّةٍ صاحبتهم .

• وأما المرة الثالثة فكان سببها أنه كان لرجل من بني جشم بن عامر
دَيْنٌ على رجل من بني كنانة فلواه به (١) ، فجرت بينهما خصومة ، واقتتل
الحَيَّان ، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله .

وهذه الأيام لم يحضرها صلى الله عليه وسلم .

وأما الفجار الثاني فكان بين هوازن وقريش ، وإنما سمي الفجار لأن
بني كنانة وهوازن ، استحلوا الحَرَمَ ، ففجروا ، فاقتتل الفريقان .

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« كنت أنبئ على أعمامى يوم الفجار » أى أناولهم النبيل .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أربع عشرة سنة ، ويقال :
عشرون سنة .

(١) أى ما طله بأداء الدين .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

وسبب هذا الحلف أن قريشاً كانت تتظالم في الحرم .

فقام عبد الله بن جدعان ، والزبير بن عبد المطلب ، فدعوا إلى التحالف على التناصر من الأخذ المظلوم من الظالم ، فأجابوها ، وتجالقوا في دار ابن جدعان .

عن أبي عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من اليمن ، قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها رجل من بني سهم ، فلوى (١) الرجل بحقه ، فسأله ماله فأبى عليه ، فسأله متاعه فأبى عليه ، فقام على الحجر وقال :

يَا آلَ قَهْرٍ لِمَ ظَلُمَ بِضَاعَتُهُ بِيَطْنِ مَكَّةَ نَائِي (٢) الدَّارِ وَالنَّفَرِ أَقَاتِمُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالٍ مَالٍ مُعْتَمِرٍ

قال : وقال بعض العلماء إن قيس بن شبة السلمي باع متاعاً من أبي ابن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار رجل من مُجَحِّح فلم يقم بجواره ، فقال قيس :

يَا قُصَيُّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخْلَاقِ الْكَرَمِ

أُظْلِمُ لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

فقام العباس وأبوسفیان ، حتى ردوا عليه حقه .

(١) لواه : مطله .

(٢) أي : بعيدة داره وعشيرته .

واجتمعت رجال من قيس في دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا على رد الظلم بمكة ، وأن لا يظلم أحد إلا ممنوعه ، وأخذوا له بمحقة ، وكان حلقهم في دار عبد الله بن جدعان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ حلقاً في دار ابن جدعان ، ما أحب أن لي به حمر النعم . ولو دعيت به في الإسلام لأجبت » .
فقال قوم من قريش : هذا والله فضل من الحلف ، فسمى حلف الفضول .
قال الزبير : وقال آخر : وتحالفوا على مثال حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر ، أن لا يقرؤا ظمناً ببيتن مكة إلا غيروه .

وأسماءهم الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاة .
قال الزبير : وحدثني عبد العزيز بن عمر العنسي قال : أهل حلف الفضول :
بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ،
وبنو تميم ، تحالفوا بالله ، أن لا يظلم أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه ، شريفاً ووضيعاً .

قال الزبير : وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه ، قال : إنما سمي حلف الفضول : أنه كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم ، فضيل ، وفضال ، ومفضل ، وفضل ، فلذلك سمي حلف الفضول .

قال : وحدثني محمد بن حسين عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال : إنما سميت قريش هذا الحلف حلف الفضول : أن نفرأ من جرهم يقال لهم ، الفضل ، وفضال ، والفضل ، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه الفضائل .

• عن معروف بن خربوذ قال : تداعت بنو هاشم وبنو المطلب ، وأسد ، وقيم وتحالفوا على أن لا يدعوا بمكة كلمة ولا في الأحابيش

مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه ، حتى يردوا عليه مظالمته ، أو يُبَلِّغُوا في ذلك عذراً .

وكره ذلك المطيعون والأحلاف بأسرهم ، وسمّوه حلف الفضول ، عِيَّالَه .

وقالوا : هذا من فضول القوم . وسمى حلف الفضول .

• عن حكيم بن حزام أنه قال : كان حلف الفضول مُنْصَرَفَ قريش من الفجار ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة . وأخبرني غير الضحّاك قال : كان الفجار في شوال ، وهذا الجلف في ذى القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط .

وأول من دعا إليه ، الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم ، وبنو زهرة ، وتيم ، في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا : لِيَكُونَنَّ مع الظلوم حتى يُوَدَّى إليه حقُّه ما بَلََّ بحرٌ صوفة [وعلى] التَّاسِي في المعاش .

فسمَّت قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول .

• عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لي بحلفٍ حضرته في دار ابن جُدعان ، حُرَّ النِّعم ، ولو دُعيت له لأجبت » وهو حلف الفضول .

قال محمد بن عمرو : لا يعلم أحد سبق من بنى هاشم بهذا الحلف .

• عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شهدت حلف الفضول مع عموقي ، وأنا غلام ، فأحب أن لي حمر النعم وأنى نكثته » .

• وقد ذكر محمد بن حبيب الهاشمي أن هذا الحلف كان قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

الباب الأربعون

في ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد به قبل النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن الصبا يَبْغُضُ الأصنام ،
ولا يلتفت إليها .

وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ، ولا يقرب
منها ، ويعيبها .

عن ابن عباس قال : حدثني أم أيمن قالت : كانت بُؤَاةً صنماً ،
تحضره قريش وتعظمه ، وتنسك له المناسك^(١) ويحلقون رؤوسهم عنده ،
ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يومٌ في السنة .

وكان أبو طالب يحضره مع قومه .

وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه ،
فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته^(٢) غضبن عليه أشد
الغضب ، وجعلن يقلن :

إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا .

وجعلن يقلن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تكثر لهم جمعاً .

(١) أي يذبحون له الذبائح كما يذبح في هذا الزمان للسيد البدوي وغيره من
ذوى الأضرحة ، ولا شك أن هذا شرك وأن تلك الذبائح في حكم الميتة لا يجوز
أكلها لأنهم أهلوا لغير الله .

(٢) في الأصل (عمامته) وهو تحريف .

فلم يزالوا به ، حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع فزعاً
مرعوباً ، فقلن له عماته (١) : ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لم (٢) .
فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ،
فما الذي رأيت ؟

قال : إني كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لي رجل أبيض طويل ،
يصيح بي : وراءك يا محمد لا تمسه .

قالت : فما عاد إلى عيدهم ، حتى نُبِّي صلى الله عليه وسلم .

• عن محمد بن عمرو عن أشياخه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبحيرى : « لا تسألني باللات والعزى ، والله ما أبغضت شيئاً بغضهما » .

• قال أحمد بن حنبل : من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على دين قومه ، فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب .
قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متديناً
قبل بعثته ، وورث الوحي عليه ، بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم .

فأما بعد مبعثه ، فهل كان يتعبد بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان :
أحدهما : أنه كان متعبدًا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي
إليه ، لا من جهتهم ولا بعلمهم ، ولا كتبهم المنزلة .

واختاره أبو الحسن التميمي ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة .

والرواية الثانية : أنه لم يكن يتعبد بشيء من الشرائع ، إلا ما أوحى
إليه في شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية .

(١) قوله « فقلن له عماته » هذا التعبير إنما يتمشى على لغة « أكلوني البراغيث »
والفصيح أن يقال : « فقالت له عماته الخ » ، لأن الفعل على اللغة الفصحى الراجعة
لا تلحقه علامة التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعاً .

(٢) أى : مس من الشيطان .

ولأصحاب الشافعي قولان كالروايتين .
قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله ، بأى شريعة كان متعبدًا .
فقال بعضهم : بشريعة إبراهيم خاصة . وإليه ذهب أصحاب الشافعي .
وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبدًا بشريعة موسى ، إلا ما نسخ في شرعنا .
وظاهر كلام أحمد ، أنه كان يتعبد بكل ما صح أنه شريعة النبي قبله ،
ما لم يثبت نسخه . يدل عليه قوله تعالى :
« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَمِنْهُمْ مَنِ اقْتَدِهْ (١) » .

وقال ابن قتيبة : لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل .
من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق ، إذا كان ثلاثًا ،
وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنين ، ودية النفس مائة من الإبل ،
والفصل من الجناية ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من الإيمان بالله
والعمل بشرائعهم في الختان والفصل والحج .

قال : وقوله تعالى « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ (٢) » .
يعنى به شرائع الإسلام ، ولم يرد به الإيمان الذى هو الإقرار بالله .
لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك ، كانوا يؤمنون بالله ، ويحجون له
مع شركهم .

(١) سورة الأنعام . الآية ٩٠

(٢) سورة الشورى . الآية ٥٢ وتامها : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ
نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

البَابُ الْكَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

في ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة
وهو ابن عشرين سنة وأخبر بها عمه أبا طالب

سأل عبد الله بن الزبير عُبَيْد بن حُمَيْر عن مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال :

أحدثك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شكا ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب
فقال : أَعْمُ (١) ، إني منذ ليال يأتيني آتٍ معه صاحبان له ، فينظرون إلي
ويقولون : هو هو ، ولم يأن له . فإذا كان رأيك كرجل منهم ساكت (٢)
فقد هالني ذلك .

فقال : يا ابن أخي ليس بشيء حلت .

ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك ،
فأدخل يده في جوفي ، حتى إني لأجد برزخا .

فرجع به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبّب بمكة ، فحدثه حديثه ،
فقال : عالجّه .

فصوّب به ، وصعد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كفيه ، وقال :
يا ابن عبد مناف ، إبنك هذا طيب طيب ، للخير فيه علامات ، إني

(٢) كذا . ولم أجده .

(١) أي : يا عم .

ظفرت به يهود ، قتلته ، وليس الرأى من الشيطان ، ولكنه من النواميس
الذين يتجسسون القلوب للنبوة .

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسست حساً ما شاء الله ،
حتى رأيت في منامى رجلاً وضع يده على منكبي . ثم أدخل يده فأخرج قلبي
ثم قال : قلب طيب ، في جسد طيب ، ثم رده ، فاستيقظت .

ثم قال : رأيت وأنا نائم سقف البيت الذى أنا فيه نزلت خُشْبُهُ ،
وأدخل سلم فضة ، ونزل إلى منه رجلان ، فجلس أحدهما جانباً ، والآخر
إلى جنبى ، فنزع ضلع جنبى ثم استخرج قلبي ، فقال : نِعَم القلب قلبه ، قلب
رجل صالح ونبي مبلغ ، ثم ردا قلبي مكانه وضامى ، ثم صعدا .
فاستيقظت والسقف على حاله .

فشكوت إلى خديجة فقالت : لا يصنع الله بك إلا خيراً (١) .

(١) هذا الخبر لا يصح ، وإليه أشار القسطلانى بقوله : وروى شق صدره
مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ، ولا تثبت . فلا تذكر إلا مقرونة
بعدم الثبوت ، المواهب ١ / ١٥٣

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

فِي ذِكْرِ رَعِيَةِ الْغَنَمِ

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم ، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد بإخراجه البخاري .

قال سويد بن سعيد : يعني كل شاة بقرابط .

وقال إبراهيم الحزبي : قراريط : موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة .

قال ابن عقيل : لما كان الراعي يحتاج إلى سعة خلق ، وانشراح صدر للمدارة ، وكان الأنبياء مُعَدِّين لإصلاح الأمم حَسُنَ هذا في حقهم .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن الراهب ، أنبأنا القطيعي ، حدثنا
عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا
عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن السائب بن أبي السائب أنه
كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة .

فلما كان يومُ الفتح ، جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري .

يداري : مهموز ، بمعنى يشاغب ، ويخاصم صاحبه .

الباب الرابع والأربعون

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام
مرة أخرى في تجارة خديجة

عن نفيسة بنت مُنية أخت يعلَى بن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب :
أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عيرُ قومك قد
حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد ، تبعث رجالاً من قومك
في عيراتها ، فلو جئتها ، فعرضت نفسك عليها ، لأسرعت إليك .
وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه في ذلك وقالت :
أنا أعطيك ضعف ما أُعطي رجلاً من قومك .
فقال أبو طالب : هذا رزق ساقه الله لك .
فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير .
حتى قدموا بُضرى من أرض الشام ، فنزلوا في ظل شجرة ، فقال
نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي (١) .
ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم .

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير
أنبياء . والشجر لا يعمر في العادة هذا العمر للطويل .
أقول : لا مانع عقلاً ، من أن تكون الشجرة قد عمرت طويلاً ، وصرف الله
أن ينزل تحتها غير الأنبياء ، ولا داعي لتحكيم الحكم العادي في مثل هذا الأمر .
والله يفعل ما يريد .

قال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء .

ثم باع سلحته ، فوقع بينه وبين رجل تلاح^(١) فقال له : احلف بالللات والعزى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط ، وإني لأمرُ بهما ، فلا ألتفت إليهما .

فقال الرجل : القولُ قولك .

ثم قال لميسرة : هذا والله نبي ، تجمده أحبارنا منعوتاً في كتابهم .

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون .

ودخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلَّة^(٢) لها .

فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، ومذ كان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فمجنين لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا في وجوههم . فسرَّت بذلك .

فلما دخل عليها ميسرة ، أخبرته بما رأت .

فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .

وأخبرها بما قال الراهب نسطورا ، وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

(١) خلاف ومنازعة كما يستفاد من الصحاح والقاموس .

(٢) العلية : بضم العين وكسر اللام المشددة وبمدها ياء مفتوحة مع التشديد قال في الصحاح : وقال بعضهم : هي العلية بكسر العين واللام المشدتين ووزنها « قُعِيلَة » الحجرة المرتفعة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي تَرْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ

• عَنْ نَفِيسَةَ بِنْتِ مُنَبِّهَةَ قَالَتْ :

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّامِ دَخَلَ مَكَّةَ ، وَخَدِيجَةُ فِي عُلْيَا لَهَا فَرَأَتْ مَلَكَ يَظْلُمُهَا .

وَكَانَتْ جَلْدَةً حَازِمَةً ، وَهِيَ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا .

وَكَلَّ قَوْمُهَا حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا ، لَوْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ .

قَدْ طَلَبُوهَا ، وَبَذَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ .

فَأَرْسَلْتَنِي دَسِيسًا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الشَّامِ .

فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟ قَالَ : مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ .

قُلْتُ : فَإِنْ كُنْتَ ذَلِكَ ، وَدَعَيْتَ إِلَى الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ
وَالْكَفَاءَةِ ، أَفَلَا تَجِيبُ ؟

قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟

قُلْتُ : خَدِيجَةُ :

قَالَ : وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ ؟

قُلْتُ : عَلَى .

قَالَ : فَأَنَا أَفْعَلُ .

فَذَهَبْتُ فَأَخْبَرْتُهَا ، وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : أَنْ لَا يَتَّعِظَ كَذَا وَكَذَا .

وأرسلت إلى عمها ، عمرو بن أسد ليزوجها .
فخضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته . فتزوجها ، وهو
ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ، بنت أربعين سنة .
وقد روى أن أباها زوجها ، وليس بصحيح لأن أباها مات قبل الفجار .
وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئى^(١)
معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسؤاس^(٢) حرمة ، وجعل لنا
يتما محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس .
ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل ، إلا رجحه ،
وإن كان في المال قلا ، فإن المال ظل زائل ، وحوال حائل .
ومحمد من قد عرقم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها
من الصداق ، ما آجله وعاجله من مالى .
وهو - والله ، بعد هذا - له نبأ عظيم ، وخطر جليل » .
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل ، فلم يقضَ بينهما نكاح .
فتزوجها أبو هالة ، واسمه هند ، وقيل : مالك بن النباش^(٣) .
فولدت له هنداً ، وهالة وهما ذكران .
ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي ، فولدت له جارية اسمها ، هند .
وبعضهم يقدم عتيقا على أبي هالة .
ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل أولاده منها ، إلا إبراهيم .

(١) الضئى : الأصل . (٢) سواس : كراس وزنا ومعنى .

(٣) في المواهب ١/١٩٩ : واختلف في اسم أبي هالة فقيل : مالك .

وقيل : زرارة ، وقيل : هند ، وقيل : اسمه النباش .

الباب السادس والأربعون

في ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان الكعبة
ووضعه الحجر بيده

- أول وضع البيت ، أن الله تعالى أنزل البيت المعمور ، فجعله مكان الكعبة ، وكان ياقوتة حمراء ، ثم رفع ، وبني آدم مكانه ، البيت . ثم بناه أولاده بالطين والحجارة .
- ثم غرق في زمن نوح ، وبقي مكانه أكمة ، لا يعلموها السيول ، إلى أن بناه الخليل .
- ثم بنته العمالة ، ثم بنته جرهم ، ثم بنته قريش .
- عن طلحة قال : وجد في البيت حجر منثور في الهدمة الأولى . فدعى رجل ، فقرأه ، فإذا فيه :
عبدى المتعجب للتمكن الثابت المختار .
- مولده بمكة ، ومهاجره ، طيبة ، لا يذهب حتى يقيم الملة السوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته المهادون ، يحمدون الله تعالى بكل أكمة ، يأتزون على أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم .
- فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وثلاثين سنة ، هدمت قريش الكعبة وبنتها ، لأنها كانت قد تضعفت بالسيل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة .

فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختصموا ، فكل قبيلة تريد أن ترفعه ،
حتى تواعدوا للقتال .

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم في الدم ،
وتعاقدوا على الموت . فسموا لكفة الدم .

فمكثوا على ذلك ليالى ثم تشاوروا . فقال أبو أمية بن المغيرة ، وهو
رأس قريش : اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد .

فكان أول من دخل عليهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال :

« هلموا ثوباً » فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ ، فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« لَتَأْخُذُ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً » .

حتى إذا بلغوا به موضعه . وضعه بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُنْزَلَ

عليه ، الأمين .

أَبْوَابُ نَبَوْتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في ذكر الهوائف بذوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النَّضَرِ بْنِ سَفْيَانَ الْهَذَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

خَرَجْنَا فِي عَيْرٍ لَنَا ، إِلَى الشَّامِ .

فَلَمَّا كُنَّا بَيْنَ الزَّرْقَاءِ ، وَمَعَانَ ، وَقَدْ عَرَّسْنَا (١) مِنَ اللَّيْلِ ، إِذَا بِفَارِسٍ يَقُولُ [وَهُوَ بَيْنَ السَّمَاءِ (٢) وَالْأَرْضِ] أَيُّهَا النَّيَّامُ ، هُبُّوا ، فَلَيْسَ هَذَا بِحَيْنِ رُمَادٍ ، قَدْ خَرَجَ أَحَدٌ ، وَطُرِدَتِ الْجَنُّ كُلَّ مَطَرْدٍ .

فَفَزَعْنَا وَنَحْنُ رُقُقَةٌ [حَزَاوِرَةٌ (٣)] كُلُّهُمْ قَدْ سَمِعَ هَذَا .

فَرَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا ، فَإِذَا هُمْ يَذْكُرُونَ اخْتِلَافًا بِمَكَّةَ بَيْنَ قُرَيْشٍ ، وَنَبِيِّ خَرَجَ فِيهِمْ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، اسْمُهُ أَحَدٌ .

• عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيِّ قَالَ : بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ فِي مَوْخَرِ الْمَسْجِدِ .

(١) قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ : « يُقَالُ عَرَسَ ، إِذَا نَزَلَ الْمَسَافِرُ لِيَسْتَرْحِمَ نَزْلَةً ثُمَّ يَرْتَحِلُ » قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَقَالُوا : عَرَسَ الْقَوْمُ فِي الْمَنْزِلِ تَعْرِيسًا : إِذَا نَزَلُوا أَى وَقْتُ كَانَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَالْإِعْرَاسُ دُخُولُ الرَّجُلِ بِامْرَأَتِهِ ، وَالتَّعْرِيسُ نَزُولُ الْمَسَافِرِ لِيَسْتَرْحِمَ .
(٢) لَيْسَتْ هُنَاكَ أَهْمِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ وَلَا عَمَلِيَّةٌ لِهَذَا الْبَابِ ، وَنُبُوءَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُؤَيِّدَهَا هَاتِفٌ أَوْ يُتَّبَعُ بِهَا كَاهِنٌ ، فَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى حَقَائِقِ الْحَيَاةِ وَشَهَادَةِ التَّارِيخِ . وَمَنْ هُنَا فَإِنَّا نَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُؤَلِّفُ وَتَابِعَ فِيهَا مَوْلَانِي السَّيْرَةَ عَلَى أَنَّهَا طَرَائِفٌ ، لَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا شَيْءٌ .

(٣) مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ . وَالْحَزَاوِرَةُ : جَمْعُ حَزُورٍ وَهُوَ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف المارء ؟

قال : من هو ؟ [قال : هذا] سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له شرف وموضع ، وهو الذى أتاه رثيه (١) يخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : على به .

فدما به فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

[قال : فأنت الذى أتاك رثيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم] (٢) .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

[فغضب غضباً شديداً ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد ، منذ أسلمت .

فقال عمر : سبحان الله ، والله ما كنا عليه من الشرك ، أعظم ما كنت (٣) عليه من كهانتك] .

أخبرنى يأتیان رثيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

بينما أنا نائم ذات ليلة ، إذ أتانى آتٍ فضربنى برجله وقال :

قم يا سواد ابن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

(١) الرثى : القرين من الجن .

(٢) من دلائل النبوة لأبى نعم . وقد سقط من الأصل .

(٣) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، وهو سقط بالأصل .

لأنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ يقول :

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَتَجَسَّسْتُهَا وَشَدَّهَا الْمَيْسَ بِأَحْلَاصِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهُدَى مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَارِجَانِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَأَسْمُ بَعِيْنِكَ إِلَى رَأْسِهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً ، وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .
فلما كان فى الليلة الثانية ، أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم ، واعتقل ، إن كنت تعقل .
لأنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ الجنى يقول :

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلُبُهَا وَشَدَّهَا الْمَيْسَ (١) بِأَقْتَابِهَا (٢)
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكْذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَاذَنَاهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .
فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم واعتقل ، إن كنت تعقل .

(١) الميس : بكسر الميم الإبل البيض التى يخالط بياضها شيء من الشقرة ،
واحدها أعيس والآنثى عيساء بينة الميس بفتح التين ، ويقال : هى كرائم الإبل اه
من المختار من الصحاح .

(٢) قال فى الصحاح : القتب : رحل صغير على قدر السنام ، وفى القاموس مثله .

إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وعبادته .

ثم أنشأ الجنى يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بَأْكُورِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغَى الْهُدَى مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكْفَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فوقع في قلبي حب الإسلام ، ورغبت فيه .

فلما أصبحت ، شددت على راحلتي ، وانطلقت متوجهاً إلى مكة .

فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة .

فقدمت المدينة فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي : في المسجد .

فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله ، فقلت : تسمع مقاتلي يا رسول الله . فقال لأبى بكر « أَذْنُهُ أَذْنُهُ » .

فلم يزل بي حتى صرت بين يديه .

فقلت : اسمع مقاتلي يا رسول الله .

فقال : « هات . فأخبرني بإتيانك ربيك » فقلت :

أَتَانِي . نَجِيٍّ (١) بَعْدَ هِدْيٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيهَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ

(١) وتروى : ربي . والرئي : التابع من الجن .

فَشَمَرْتُ عَنْ ذَلِيلِ الْإِزَارِ وَوَسَّطْتُ فِي الدُّعْلِبِ (١) الْوَجَنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
 فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
 وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسَيْلَةٌ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
 فَمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ (٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
 وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمَنْعٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ
 قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامي فرحاً
 شديداً ، حتى رُئِيَ الفرح في وجوههم .

قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال :
 كنت أحب أن أسمع هذا منك [فهل يأتيك ربك اليوم ؟
 فقال : مذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوضُ كتاب الله من الجن] (٣) .
 • عن جابر قال : إن أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة كان لها تابع
 من الجن في صورة طائر ، فسقط على الحائط فقالت :
 مالك لم تأت تحدثنا ونحدثك ؟
 قال : إنه قد ظهر من منع القرار ، وحرّم الزنا علينا .
 • عن علي بن حسين قال : كانت امرأة من بني النجار يقال لها
 فاطمة بنت النعمان ، ولها تابع من الجن .

(١) الدُّعْلِبُ : الناقة السريعة . والسَّبَاسِبُ : جمع سبب وهي الصحراء .
 (٢) في أعلام النبوة : يا خير من مشى .
 (٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة ١٠٥ . هذا والخبر أيضاً في دلائل
 النبوة لأبي نعيم .

قال : فكان يأتيها ، فاتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وانقضَّ
على الحائط ، فقالت : مالك لم تأت كما كنت تأتي ؟
قال : قد جاء الذي يحرم الزنا والحمر .

• عن أبي هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : ألا
أخبرك بيده إسلامي ؟

بينما أنا في طلب نعم لي إذ جئني الليل بأبرق العزاف^(١) فناديت بأعلى
صوتي : أعوذ بعرز هذا الوادي من سفهائه .

ولإذا هاتف يهتف بي :

عُدَّ يَا فَتَى بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَالنِّعْمَاءِ وَالْإِفْضَالِ

وَاقْرَأْ بآيَاتِ مِنَ الْأَنْفَالِ وَوَحْدِ اللَّهِ وَلَا تُبَالِ

قلت (٢) :

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشَدُ عَنْكَ أَمْ تَضِلُّ

يَبِينُ لَنَا هُدَيْتَ مَا السَّبِيلُ ؟

فقال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَاتِ وَالنَّجَاتِ

يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَيَنْزِغُ النَّاسَ عَنِ الْهِنَاتِ^(٣)

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد .

(٢) في دلائل النبوة : قال : فارتعت من ذلك روعاً شديداً فلما رجعت إلى

نفسى قلت .

(٣) اقتصر المؤلف على هذا ، ولم يكمل القصة ، وهي في دلائل النبوة .

• عن عبد الله العُماني قال : كان فينا رجل يقال له مازن بن العضوبة
بَسْدَن صِنًا [بقرية يقال لها سمايا من عمان ^(١)] وكانت تعظمه قبائل .

قال مازن : فمترنا ذات يوم عند صنم عتيبة [وهى الذبيحة] فسمعت
صوتاً من الصنم يقول :

يَا مَازِنُ ائْتَمِعْ تُسَرِّ ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطْنٌ شَرٌّ ، بُعِثَ نَبِيٌّ مِنْ مُضَرَ ،
[بدين الله الأكبر] ^(٢) ، فَدَعُ نَحِينًا مِنْ حَرٍّ سَقَرِ .

قال : ففرغت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيبة أخرى ، فسمعت صوتاً
من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَى أَقْبَلِ ، تَسْمَعُ مَا لَا تَجْهَلُ ، هَذَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ،
جَاءَ بِحَقِّ مُنْزَلٍ فَأَمِنْ بِهِ كَيْ تَعْدِلَ ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْعَلُ ، وَتُودُّهَا بِالْجُنْدَلِ .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجب ، وإنه لخير يراد بى .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟

قال : ظهر رجل يقال له محمد ، يقول لمن أتاه : أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت .

فَنُزْتُ إِلَى الصْنَمِ فَكَسَرْتَهُ ، وَرَكِبْتُ رَاحِلَتِي ، حَتَّى قَدَمْتُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَرَحَ لِي الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْتُ .

• عن رجل من خثعم قال : كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام .

فبينما نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه فى شىء قد وقع بيننا [أن يفرق
بيننا ^(٢)] إذ هتف هاتف وهو يقول :

(١) ما بين القوسين من دلائل النبوة .

(٢) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، لا بى نعم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُورُوا الْأَجْسَامَ .
وَمُسْنِدُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ .
مَا أَنْتُمْ وَطَائِشُ الْأَحْلَامِ .
هَذَا نَبِيُّ سَيِّدِ الْأَنَامِ .
أَعْدَلُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْحُكَّامِ .
يَصْدَعُ بِالثَّوْرِ وَبِالْإِسْلَامِ .
وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ .
مُسْتَعْلِنٌ^(١) فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

ففرعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً .
حتى بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، ثُمَّ قَدِمَ
الْمَدِينَةَ ، فَجِئْتُ فَأَسَلْتُ .

• عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ حَاجَتِي ، فَأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ .
فَقُلْتُ : أَنَا فِي جَوَارٍ عَظِيمٍ هَذَا الْوَادِي اللَّيْلَةَ .

قَالَ : فَلَمَّا أَخَذْتُ مَضْجَعِي إِذَا أَنَا بِمَنَادٍ يَنَادِي لَا أَرَاهُ :
عُدْ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيرُ أَحَدًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قَدْ خَرَجَ الرَّسُولُ
الْأَمِينُ ، رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَلِينَا خَلْفَهُ بِالْحِجْجُونَ^(٢) وَأَسْلَمْنَا وَاتَّبَعْنَاهُ ، وَذَهَبَ
كَيْدُ الْجِنِّ وَرَمِيَتْ بِالشَّهْبِ ، فَانْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَسْلِمَ .

(١) أَيْ : ظَاهِرُ أَمْرِهِ .

(٢) قَالَ فِي الْخِتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ : الْحِجْجُونَ : بَفَتْحِ الْعِجَاءِ ، جَبَلٌ بِمَكَّةَ وَهِيَ مَقْبَرَةٌ

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسبق إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخصوص ، حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
● عن خويلد الضمري قال :

كنا عند صنم جلوساً ، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح :
ذهب استراق الوحي ، ورُمي بالشَّهْبِ لنبي مكة ، اسمه أحمد ، مهاجرة
إلى يثرب ، يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصلوات للأرحام .

فقمنا من عند الصنم فسألنا قالوا : خرج نبي من مكة اسمه أحمد .
● عن جبير بن مطعم قال : كنا جلوساً عند صنم ببوابة قبل أن يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، نحرنا جزوراً .

فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا العجب ، ذهب استراق الوحي ،
ورمي بالشَّهْبِ لنبي بمكة ، اسمه أحمد ، مُهاجرة (١) إلى يثرب .

فأمسكنا وعجبنا . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن العباس بن مرداس قال لما حضرت أبي الوفاة ، أوصاني بصنم
له يقال له صَمَار (٢) . فجعلته في بيت . وكنت آتيه كل يوم مرة .

فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الليل راغى ،
فوثبت إلى صمار مستغيثاً فإذا بالصوت من جوف وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلُّهَا هَلَاكَ الْأَنْبِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

(١) أى : موضع هجرة . و « يثرب » هى المدينة المنورة .

(٢) الأصل : صَمَاد . وما أثبتته رواية ابن هشام .

أُودَى (١) ضَمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى
فَكَيْمَتُهُ النَّاسَ . فلما رجع الناس من الأحزاب ، سمعت صوتا في مناهي

يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة المضياء .

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت .

• عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سُوَاع .

بالمعلاة ، تدين له هذيل ، وبنو ظَفَرٍ مِنْ سُلَيْمٍ .

فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية بنى سُلَيْمٍ إِلَى سُوَاعٍ .

قال : فَأَتَيْتُهُ فَأَلْقَيْتُهُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى صَنْمٍ قَبْلَ سُوَاعٍ ، فَإِذَا صَارَخَ بِصَرْخِ

مِنْ جَوْفِهِ : الْمُعْجَبُ كُلُّ الْمُعْجَبِ ، مِنْ خُرُوجِ نَبِيٍّ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، مُحَرَّمٌ

الزَّنا وَالرِّبَا وَالذَّبْحُ لِلْأَصْنَامِ ، وَحَرَسَتْ السَّمَاءُ وَرُمِينَا بِالشُّهُبِ .

ثم هتف صنم آخر من جوفه : تَرِكَ الصَّمَارَ ، وَكَانَ يُعْبَدُ ، خَرَجَ النَّبِيُّ

عَمْدُ ، بِصَلَى الصَّلَاةِ ، وَيَأْمُرُ بِالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْبِرِّ ، وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ .

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى

نَبِيٌّ يُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ وَبِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ

قال راشد : فَأَلْقَيْتُ عِنْدَ سُوَاعٍ ، ثَمَلَيْنِ مَعَ الْفَجْرِ يَلْحَسَانِ مَا حَوْلَهُ ،

وَيَا كِلَانَ مَا يُهْدَى ، ثُمَّ يَعْوجَّانِ عَلَيْهِ بِيُولَهُمَا .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَرَبُّ بَيُّوْلُ الثَّمَلَيْنِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّمَالِبُ !

وَذَلِكَ عِنْدَ مَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الباب الثاني

في ذكر إلام الوحش بنبوته

• عن أبي عمرو الهذلي قال : حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له سَوَاع ، وقد سَقْنَا إليه الذبائح .

فكنت أول من قرَّب إليه بقرة سمينة ، فذبحتها على الصنم .

فسمعنا صوتاً من جوفها [يقول] : العجبُ كلَّ العجب ، خروج نبي بين الأخاشب ، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام . وَخُرِسَتِ السماء ورُمينا بالشُّهب .

فتفرقنا ، فقدمنا مكة ، فسالنا ، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق .

فقلت : يا أبا بكر ، أخرج أحد بمكة ، يدعو إلى الله تعالى يقال له أحد ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر .

فقال : نعم ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا .

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ . فأسلمنا بعده .

• عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ، ونحن في غزوة رודس يقال له ابن عنبس قال :

كنت أسوق بقرة لآل لنا ، فسمعت من جوفها .

يا آل ذريح : قول فصيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال : فقد منّا مكة ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة .

• عن أبي هريرة (١) قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تل فأقعى (٢) واستوفز (٣) وقال :

عمدت إلى رزق رزقنيه الله تعالى انتزعته مني ؟

فقال الرجل : بالله إن رأيت كالיום ، ذئب يتكلم !

قال الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات ، بين الحرّتين ، يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم .

وكان الرجل يهودياً (٤) فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقه النبي .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها أماراة من أمارات الساعة ، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع ، حتى تحدّثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده .

(١) رواه الماوردي في أعلام النبوة ٨٤ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) « أقعى » أى : جلس على أسفه (طيره) مفترشاً رجله ، ناصباً يديه .

(٣) « واستوفز » معرفة بالأصل : واستدفر . قال في الصحاح : « استوفز

في قعدته » إذا قعد قموذاً منتصباً غير مطمئن .

(٤) ذكر في أعلام النبوة أن الراعى كان يدعى عميراً السطائي ، وأنه سمي

بعد ذلك مكلم الذئب .

الباب الثالث

في ذكر أمارات النبوة التي رآها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل بعثته

• عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبعة^(١) يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمان سنين يوحى إليه .

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم .

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .
ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ، حتى فجأه الحق ، وجاءه الملك .

• عن أبي ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه ، يا محمد .

فإذا سمع الصوت ، انطلق هارباً .

فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال :

يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء .

إني إذا برزت ، أسمع شيئاً ينادى ، فلا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً .

(١) الأصل : سبع ، وما أثبتته من المواهب . وفيها : وثمان وستين يوحى إليه . وهو تحريف .

فَقَالَتْ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ .
فَأَسْرَتْ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ . وَكَانَ نَدِيمًا لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يِيده فَقَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ .
فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ لَعَلَّهُ بِمَا حَدَّثْتَهُ بِهِ خَدِيجَةٌ .
فَأَتَى وَرَقَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ .
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَلْ تَرَى شَيْئًا ؟
قَالَ : لَا . وَلَكِنِّي إِذَا بَرَزْتُ سَمِعْتُ النَّدَاءَ ، وَلَا أَرَى شَيْئًا ، فَأَنْطَلِقُ
هَارِبًا ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي يَنَادِي .
قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ ، إِذَا سَمِعْتَ النَّدَاءَ فَأَجِبْتَهُ لَهُ ، حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ .
فَلَمَّا بَرَزَ سَمِعَ : يَا مُحَمَّدُ . قَالَ : لَبِيكَ .
قَالَ : قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :
ثُمَّ قَالَ : قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ .
ثُمَّ أَتَى وَرَقَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ :
أَبْشِرْ ، ثُمَّ أَبْشِرْ ، ثُمَّ أَبْشِرْ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ أَحَدٌ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ
مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، يَوْشَكَ يَوْشَكَ أَنْ تُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ .
وَمَنْ أَمَرْتُ بِالْقِتَالِ ، وَأَنَا حَيٌّ فَلَا قَاتِلَ مَعَكَ .
فَاتِ وَرَقَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَأَيْتَ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ ،
عَلَيْهِ ثِيَابُ خَضَرٍ .

الباب الرابع

في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

- عن جابر بن سُمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » .
- عن علي بن أبي طالب قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة . فخرجنا في بعض نواحيها ، خارجاً من مكة ، بين الجبال والشجر ، فلم يُمرَّ بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .
- عن جابر بن سُمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كانت ليالي بُعِثْتُ ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .
- عن برة قالت : لما ابتدأ الله تعالى محمداً بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته ، أبعد حتى لا يرى بيتاً ويُفْضَى إلى الشَّعَاب (١) والأودية (٢) ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » . فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

(١) قال في المصباح « الشعب » بكسر الشين : الطريق . وقيل : الطريق في الجبل ، والجمع « شعاب » .

(٢) « الأودية » قال في المصباح : مفردة « الوادي » وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل .

الباب الخامس

في ذكر بسمه الوجي

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم .

فكان لا يرى رؤيا ، إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء .

فكان يأتي غار حراء ، يتحنّث فيه^(١) وهو التعبد ، الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها . حتى يجاه الحق وهو غائر^(٢) .

فجاه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت :

« ما أنا بقارى » .

فأخذني ففطني^(٣) حتى بلغ مني الجهد^(٤) ثم أرسلني^(٥) فقال : اقرأ .

قلت : « ما أنا بقارى » .

فأخذني ففطني الثانية . حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : « ما أنا بقارى » .

(١) البخاري : وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه .

(٢) البخاري : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

(٣) يضي : ضمن ضمة شديدة حتى بلغ التعب من نهايته .

(٤) يستفاد من استقرار الملجم أن الجهد - بفتح الجيم - مضاعف : غاية المشقة

والتعب وهو المراد هنا . (٥) أى : أطلقني من يديه .

فأخذني ففطنني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
 « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » حتى بلغ « مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١) .
 فرجع بها ترجف بواديه (٢) حتى دخل على خديجة فقال :
 زملوني ، زملوني .

فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع (٣) . فقال : يا خديجة مالي ؟
 وأخبرها الخبر .

قال : قد خشيت على نفسي .

فقالت له : كلاً ، أبشر ، فوالله لا يخریک (٤) الله أبداً ، إنك لتصل
 الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (٥) وتقرى (٦) الضيف ، وتعين على
 نوائب (٧) الحق .

(١) سورة العلق (١ - ٥) .

(٢) البخاري : فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل
 على خديجة .

(بواده) قال في الصحاح « والبوادر » من الإنسان وغيره . اللحمة التي بين
 النكب والعنق ، ومنه قول الشاعر حاتم :

وَجَاءَتِ الْخَلِيلُ مُحْمَرًا بَوَادِرُهَا بِأَلْمَاءٍ تَسْفَحُ مِنْ لَبَائِهَا الْعَلَقُ . ا هـ
 ومثله في القاموس .

(٣) الروع : بفتح الراء : الفزع . ا هـ . من المختار من الصحاح .

(٤) لا يخریک . أى لا يُذِلُّكَ الله ولا يهينك ولا يوقعك في شدة .

(٥) قال في الصحاح : الكل العيال والثقل ، قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
 مَوْلَاهُ) والكل أيضاً : اليتيم . والكل : الذي لا ولد له ولا والد . والمراد
 هنا : أنت تساعد من وقع في ضائقة . (٦) تقرى الضيف : تحسن إليه .

(٧) قال في المختار من الصحاح : النائبة : المصيبة . واحدة من نوائب الدهر ،
 والمراد هنا . تساعد من وقع في المصائب .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأاً تنصراً في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي (١) وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيه جذعا : ليتنى أكون حيّاً حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوُخْرِجِيّ هَمْ ؟

قال نعم ، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .

ولما يدركنى يومك ، أَنصُرْكَ نصراً مؤزراً (٢) .

ثم لم ينشب (٣) ورقة أن توفى .

وفتر الوحى حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كى يتردّى (٤) من رموس شواحق (٥) الجبال .

فكلماً أوفى بذروة (٦) جبل لكى يلتقى نفسه منه تبدّى (٧) له جبريل

(١) كذا بالأصل : العربى وهى رواية ، وفى البخارى : وكان يكتب الكتاب العربى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .

(٢) مؤزراً . أى : نصراً قوياً .

(٣) أى : لم يلبث ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة .

(٤) أى : يرمى نفسه . (٥) شواحق الجبال . أى : الجبال العالية .

(٦) أوفى بذروة جبل . أى : كلما أشرف ووصل إلى رأس جبل .

(٧) تبدى . أى : ظهر .

عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن (١) بذلك جأشه (٢) وتقرّ نفسه فيرجع .

فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لئلا ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال مثل ذلك .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه (٣) : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاء في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فنجيت (٤) منه رعباً (٥) ، فرجعت فقلت : زملوني (٦) . فذثروني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) .
أخرجاه .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ورقة ، لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : « سبوح سبوح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ، بينه وبين رسوله .

(١) أي : قهداً نفسه مما أصابها من الفزع .

(٢) قال في القاموس (الجأش) رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . ونفس الإنسان ، والمراد طي هذا (فيهدأ قلبه بزوال الفزع) .

(٣) البخاري : قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : بينا ... ويبدو أنه سقط منها ما هو موجود هنا من نسبة القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أي جلست على ركبتي . (٥) البخاري : فرعبت منه .

(٦) أي : لفوني وغطوني في ثوبي .

اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه ، فتحسري^(١) .
فإن يكن من عند الله ، لا يراه » ففعلت .

قالت : فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره ، فرجعت فأخبرت ورقة .
قال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ،
إلا بالتمن .

ثم قام ورقة ينتظر الدعوة .

● عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟
فقال : نعم .

فقالت : إذا جاءك ، فأخبرني .

قالت خديجة : فجاء جبريل ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة هذا
صاحبك الذي يأتيك قد جاء .

فقلت : قم فاجلس على نخذي . فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

فقلت : تمحّل فاجلس على نخذي اليسرى ، فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت خديجة : فطرحتم خماري .

فقلت : هل تراه ؟ فقال : لا .

فقلت : هذا ، والله ، ملكٌ كريم ، ما هو شيطان ، لا والله .

(١) فتحسري . أى : ألقى عن رأسك الغطاء .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يموت في شهر رجب ، فوافق ذلك شهر رمضان .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع : السلام عليك .
قال : فظننتها نجاة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ،
فسجنتي ثوباً^(١) وقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها .

فقلت : أبشر ، فإن السلام خير .

قال : ثم خرجت مرة أخرى ، فإذا بجبريل على الشمس ، جناح له
بالمشرق ، وجناح له بالمغرب .

قال : فهلت^(٢) منه فجئت مسرعاً ، فإذا هو بيني وبين الباب ، فكلمني
حتى أبيت به .

ثم وعدني موعداً فجئت له ، فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع .
فإذا أنا به ، وميكائيل ، قد سدّ الأفق .

فهبط جبريل فسلقني^(٣) لحلاوة القفا^(٤) ثم شق على قلبي فاستخرجه ،
ثم استخرج منه ما شاء أن يستخرج ، ثم غسله في طست من ذهب بماء
زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ، ثم ختم في ظهري . فقال :
« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » .

(١) فسجنتي ثوباً . أى : مدت على ثوباً غطتني به .

(٢) فهلت : كـ « وجلت » وزناً ومعنى أى : خفت . كما يستفاد من الصحيح .

(٣) فسلقني . أى : ألقاني على ظهري .

(٤) قال في الصحيح : حلاوة القفا بضم الحاء . أى : على وسط القفا . وكذلك
حلاوى القفا وحلاواء القفا . إذا فتحت (أى الحاء) مددت وإذا ضمنت قصرت .

فجعلت لا يلتقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

حتى دخلت على خديجة . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

• عن عبيد^(١) قال : كيف [كان] بدء [ما] ابتداء الله به رسوله

صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل ؟

فقال عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور الشهر من كل سنة ، يُطعمُ

من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر ، كان

أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل أن يدخل بيته ، يطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله [به] فيه [ما أراد] من كرامته

برسالته ، والسنة^(٢) التي بعثه الله فيها نبياً ، وذلك الشهر شهر رمضان ،

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله .

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل

من الله تعالى .

(١) الخبر رواه ابن إسحاق قال : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير

قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لمبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا

يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه

جبريل . قال : فقال عبيد .

(٢) ابن كثير : من السنة .

قال ابن إسحق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ .

قلت : وما أقرأ ؟ فغطاني حتى ظننت أنه الموت ، قال ذلك نلاماً .

ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود ، فقال : (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ) .

• عن ابن البراء قال : بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله
يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت ، وليلة الأحد .

ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في حراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل (« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ »
إلى قوله - مَا لَمْ يَعْلَمْ) فقط .

ثم فحص (١) بعقبه الأرض ، فنبع منها ماء ، فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين .

(١) فحص . أى . ضرب .

الباب السادس

في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوضوء والصلاة

• عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه في أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة .

فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من ماء ، فنضح بها فرجه .

قلت : لم يذكر كيفية الصلاة في هذا الحديث ، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال : « ركعتين » .

• وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله على المسلمين في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي ، ثم فرضي الخمس في ليلة المعراج .

وقد جاء في حديث : أنه صلى عند زوال الشمس في أول النبوة .

• وقال علماء التفسير : نزلت سورة « المزمل » بمكة .

فكان قيام الليل فرضاً عليه .

فكان يقوم ، ومعه طائفة من المؤمنين ، فشق ذلك عليه وعليهم .

فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى

مِنْ مُثُلَيْ اللَّيْلِ » (١) .

- وقال عطاء بن يسار ومقاتل بن سليمان : نزل قوله : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » بالمدينة . والأول أصح .
- وقال قوم : نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ » (١) ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس .
- وقيل : نسخ عن الأمة ، وبقي قرضه عليه .
- وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم .
- قال ابن عباس : كان بين نزول أول المزمل وآخرها ، سنة .

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

الباب السابع

في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية النبوة
بخديجة وعلى عليهما السلام

- عن ابن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال :
كنت امرأً تاجراً ، فقدمت للحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ،
لأبتاع منه بعض التجارة .
قال : إني ، فوالله ، لَعِنْدَهُ بـ « جِئَ » إذا رجل خرج من خباء (١)
قريب منه ينظر إلى الشمس ، فلما رآها ، قام يصلي .
ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ، الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت
خلفه تصلي .
ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء ، فقام معه يصلي .
قال : فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟
قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي .
قلت : من هذه المرأة ؟
قال : امرأته خديجة بنت خويلد .
فقلت : من هذا الفتى ؟

(١) بيت من صوف أو وبر ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة اهـ .
من المختار والصحيح .

قال : علي بن أبي طالب ابن عمه .

قلت : فما هذا الذي يصنع ؟

قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبي ، ولم يتبعه على أمره ، إلا امرأته وابن عمه ، هذا الفتى .

وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقيصر !

وكان عفيف ، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد ذلك
فحسن إسلامه - : لو (١) أن الله رزقني الإسلام يومئذ ، فأكون ثانياً مع علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه !

(١) « لو » هنا : للتمني على حد قوله تعالى (فلو أن لنا كرة فנקون من المؤمنين) سورة الشعراء الآية ١٠٢

الباب الثامن

في صفة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحياناً يأتيني في مثل صلصلة
الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم ^(١) عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً
يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه
وإن جبينه ليتفصد ^(٢) عرقاً .

• عن يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر بن الخطاب :

ليتني أرى نبي الله حين يوحى إليه .

فلما كان بالجمرة ^(٣) وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد
أظل به ، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر .

إذ جاءه رجل عليه جبة متضخمة بطيب ، فقال : يا رسول الله ، كيف
تري في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضحّج بطيب ؟

(١) يفصم ، أى : ينقطع عني كما يستفاد من القاموس .

(٢) يتفصد : أى يسيل من جبينه العرق ، كما يستفاد من القاموس .

(٣) والجمرة : بكسر الجيم وتشديد الراء . وقال الشافعي : للتشديد خطأ .

اسم موضع بين مكة والطائف اه قاموس .

فَنظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، ثُمَّ سَكَتَ فِجَاءَهُ الْوَحْيِ .

فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَمَلَى : تَعَالَى .

فِجَاءَهُ يَمَلَى ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ . فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْمَرُ الْوَجْهِ يَنْقُطُ
كَذَلِكَ ، فَكَثَرَ كَذَلِكَ سَاعَةً .

ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّنَ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْعُمْرَةِ آفَقًا ؟

فَالْتَمِسَ الرَّجُلُ فَأَتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَمَّا الطَّيِّبُ الَّذِي بَكَ ، فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَأَمَّا الْجَبِيَّةُ ، فَانْزِعْهَا ،
ثُمَّ اصْنَعْ فِي عِمْرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجَّكَ » .

هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الصَّحِيحِينَ (١) .

• عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : إِنِّي قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ .

قَالَ : وَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ ، فَوَقَعَ نَفْذُهُ عَلَى نَفْذِي ، حِينَ غَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ .

قَالَ زَيْدٌ : فَلَا وَاللَّهِ ، مَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَقْتُلُ مِنْ نَفْذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : أَكْتُبُ يَا زَيْدُ .

• عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ :

كَانَ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّورَةُ الشَّدِيدَةُ ،
أَخَذَهُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْكَرْبِ عَلَى قَدَرِ شَدَّةِ السُّورَةِ .

وَإِذَا أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ اللَّيِّنَةُ ، أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ لَيِّنِهَا .

(١) رَوَاةُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ مُخَالَفَةٌ لِمَا هُنَا بِإِخْتِصَارٍ ، وَتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ .

• عن زيد بن ثابت قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثَقُلَ لذلك وتحدَّر (١) جبينه عرقاً ، كأنه الجمان (٢) ، وإن كان في البرد .

• عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمع عند وجهه كدوى النحل .

• عن عبد الله بن عمرو قال : سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك . فما من مرة يوحى إليّ [إلا] وظننت أن نفسي تُقبض .

• عن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مرَّ به عثمان بن مظعون فكشَّر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَقْبِلَهُ .

فبينما هو يحدثه ، إذ شَخَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ بعضُ بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض .

فتحرَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جلسه ، عن عثمان ، إلى

(١) تحدَّر : أى : سال العرق من جبينه .

(٢) قال في المختار من الصحاح الجمانة : حبة من الفضة كالدرة وجمعه جمان اهـ وللمعنى : كأن قطرات العرق في يياضها كحبات الفضة .

جنب وضع بصره فأخذ ينفذ رأسه ، كأنه يستفهم ما يقال له ، وابن مظعون ينظر .

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، كما شخص أول مرة ، وأتبعه بصره حتى توارى في السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد فيما كنت أجالسك وأتيك ؟ ما رأيته تفعل كفعلك الغداة !
قال : وما الذي رأيته فعلت ؟

قال : رأيته شخص بصره إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك .

فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنفض رأسك ، كأنك تستفقه شيئاً يقال لك .

قال : وفطنت لذلك ؟ قال عثمان : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني رسول الله آنفاً وأنت جالس » .

قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟

قال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل الآية ٩٠) .

قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم .

- عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لأخذه بزمام التصباء ، ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت - من ثقلها - تدق عضد الناقة .
- عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كُرب له ، وتربّد (١) وجهه .
- عن أبي أروى الدؤسي قال : رأيت الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته ، فترغو وتقتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها ينقص ، فربما بركت ، وربما قامت مؤبدة يديها ، حتى يسرى عنه ، من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه ، مثل الجان .
- عن عكرمة قال : كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقد لذلك ساعة ، كهيئة السكران .
- عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي ، صَدَع فغلف رأسه بالحفاء (٢) .
- قال ابن عقيل : إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الجنون ، لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدة .
- ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين ذلك وبين إغماء الجنون ، فإن أثر ما كان يجري له ببيان الصواب والحق ، بخلاف إغماء الجنون .

(١) تربد : أى تغير لون وجهه حتى يشتد احمراره كما يستفاد من المأثور .

(٢) ذكر ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جداً .

وهذا الذى تلحّجه خديجة فقالت : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتُصدّق الحديث ، وتعين على نوائب الحق .

قال ابن عقيل : - فإن قال قائل : ما كان يجرى عليه من البرحاء (١) حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه ؟

فالجواب : لا ، لأنه كان محفوظاً في منامه ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . فإذا كان النوم الذى يستطلق فيه الوكاء ، لا ينقض وضوءه ، فالحالة التى أكرم فيها بالمسيرة والإلقاء إلى قلبه الهدى ، أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى .

(١) معنى البرحاء هنا : الشدة والانتقل

الباب التاسع

في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم
من الملائكة في نبوته

• عن عامر قال : نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فُتُورَنَ نبوته ، إسرائيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل من القرآن على لسانه .

فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه .

• عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرائيل ، ثلاث سنين .

ثم عزل عنه إسرائيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة ، وعشر سنين مهاجرة بالمدينة .

قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر (١) فقال :

ليس يعرف أهل العلم ببلدنا ، أن إسرائيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون :

لم يُقرن به إلا جبريل ، من حين أنزل عليه الوحي ، إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم .

(١) هو الواقدي ، وكان محمد بن سعد كاتبه .

الباب العاشر

في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه
أن يريه آية تقوى ما عنده

- عن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بالحجون فقال :
« اللهم أرني آية ، لا أبالي من كذبني بعدها من قريش » .
فقبل له : ادع هذه الشجرة .
فدعاها ، فأقبلت على عروقتها ، فتطمها .
ثم أقبلت تمخد^(١) الأرض ، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : ما تشاء ما تريد ؟
قال : ارجعي إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها .
فقال : « والله ما أبالي من كذبني من قريش » .
- عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة .
فقال له مالك ؟ قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا .
فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم .
قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة .
فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه .
فقال : مَرُّها فلترجع . فأمرها ، فرجعت إلى مكانها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبي .

(١) تمخد : تشق .

الباب الحادي عشر

في رمي الشياطين بالشهب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وتنكيس الأصنام

• عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة
من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر
السماء ، وأرسلت عليهم الشهب .

فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث .

فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث .

فانطلقوا ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر

الذي حال بينهم وبين خبر السماء .

قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنخلة ، وهو عائد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن ، تسمّعوا له فقالوا :

هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء .

فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا :

« يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » (سورة الجن الآية ١ و ٢) .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ : « قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُجَرَ الْجِنِّ وَرُمُّوا بِالْكُوكِ .

وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَسْمُمُونَ ، وَلِكُلِّ قَبِيلٍ مِنَ الْجِنِّ مَقْعَدٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ .
فَأُولَئِكَ مَا فَزَعُ لَذَلِكَ أَهْلُ الطَّائِفِ ، فَفَعَلُوا يَذْبَحُونَ لَأَهْلِهِمْ ، مِنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ ، أَوْ غَنَمٌ ، كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى كَادَتْ أَمْوَالُهُمْ تَذْهَبُ ، ثُمَّ تَنَاهَوْا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

أَمَّا تَرَوْنَ مَعَالِمَ السَّمَاءِ كَيْفَ هِيَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا شَيْءٌ ؟

وَقَالَ إِبْلِيسُ : هَذَا أَمْرٌ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ ، إِيْتُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِتَرْتِيبَةٍ .
فَكَانَ يُؤْتَى بِالتُّرْبَةِ فَيُسْمَمُهَا وَيُلْقِيهَا ، حَتَّى أَتَى بِتَرْتِيبَةٍ تَهَامَةٍ ، فَسَمَمَهَا
وَقَالَ : هَاهُنَا الْحَدَثُ .

• عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ الْأَخْنَسِ قَالَ : إِنْ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَزَعُ لِرُؤْيَى النُّجُومِ ،
تَتَيْفٌ وَأَتَوْا عَمْرُو بْنَ أُمِيَّةَ فَقَالُوا : أَلَمْ تَرَمَا حَدَثَ ؟ !
قَالَ : بَلَى ، فَانْظُرُوا .

فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يَهْتَدَى بِهَا ، وَيَعْرِفُ بِهَا أَنْوَاءُ الصَّيْفِ
وَالشِّتَاءِ ، فَهُوَ طَيُّ الدُّنْيَا ، وَذَهَابَ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي فِيهَا .
وَإِنْ كَانَتْ نُجُومًا غَيْرَهَا ، فَأَمْرٌ أَرَادَ اللهُ بِهِذَا الْخَلْقَ ، وَنَبِيٌّ يَبْعَثُ فِي
الْعَرَبِ . فَقَدْ تُحَدِّثُ بِذَلِكَ .

• عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ : لَمْ يُرْمَ بِنَجْمٍ مَذْرُوعٍ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ،
حَتَّى تَنْبَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا تَنْبَأَ رُحِيَ بِهَا .
فَرَأَتْ قُرَيْشٌ أَمْرًا ، لَمْ تَسْكُنْ تَرَاهُ .

فجعلوا يسيَّبون أنعامهم ، ويعتقون أرقاءهم ، يظنون أنه الفناء .
فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ، فعملت ثقيف مثل ذلك .
فبلغ عبد اليليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال : ولم فعلتم ما أرى ؟
قالوا رُمي بالنجوم ، فرأينا أنها تهافت من السماء .
قال : إن إفاضة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا .
فإن تكن نجومًا تعرف ، فهو عند فناء الناس .
وإن تكن نجومًا لا تعرف ، فهو عند أمر حدث .
فنظروا ، فإذا هي لا تُعرف ، فأخبروه فقال :
الأمر فيه مُهْلَةٌ بعدُ ، هذا عند ظهور نبي .
فما مكثوا إلا يسيرًا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ،
فجاء عبد اليليل ، فتذاكروا أمر النجوم .
فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله ، يدعى أنه مرسل .
قال عبد اليليل : فمعد ذلك رُمي بها .
● عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحرَسُ في الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، كانوا يقدون منها [مقاعد] للسمع .
فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حُرِسَت السماء حرساً شديداً ،
ورجت الشياطين ، وأنكروا ذلك فقالوا : لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (سورة الجن الآية ١٠) .
فقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال :
تفرقوا في الأرض ، وأخبروني ، ما هذا الذي حدث في السماء ؟

وكان أول ركب بُعث من أهل نصيبين ، وهم أشرف الجن ، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا ، حتى بلغوا وادى نخلة .

فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة .
فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا : أنصتوا .

• قال وهب بن منبه : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ، ويتقلب فيهن كيف شاء ، لا يُمنع منذ أخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى ، فحينئذ حجب من أربع سموات ، فصار يتردد في ثلاث سموات .
فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث ، فصار هو وجنوده يسترقون السمع ، ويقذفون بالكواكب .

* * *

• عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين إبليس ، فقالت : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكوساً .

قال : هذا نبي قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه .

نفرج يلتسمه فنودي : عليك بحبة القلب مكة .
فالتسمه فوجده عند قرن الثعالب . نفرج إلى الشياطين فقال :
قد وجدته ، معه جبريل فما عندكم ؟
قالوا : نزيّن الشهوات في أعين أصحابه ، ونحببها إليهم .
قال : فلا آسى (١) إذن .

(١) « فلا آسى » أى : فلا أحزن .

الباب الثاني عشر

في ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى المسمى أبرويز
عند مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام

كانت دجلة تجري قديماً في أرض خوجي في مسالك محفوظة ، إلى أن
تصب في بحر فارس .

ثم غوّرت وجرت صوب واسط .

فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم ، أموالاً
كثيرة ، ولم يثبت السد .

فلما ولي قباد بن فيروز ، انبثق في أسافل كسكر بئق عظيم ، وغلب
الماء ، فأغرق عمارات كثيرة .

فلما ولي أنوشروان بنى مُسْنِيَّات (١) .

فعاد بعض تلك العمارات ، وبقيت على ذلك ، إلى أن ملك أبرويز
ابن هرمز بن أنوشروان ، وكان من أشد القوم بطشاً ، وتهيباً له ما لم
يتهيباً لغيره .

فسكر (٢) دجلة العوراء ، وأنفق عليها ما لا يحصى .

وبنى طاق مجلسه ، وكان يعلق فيه تاجه ، ويجلس ، والتاج فوق رأسه
معلق ، من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

(١) المسنيّات: جمع مسناة وهو السد .

(٢) السكر بفتح السين : سد النهر .

قال وهب بن منبه : وكان عنده ثلثائة وستون رجلا من الحزاة ،
والحزاة : العلماء ، من بين كاهن ، وساحر ، ومنجم .

وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف^(١) اعتياف
العرب ، قلماً يخطئ . بعث [به] إليه بأذان من اليمن .

فكان كسرى إذا حزبه^(٢) أمر جمع كهانه وسحرته ومنجميه فقال :
انظروا في هذا الأمر ما هو .

فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة
وقد انفصمت طاق^(٣) مله من وسطها^(٤) .

فلما رأى ذلك أحزنه وقال :

انفصم طاق ملكي ، وانخرقت دجلة الموراء « شاه بشكيت » يقول :
الملك انكسر .

ثم دعا كهانه وسحرته ، ومنجميه ، ودعا السائب معهم ، فأخبرهم
بذلك .

وقال : انظروا في ذلك الأمر .

فنظروا ، فأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا^(٥) في علمهم ، ولم يمض
لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانيته ، ولا لمنجم علم نجومه .

(١) يعتاف - كما يستفاد من القاموس - أي : يزجر الطير ويتكهن بها وهو
أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشأم .

(٢) قال في القاموس : حزبه الأمر ، نابه واشتد عليه أو ضغطه .

(٣) السكامل : أصبح كسرى وقد انفصم طاق مله أي : انكسر من غير ثقل .

(٤) « تسكعوا » أي تحيروا في علمهم . كما يستفاد من القاموس .

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق (١) برقاً نشأ من أرض الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق .

فلما أصبح ، ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه ، فإذا روضة خضراء .

فقال فيما يعتاف (٢) : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب ، تخصب عنه الأرض ، كأفضل ما أخضبت عن ملك كان قبله .

فلما اجتمعت الحزاة ، قال بعضهم لبعض :

والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث ، أو هو مبموث يسلب هذا الملك ويكسره .

ولئن نعيت لكسرى ملكه ، ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه .
فجاءوا كسرى فقالوا له : إنا نظرنا في هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وشكرت (٣) دجلة العوراء ، وضموه على النحوس ، وإنا سنحسب لك حساباً ، تضع عليه بنيانك فلا يزول .

قال : فاحسبوا . فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبناه .

فعمل في دجلة ثمانية أشهر ، وأنفق فيها من الأموال مالا يُدرى ما هو .
حتى إذا فرغ قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم .

فأمر بالبسط والفرش والرياحين ، فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة ، فجمعوا له .

(١) الكامل : على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً .

(٢) يعتاف : يتكهن .

(٣) السكر بفتح السين : سد النهر .

وجع اللعابون ، ثم خرج حتى جلس عليها .
فبينما هو هنالك ، انتسفت دجلة البنيان من تحتها ، فلم يستخرج
إلا بأخر رمق .

فلما أخرجوه ، قتل من الحزاة ، قريباً من مائة وقال : تلعبون بي ؟
قالوا : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ، ولكننا سنحسب لك
حساباً ، حتى تضعها على الوفاق من السعود .

قال : انظروا ما تقولون ، قالوا : فإننا نفعل .

فحسبوا له ثم قالوا له : ابنه .

فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ، ثمانية أشهر ثم قال :
أوخرج فافعد ؟ قالوا : نعم .

فركب بردوناه ، وخرج يسير عليها ، إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم
يدرك إلا بأخر رمق ، فدعاهم فقال :

والله لأمرنَّ على آخركم ولأترعنَّ أكتافكم ، ولأطرحنكم بين أيدي
القيلة ، أو لتصدقنَّي ، ما هذا الأمر الذي تلفقون عليّ ؟

قالوا : لا نكذبك ، أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة
وانفصمت طاق مجلسك ، أن ننظر في علمنا ، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض
وأخذت علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم لعالمنا علمه .

فعرفنا أن هذا ، لأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبي ، أو هو
مبعوث ، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا .

فخشينا إن نعيننا مُلكك أن تقتلنا فعلنالك على أنفسنا بما رأيت .

فتركهم ولهم عنهم وعن دجلة حين غلبته .

• وقال ابن إسحاق : كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني ، أنه كان سَكَّر دجلة الموراء ، وأنفق فيها من الأموال ما لا يدري ما هو . وذكر الحديث الذي سقناه بعينه (١) .

• وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟

قال : بعث الله إليه ملكا ، فأخرج يده من سور بيته الذي هو فيه تَلَا (٢) نورا . فلما رآها فزع .

قال : لم تفزع يا كسرى ؟

إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، فاتبعه ، لتسلم دنياك وآخرتك .

قال : سأنظر .

• وقال ابن إسحاق (٣) : بعث الله ملكا إلى كسرى ، وهو في بيت من بعض بيوت إيوانه الذي لا يُدْخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه (٤) إلا هو ، قائما على فراشه (٥) في يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقيل فيها .

فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل .

(١) ، (٣) لم يذكر ابن هشام هذا الخبر .

(٢) أي : تَلَا بحذف التاء الأولى على حد قوله تعالى « فَأَنْتَ عَنْهُ تَلِي »

أي تَلِي . (٤) أي : لم يُحْفَ .

(٥) الكامل : قائما على رأسه .

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتفيظ عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل عليّ ؟ قالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأينا .

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التي أتاه فيها فقال له كما قال له .
ثم قال : أنسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال : بهل بهل .

نفرج عنه فدعا كسرى حُجَّابه وبوابيه ، فتفيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة .

قالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك .

حتى إذا كان في العام الثالث ، أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، وقال كما قال له ثم قال له : أنسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال بهل بهل .
قال : فكسر العصا ثم خرج . فلم يكن إلا أن تهوّر ملكه .

• قال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة قال : ذكر لي أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين في يديه ثم قال : أسلم . فلم يفعل .

فضرب إحداها بالأخرى فرفضهما ثم خرج .

فكان من هلاكه ما كان .

• عن خالد بن ويذة ، وكان رأساً في الجوس ، ثم أسلم قال :

كان كسرى إذا ركب ، ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة : أنت عبد ولست برب .

فيشير برأسه : أي نعم .

قال : فركب يوماً فقالا له ذلك ، فلم يُشير برأسه ، فعلم ذلك صاحب شرطته فأتاه ليعاتبه ، وكان كسرى قد نام .

فلما وقع صوت حوافر الدواب في سمعه ، استيقظ .

فدخل عليه صاحب شرطته ، فقال :
أيقظتموني ولم تدعوني أنام .
إني رأيت أنه رُقيّ بي فوق سبع سموات ، فوقفت بين يدي الله تعالى ،
فإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لي :
سَلِّمْ بحر مفاتيح خزائن أرضي ، إلى هذا ، أأست المأمور بكذا ؟
قال : وصاحب الإزار والرداء ، يعني به ، النبي صلى الله عليه وسلم .
• عن ابن قتيبة أن أبرويز قال : رأيت في المنام قائلا يقول لي :
إنكم غيرتم ، فغير ما بكم ، ونقل المكان إلى أحد .
وكانوا يتوقعون حادثة تحدث ، حتى كتب النعمان إليه : أن خارجا نجّم
بتهامة ، يخبر أنه رسول إله السماء والأرض .
فانزعج لذلك وعلم أنه الذي كان يتوقعه .
قال ابن قتيبة : فانقضت ممالك الأمم عند مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلا الروم ، لما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم .
فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق ، صارت النبوة في ولده .
فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة ، فالروم كلهم من ولده .
وانتقضت مملكة فارس ، وكان أول انتقاضها ، قتل شيرويه أباه ..
ثم ظهر الطاعون في ملكه فهلك فيه ، ثم تعاوروا الملك ، ولم يلبثوا .
وانتقض ملك أهل الين .
وكان أول ذلك ، قتل الحبشة سيف بن ذي يزن ، وانتشر الأمر بعده .
فكل أهل ناحية ، ملكوا رجلا ، حتى جاء الإسلام .
وانتقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر .
وانتقض ملك أبي جفنة ، وكان آخر من ملك منهم ، جبلة بن الأيهم ،
الذي تنصّر في خلافة عمر رضي الله عنه .

الباب الثالث عشر

في ذكر دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس إلى الاسلام

• كان صلى الله عليه وسلم في أول نبوته يدعو الناس إلى الإسلام سرّاً .

وكان أبو بكر يدعو أيضاً ، من يثق به من قومه .

فلما مضت من النبوة ثلاث سنين : نزل عليه (فَأُصْدِعْ بِمَا تُؤْمَرُ (١))
فأظهر الدعوة .

• عن أبي عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ، ثلاث سنين مستخفياً ، إلى أن أمر أن يصدع بما جاء من عند الله ، وأن يظهر الدعوة .

• عن الزهري قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرّاً وجهرأ ، فاستجاب الله من شاء ، من أحداث الرجال ، وضعفاء الناس ، حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول .

فكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب ليُكَلِّمَ من السماء .

(١) سورة الحجر الآية ٩٤

فكان كذلك حتى عاب آلمتهم التي كانوا يعبدونها ، وذكر هلاك
آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشاqqوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعادوه .

● عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كنت بين شرّ جارين ، بين أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، كانا
يأتيان بالنروث فيطرحونها .

فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :
يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه بالطريق .

الباب الرابع عشر

في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواسم

- عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بسوق المجاز ، وأنا في بيعة لى .
فمرّ ، وعليه حلة حمراء وهو ينادى بأعلى صوته :
يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .
ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول :
يا أيها الناس ، لا تطيعوه فإنه كذاب .
قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا غلام من بنى عبد المطلب .
قلت : فمن هذا الذى يتبعه يرميه ؟
قالوا : هذا عمه عبد العزى . وهو أبو لهب .
- عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بمكاف ، ومجنته ، وفي المواسم بمنى .
« من يؤوينى ؟ من ينصرنى ، حتى أبلغ رسالة ربى ، وله الجنة ؟ » .
حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه فيقولون :
احذر غلام قريش ، لا يفتنك .

الباب الخامس عشر

في ذكر إنذاره عشيرته

• عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١) فقال :

« يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله تعالى ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً . »

• عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يحمي إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني يافى ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ما دعوتنا إلا لهذا ؟ ! فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) . »

• عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالا : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادى : يا بني عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب ينذر أهله نخشى أن يشقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، وانفقا على الحديثين قبله .

• عن ابن عباس قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال : يا معشر قريش .

فقال قريش : محمد على الصفا يهتف .

فأقبلوا واجتمعوا قالوا : مالك يا محمد .

قال : أَرَأَيْتَكُمْ^(١) لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل كنتم تصدقوني ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرّبنا عليك كذباً قط .

قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زُهرة ، حتى عدّ الأنفاذ

من قريش .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ

مِنَ الدُّنْيَا مَنفَعَةً ، وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيحاً ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

قال يقول أبو لهب : تَبَّ لَكَ سائر اليوم ألهذا جمعنا !

(١) أى : أخبروني .

فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها .

عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضقتُ بذلك ذَرْعًا ، وعرفتُ أَنَّي متى أباديهم بهذا ، أرى منهم ما أكره .
فصمتُ حتى جاءني جبريل فقال :

يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به ، يعذبك ربك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ، اصنع لي صاعاً من طعام (١) واجعل عليه رجل شاة ، واملاً لنا عَساً (٢) من لبن ، ثم اجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم ، وأبلغهم ما أمرت .

ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له ، وهم أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحمة ، والعباس ، وأبو لهب .
فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعتُ ، فجثت به .

فلما وضعت ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة (٣) فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ، ثم قال :

خذوا باسم الله .

فأكل القوم ، حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم .
وايم الله ، الذي نفس عليَّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ، ليأكل جميع ما قدمتُ لجميعهم .

(١) البهيقي : فاصنع لنا ، يا علي ، صاعاً من طعام ، وأعد لنا عس لبن .

(٣) البهيقي : حذية .

(٢) العس : القدح الضخم .

ثم قال : اسق القوم .

فجئت بذلك العس فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً .

وايم الله ، إن كان الرجل الواحد منهم ، ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره (١) أبو هب إلى الكلام فقال : سحركم صاحبكم .

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الغد .

يا على ، إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول ، فأعِدْ لنا من الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجعهم لى .

فقممت وجمعتهم ، فأكلوا وشربوا .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً من العرب ، جاء قومته ، بأفضل مما قد جئتمكم به ، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ؟ فأحجم القوم فقلت ، وأنا أحدثهم سنّاً ، أنا يا بنى الله .

فقام القوم يضحكون (٢) .

(١) أى : سبقة .

(٢) هذا الخبر رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق عن شيخ أبيهم اسمه عن عبد الله بن الحارث . ورواه أبو جعفر بن جرير بطريق تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى ، اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقر . وروى نحوه ابن أبى حاتم فى تفسيره . وروى نحوه الإمام أحمد فى مسنده .

الباب السادس عشر

في ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الناس عامة .
وفي الباب عن علي ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي أمامة ، وأبي هريرة
وعبد الله بن عمرو . وستأتي هذه الأحاديث .

البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ إِرسَالِهِ إِلَى الْجِنِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن
فلما فرغ قال : « مالي أراكم سكوتاً ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردّاً ،
ما قرأت عليهم (فبأيّ آلاء ربكمما تُكذِّبانِ) إلا قالوا : ولا بشيء من
نعمتك ربنا ، نُكذِّب ، فلك الحمد .

• عن ابن مسعود قال :

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي معه حتى أتى بي ، إلى
البراز ، ثم خطّ لي خطاً ، ثم قال :

لا تبرح ، حتى أرجع إليك فما جاء ، حتى السحر ، فقال :
أُرْسِلْتُ إلى الجن .

قلت : فما هذه الأصوات التي أسمعها ؟

قال : هذه أصواتهم ، حين ودّعوني ، وسلّموا عليّ .

الباب الثامن عشر

في كونه خاتم النبيين

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُتِمَ
بِالنَّبِيِّينَ » .

• عن سعد بن أبي وقاص قال : خَلَّفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
علىَّ بن أبي طالب في غزاة تبوك ، فقال :

يا رسول الله ، تخلفني في النساء والصبيان ؟

قال : أما ترضى أن تكون مني ، بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه
لا نبي بعدي .

أخرجاه (١) .

• عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا خاتم
النبيين لا نبي بعدي » .

انفرد بإخراجه مسلم .

(١) يعني : البخاري ومسلم .

الباب التاسع عشر

في ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أذى الكفار وهو صابر

- عن ابن عباس : أن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر .
فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً
قنا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله .
قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي ، حتى دخلت على أبيها صلى الله
عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملاء من قومك في الحجر ، قد تعاقدوا أن
لو رأوك ، قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك .
فقال : يا بنية ، أرني وضوءاً .
فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، هذا هو .
فخفضوا أبصارهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفموا إليه أبصارهم ، ولم يقيم
منهم رجل .
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم .
فأخذ قبضة من تراب ، فغصبهم بها . وقال : شأنت الوجوه .
قال : فما أصاب رجلاً منهم حصاةً ، إلا قتل يوم بدر كافراً .
• عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : إن رأيت محمداً يصلي عند
الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو فعل ، لأخذته الملائكة عياناً » .

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر .

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط .

سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على عظيم .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت .

فلما مرَّ بهم ، غمزوه ببعض ما يقول .

قال : فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى .

فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه .

ثم مضى فرَّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال :

تسمعون معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح !

فأخذت القومَ كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر

واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، يترضاه بأحسن ما يجد من

القوم حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فواشه

ما كنت جهولاً .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم فقال بعضهم لبعض :
ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه .

حتى إذا باداكم بما تكرهون ، تركتموه !

فبيناهم على ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة
رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون له :

أنت الذي تقول كذا وكذا ؟

لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم أنا الذي قلت ذلك » .

قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه .

قال : وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي :

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغوا منه قط .

• عن عمرو ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : أكثر ما نالت

قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : فرأيت عيني عثمان
ذرفتا من تذكر ذلك !

قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده

في يد أبي بكر ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس .

عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل ابن هشام ، وأممية بن خلف .

فهر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما حاذاهم ، أسمعوه بعض ما يكره .
فعرفت ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم .
فدنوت منه ، حتى كان بيني وبين أبي بكر .
فأدخل أصابعه في أصابعي ، حتى طفننا جميعا .
فلما حاذاهم قال أبو جهل :
والله لا نصالحك ، ما بلّ بحر صوفة ، وأنت تنهانا أن نعيد ما يعبد
آباؤنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ذلك .
ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك .
حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه .
فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت في صدره ، فوقع
على أسته .

ودفع أبو بكر أمية بن خلف .
ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط .
ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف ثم قال لهم :
أما والله ، لا تنتهون ، حتى يحلّ عقابه عاجلا .
قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف ، وجعل يرتعد .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بس القوم أنتم ،
لنبيكم » .

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة

ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال :

أبشروا ، فإن الله عز وجل مُظهر دينه ، ومتمم كلمته ، وناصر نبيه ،
إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلا .

ثم انصرفنا إلى بيوتنا .

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا !

• عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال لي الزبير بن العوام :

لقد رأيتُ اليوم عَجَباً !

رأيتُ نفرا من المشركين جلوساً حول الكعبة ورؤسهم أبو جهل
ابن هشام .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يتآمرون بمناهضته .

فوقف عليهم وقال :

قُبِّحْتُمْ وقبح صاحبكم .

فكأنهم خرسوا ، ما فيهم أحد يتكلم ، ولا يقوم .

ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يعدو في أثره يعتذر إليه

ويقول كُفَّ عنا ، ونكف عنك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أكف عنك ، حتى تؤمن
بالله ، أو أقتلك .

قال : وأنت تقدر على قتلي ؟ !

قال : الله يقتلك ، ويقتل هؤلاء .

فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين .

• عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :
أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، إذ أقبل عتبة
ابن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولوى ثوبه
في عنقه ، فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر ، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال :

أتقتلون رجلاً ، أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم !!
• عن عبد الله قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا
على قریش غير يوم واحد .

فإنه كان يصلي ، ورهطاً من قریش جلوس ، وسلا جزور^(١) قريب
منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا ، فيلقيه على ظهره ؟

قال : فقال عتبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه ، فألقاه على ظهره .

فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ، فأخذته عن ظهره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك الملا من قریش ،
اللهم عليك بعتبة ، اللهم عليك بشيبة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ،
اللهم عليك بعتبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف ، أو أمية

(١) قال في المصباح : « السلى » وزان « الحصى » الذي يكون فيه الولد
والجمع أسلاء مثل سبب وأسباب اه ، وفي الصحاح « السلا » مقصور : الجلدة
الرفيعة التي يكون فيها الولد من المواشي ، إن نزعته عن وجه الفصيل ساعة يولد ،
ولا تقتله اه والمراد هنا : كرش الناقة .

ابن خلف . قال عبد الله : فلقد رأيتهم قُتِلُوا يوم بدر جميعاً ، ثم سَجِبُوا إلى القليب ، غير أبي أو أمية (١) فإنه كان رجلاً ضخماً ، فتنقطع .

• عن ابن إسحاق : لما أجمع للمشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منعه عنه أبو طالب .

فشي جماعة من أشrafهم كعتبة ، وشيبة وأبي جهل ، إلى أبي طالب فقالوا :

إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا .

فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، فَشَرَى الأمر (٢) بينه وبينهم ، فحَضَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم عادوا إلى أبي طالب فقالوا : لا نصبر على هذا .

فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فلا تَحْمِلْنِي من الأمر ، مالا أطيق .

(١) رد المؤلف بين أمية وأبي ، تبعاً للبخارى في بعض رواياته . والصواب - كما ذكر الزرقاني - أنه أمية ، وهو ما أطبق عليه أصحاب الفنازي ، لأنه هو المقتول ببدر .

وأما أخوه أبي ، فإنما قتل بأحد . انظر شرح المواهب ١/٢٥٣ .

(٢) شري : اشتد .

فقال : يا عمّاه ، والله ، لو وضخوا الشمس في يميني والقمر في يساري ،
على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه !
ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام .
فلما ولي ، ناداه أبو طالب : أقبل إليّ يا ابن أخي . فأقبل .
فقال : اذهب ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .
فبدأت الحرب ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، يعذبونهم
ويفتنونهم عن دينهم .
وقام أبو طالب في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى المنع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم .
وكانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشُّعَاب يستخفون من قومهم ، فقاتلهم ،
فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى جهل ، فشجّه .
فكان أول دم أريق في الإسلام .
• عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب . فأتاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يموده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل ، وقعد فيه .
قالوا : إن ابن أخيك يقع في آلمتنا .
قال : ما شأن قومك يشكونك ؟
قال : يا عم أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم العرب ، ويؤدى العجم
إليهم الجزية .
قال : ما هي ؟ قال : لا إله إلا الله .
فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟
ونزل : « ص وَالْقُرْآنَ ذِى الذِّكْرِ » فقرأ حتى بلغ « إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجَبٌ » .

الباب العشرون

في ذكر ما روى عن إيمان أكنم بن صيفي
برسول الله صلى الله عليه وسلم : لما بلغه خروجه

• عن ابن عمير قال : بلغ أكنم بن صيفي تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدعوه .

فقال : من يبلغني عنى ويبلغني عنه ؟

فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا :

نحن رُسل أكنم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت ، وما أنت ،
وبم جئت ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله
ورسوله ، ثم تلا عليهما (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْقَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... الآية) .

فقالا رُدَّ علينا هذا القول فردّه عليهم حتى حفظوه .

وأتيا أكنم فقالا : سألناه عن نسبه ، فوجدناه واسط النسب في مضر ،
وقد رمى إلينا كلمات .

فلما سمعن أكنم قال : يا قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى
عن ملامئها ، فكونوا في الأمر رموسا ، ولا تكونوا أذنا ، وكونوا فيه
أولا ، ولا تكونوا آخرا .

فلم يلبث أن حضرته الوفاة .

فقال أكنتم : وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيٍّ (١) ، يَا لَهْفَ نَفْسِي (٢) عَلَى أَمْرِ
لم أدركه ولم يُفْتِنِي .

ما آسى عليك (٣) بل على العامة .

يا مالك ، إن الحق إذا قام ، دفع الباطل .

فتبعه مائة نفس ، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان في بعض الطريق ، عمد حُبَيْش إلى رواحلهم فنحرها ، وشقَّ
ما كان معهم من مزادة وهرب ، فَجَهِدَ أَكْثَمَ الْعَطَشِ (٤) ، فأت وأوصى
من معه ، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أنه أسلم .

فأنزل فيه : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » (٥) .

(١) قال في المختار من الصحاح « الشَّجُو » أَلْهَمُ وَالْحُزْنُ وقد شجاء :

حَزَنَهُ ، وبابه « عدا » وأشجاء : أغصه . وتقول منهما جميعا : شَجِي ، من باب
« صَدِي » ومثله في المصباح والمراد هنا : ويل للعتلىء حزنا من الخالي منه .

(٢) أى : يا حزن نفسى . قال في المختار من الصحاح : لهف أى حزن وتحسر
وكذا التلهف على الشيء . والملهوف المظلوم يستغيث . واللهيف : المضطر . واللهفان :
التحسر . وفي الصحاح : وقولهم يا لهف فلان كلمة يتحسر بها على ما فات .

وقول الشاعر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلَهْفَ وَلَا بَلَيْتَ وَلَا لَوَانِي

أراد « لهفاء » فحذف .

(٣) أى : ما أحزن عليك . قال في المصباح وأسى أى من باب تعب : حزن
فهو أسى مثل حزين وفي المختار من الصحاح أسى على مصيبة من باب صدى أى :
حزن . وقد أسى له . أى حزن له .

(٤) أى اشتد عطشه إلى النهاية . (٥) سورة النساء : آية ١٠٠

الباب الحادي والعشرون

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
بالخروج إلى أرض الحبشة

وقال : إن بها مَدَكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ بِيَلَادِهِ ، فَتَجَرَّزُوا (١) عنده ، حتى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِفَرَجٍ مِنْهُ .

فخرج جماعة واستخفي آخرون بإسلامهم .
والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة .
وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة ، من حيث نُبِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وخرجت قريش في آثارهم ، فقاتوهم .
فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « النجم » وسمعوا : « تلك الغرانيق العلى » وإنما قالها بعض الشياطين (٢) لا أنها جرت على لسان

(١) قال في الصحاح : الجزز : الموضع الحصين . واحترزت من كذا وتحرزت ، أى : توقيته اه باختصار . أى : كونوا آمنين وحافظين أنفسكم عنده .

(٢) قصة الغرانيق باطلة لا تستند إلى أصل صحيح ، كما بين ذلك القاضى عياض فى كتاب الشفاء والزرقاتى فى شرح المواهب . قلت وقد زيف هذه القصة أيضاً الإمام محمد عبده . ونشرها السيد محمد رشيد رضا .

كما ألف محدث هذا العصر محمد ناصر الدين الألبانى رسالة أسماها « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق » جواباً لسؤال وجهه إليه بعض علماء الباكستان جمع فيها جميع الروايات وخرجها تخريجاً علمياً ، أشيع فيها القول بما لم يسبق إليه وبما لا مزيد لمستزید ، وقد طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ل ١٩٥٢ م فهى جديرة بأن يقرأها كل من يحرص على سلامة إيمانه . محمد زهرى النجار

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سجد في السورة ، سجد المشركون معه ، ورفع الوليد كفاً من تراب إلى جبهته .

فبلغ ذلك أهل الحبشة ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا ، فلنرجع إلى عشائربنا . فرجعوا .

فلقيهم ركب^(١) فسألوهم ، فقالوا : ذكر محمد آلمتكم فبايموه ، ثم عاد عن ذكرها ، فعادوا له بالشر .

فلم يدخل أحد منهم إلا بحوار ، إلا ابن مسعود ، فإنه مكث قليلا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة .

فَسَطَّتْ^(٢) بهم عشائربهم وأذوهم ، فَأَذِنَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج مرة أخرى ، فخرجوا ، وخرج معهم خلق كثير .

قال ابن إسحاق : جميع من لحق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صفاراً أو ولدوا بها : ثَيْفٌ وثمانون رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر منهم .

وقال الواقدي : كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، ومن النساء إحدى عشرة قرشية ، وسمع غرائب .

• عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون مكاني ، ويسمعون مني .

فقلت لهم : تعلمون والله ، إنى لأرى أمرَ محمد يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا ، وإنى قد رأيت رأياً ، فأترون فيه ؟

(١) ركب جمع راكب ، أى جماعة من المسافرين .

(٢) سطت بهم : بطشت بهم ، ووثبت عليهم .

قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده .
فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت
يده ، أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد .

وإن ظهر قومنا فنحن ممن عرفنا ، فلن يأتينا منهم إلا خير .
فقالوا : إن هذا الرأي .

قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحب ما نهدي إليه من أرضنا
الأدم^(١) فجمعنا له أدمًا كثيرًا .
ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضمري .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .
قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده .

قال : قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي
لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك ، رأت قريش أني قد
أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا
بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئًا ؟

قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدمًا كثيرًا .

قال : ثم قدمته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت :
أيها الملك ، إني قد رأيت رجلًا قد خرج من عندك ، وهو رسول رجل
عدو لنا ، فأعطنيهِ لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

(١) الأدم بفتحين : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو الأحمر ، أو مذبوغه .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ،
فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً^(١) منه .

فقلت^(٢) : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر ، الذي
كان يأتي موسى لقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ !

قال : ويحك يا عمرو ! أظنني وأتبعه ، فإنه ، والله ، لعلى الحق ،
وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أقتبا يعني له على الإسلام ؟ قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنتمُ أصحابي
إسلامي ثم خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت^(٣) .

• عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
النجاشي ومعه نحو من ثمانين رجلاً ، وبعثت قريش ، عمرو بن العاص ،
ومخارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي ، سجدَا له ثم قالَا : إن نفرأ من بني عمنا ،
نزولوا بأرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالَا : في أرضك .

(١) فرقاً : أى خوفاً منه .

(٢) ابن هشام : ثم قلت .

(٣) ذكر ابن هشام بقية الخبر وفيه ، أنه لقي خالد بن الوليد ، واتفقا على
الذهاب إلى المدينة ، ليسلما .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، إن الله تعالى بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا ألاّ نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال : ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟

قالوا : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يقرعها ذكر (١) .

قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والتيسيين والرهبان ، والله ما تزيدون على الذي يقول فيه ، ما يساوى هذا .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وإنه الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم .

والله لولا ما أنا فيه من الملك ، لأنته حتى أكون أنا أحمل نعليه .

وأمر بهدايا الآخرين ، فردّت إليهم .

(١) مسند أحمد وسيرة ابن كثير : ولم يفرضها ولد . أى لم يؤثر فيها ولد ولم يجزها قبل المسيح .

الباب الثاني والعشرون

في ذكر ما كتبه المشركون من التبرّي من بني هاشم وبني المطلب

لَمَّا دَفَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَكَتَبُوا كِتَابًا تَعَاقدُوا فِيهِ أَلَّا يَنْكَحُوا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ
وَبَنِي الْمَطْلَبِ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَّاعُوا مِنْهُمْ .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ النَّبُوَّةِ .

وَعَلَّقُوا ذَلِكَ الْكِتَابَ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا لِلْأَمْرِ .

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ، انْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ ^(١) وَبَنُو الْمَطْلَبِ إِلَى ابْنِ طَالِبٍ ،
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي شِعْبِهِ ^(٢) ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ أَبُو لَهَبٍ ، وَظَاهَرُ ^(٣) الْمُشْرِكِينَ .

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَقَطَعُوا الْمِيرَةَ وَالْمَادَّةَ عَنْهُمْ ^(٤) ،
فَكَانُوا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مِنْ مَوْسَمٍ إِلَى مَوْسَمٍ ، حَتَّى بَلَغَهُمُ الْجُنْدُ ^(٥) .

وَكَانَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ رَبِيعَةَ يُدْخِلُ إِلَيْهِمْ أَحْمَالَ طَعَامٍ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ .
ثُمَّ يُقِضُ حُكْمُ الصَّحِيفَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَفِي سَبَبِ نَقْضِهِ قَوْلَانِ :

(١) انْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ . أَيْ : انْضَمُّوا .

(٢) أَيْ : فِي أَرْضِهِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الشَّعْبُ بِالْكَسْرِ
الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ ، وَفِي الْقَامُوسِ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ وَمَسِيلُ الْمَاءِ فِي بَطْنِ أَرْضٍ
أَوْ مَا اقْتَرَجَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ . (٣) ظَاهِرُ الْمُشْرِكِينَ . أَيْ : عَاوَنُهُمْ .

(٤) أَيْ قَطَعُوا عَنْهُمْ الطَّعَامَ وَلَوَازِمَ الْحَيَاةِ .

(٥) أَيْ : بَلَغَتْ بِهِمُ اللَّشَقَةُ نَهَايَتَهَا .

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صهيقتهم وأن الأرضة (١) قد أكلت ما كان فيها من جَورٍ وظلم ، وبقي ما كان من ذِكر الله .

فذكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب .
فقال أبو طالب : أحقُّ ما تخبرني به يا ابن أخي ؟ قال : نعم ، والله يا عم .

فذكر ذلك أبو طالب لأخويه ، وقال : والله ما كذَّبني قط .
قالوا : فأتري ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسنَ ثيابكم ، وتخرجوا إلى قریش ، فذكر لهم ذلك من قبل أن يبلغهم الخير .

فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب :
إنا قد جئنا في أمر فأجيبوا فيه .

قالوا : مرحباً بكم وأهلاً .

قال : إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذِّبني قط ، أن الله تعالى سلَّط على صهيقتكم الأرضة ، فلحست كلَّ ما كان فيها من جَورٍ ، أو ظلم ، أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كلُّ ما ذُكر به الله تعالى .

فإن كان ابن أخي صادقاً ، نزعتم عن سوء رأيكم .

وإن كان كاذباً ، دفعتمهُ إليكم فقتلتموه ، أو استحييتموه إن شئتم .

(١) قال في المختار من الصحاح ، الأرضة : بفتح الراء والضاد . دويبة تأكل الخشب .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا إلى الصحيفة ، فلما فتحوها ، إذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُقِطَ^(١) في أيدي القوم ، ثم نكسوا على رؤوسهم .

فقال أبو طالب : هل تبين لكم أنكم أوّل بالظلم والقطيعة .

فلم يراجعه أحد منهم . ثم انصرفوا .

رواه محمد بن سعد ، عن أشياخ له .

والثاني : أن هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال :

يا زهير ، أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وَتَسْكَحَ النِّسَاءَ ، وَأَخْوَالَكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ، لَا يَبْتَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ !

أَمَا إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ ، لَوْ كَانَ أَخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي آخر لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا .

قال : قد وجدت رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال ابْقِنَا^(١) نالئًا .

فذهب إلى الْمُطْعَمِ بْنِ عَدَى ، فقال له :

يا مطعم ، أَرْضَيْتَ أَنْ تَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ !

(١) سقط . بالبناء للجهول ، أى : ندم . (٢) ابْقِنَا . أى : اطلب لنا .

قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدتَ ثالثاً . قال : من هو ؟ قال زهير بن أمية .

قال : ابقنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن

عدي ، فقال :

وهل من أحد يُعين على هذا ؟

قال : نعم زهير ، والمطعم ، وأنا معك .

قال : ابقنا خامساً .

فذهب إلى زمعة بن الأسود فكلّمه . فقال : وهل على هذا الأمر أحد ؟

قال : نعم . فسعى له القوم .

فأتعّدوا واجتمعوا ، وتعهّدوا على القيام في الصحيفة حتى ينتهضوها .

فعدا زهير فطاف ثم قال :

يا أهل مكة ، إنا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ،
وبنو هاشم هلكي ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة .

فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشَق .

فقال زمعة : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كُتبت .

فقال أبو البختريّ : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به .

فقال المطعم : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها

وما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو ، نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِيَ (١) بليل ، وتُشَوَّر فيه بغير هذا المكان .

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشتمها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » .

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، فشَلَّت يده .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر (٢) وهو بمَنَى :

« نحن نازلون غدًا بِخَيْف (٣) بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكُفْرِ .
يعنى بذلك ، المحصَّب .

وذلك أن قريشاً وكنانة ، تحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ، ألاّ بناكحهم ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أى : دُبِّرَ .

(٢) فى البخارى ١٨٦/٢ : حين أراد حنيناً .

(٣) قال فى الصحاح : الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، والمراد هنا : اسم موضع لبنى كنانة مرتفع عن مسيل الماء .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى عليه وسلم
مع ضِمَاد الأَزْدِي الوافد

• عن ابن عباس : أن ضِمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ وكان من أَزْدِ شَنْوَةَ ، وكان يَرْقِي من الرِّيح^(١) ، فسمع سفهاء أهل مَكَّةَ يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : لو أني رأيتُ هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ! قال : فأتيتُه فقلت : يا محمد إني أرقى من الرِّيح^(١) وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » . فقال : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ .

فأعادهن عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال : لقد سمعتُ قولَ الكهنة والسَّحرة والشُّعراء ، فما سمعتُ مثلَ كلماتك هَؤُلَاءِ ولقد بلغتُ قاموس^(٢) البحر ، هات يدك أبايعك على الإسلام . فبايعه .

(١) ابن كثير « من هذه الرياح » .
(٢) قاموس البحر : أبعد مكان فيه غورا . قال في المختار من الصحاح : قاموس البحر : وسطه ومعظم الماء فيه . ومثله في سائر المعاجم . وفي ابن كثير : ولقد بلغتُ قاموس البحر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟

قال : وعلى قومي .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، فروا بقومه .

فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟

قال رجل : أصبت منهم مظهرة^(١) .

قال : ردّها ، فإن هؤلاء قوم ضمّاد .

(١) المظهر : البعير الذي حمّته الظهيرة .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة

• عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلّمه ، فلينظر ماذا يردّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً ، غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : ائنه يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت . ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبتّها .

وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلّم حتى نسمع قولك .
ما رأينا سَخْلَةً^(١) أشأمَ على قومه منك .

فرقت جماعتنا وشئت أمرنا ، وفضحتنا في العرب .
حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا .
والله ما ننظر إلا مثل صبيحة الجبل أن يقوم بمضنا لبعض بالسيوف ، حتى نتفانى .

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمز ساعة تولد .
يريد : ما رأينا مولوداً أنحس على قومه منك .

أيها الرجل إن كان ما بك الباه فاختر أي نساء قريش فلنزوجك
عشرا، وإن كان ما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى
قريش رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَمْ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيرا ونذيرا » .
حتى قرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ قَادٍ
وَتُومُودَ (سورة فصلت من ١ إلى ١٣) » .

فقال له عتبة : حسبك ، فما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش ، فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما تركت شيئا ، أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته .

قالوا . فهل أجابك ؟ قال : نعم .

قال : لا والذي نَصَبَهَا بَنِيَّةٌ (١) ما فهمت مما قال غير أنه قال :

« أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَتُومُودَ » .

قالوا : وملك ! يكلمك بالعربية ، ولا تدري ما يقول !

قال : والله ما فهمت شيئا مما قال ، غير ذكر الصاعقة !

(١) بنية . يريد : الكعبة .

الباب الحامس والعشرون

في ذكر ما أشار به الوليد على قريش في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم

• عن سعيد بن جبير ، أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم .

فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلئوا في كذب بعضهم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً ، نقل به .
قال : بل أنتم ، فقولوا وانموا .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمتهم ولا سجنهم .

قالوا : نقول إنه مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بمجنونه ولا تخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول إنه شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه ، وهزجه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشاعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو ساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعذق (١) ، وإن فرعه الجنة (٢) وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً ، إلا عُرِفَ أنه باطل .

وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : هذا ساحر ، يفرّق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرّقوا عنه بذلك .

● عن عمرو ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعت الشعر ، رجزه وقريضه ، فما سمعت مثل هذا ، يعنى القرآن ، ما هو بشعر .

إن عليه لطلاوة (٣) ، وإن له لنوراً ، وإنه يعلو وما يُعلَى .

● عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال :

أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟

قال : ليمطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما يقوله (٤) .

قال : قد علمت قريش ، أنى من أكثرها مالا .

(١) العذق : النخلة : يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى وفي الأصل : لمعذق . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الجنة : ما يجنى من الشجر .

(٣) أى : حسن وبهجة .

(٤) ابن كثير : تعرض لما قبله .

قال : فقل له قولاً يَبْلُغُ قومَكَ ، أنك مُنْكَرٌ لما قال ، وأنتَ كاره له .
قال : وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار مني .
والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله لَحَلَاوَةً وإن عليه
لَطَلَاوَةً ، وإنه لَمُتَمَرُّ أعلاه ، مُنْذِرٌ (١) أسفله ، وإنه لَيَخْطِلُ ما تحته ، وإنه
لَيَقْلُو ما يُغْلَى .

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعني حتى أنظر إليه .

قال : فلما فُكِّرَ قال : هذا سحر يؤثر . أی : يَأْثُرُهُ (٢) عن غيره .
فنزل فيه : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » (٣) .

(١) غصب . كما في أساس البلاغة .

(٢) يَأْثُرُهُ : يرويه .

(٣) سورة المدثر . الآية - ١١

الباب السادس والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى
من قومة يَبْذُلُ لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة [مما هم فيه] (١) وجعلت
قريش حين منعه الله منهم ، يَحْذَرُونَ الناسَ وَمَنْ قدم عليهم من العرب .
وكان الطفيل بن عمرو الدؤسي ، يحدث أنه قدم مكة ، ورسولُ الله
صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً
شريفاً شاعراً لبيناً .

فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدِمْتَ بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين
أظْهُرنا ، قد أَعْضَلَ بنا ، وفَرَّقَ جماعتنا .
وإنما قوله كالسَّحَر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين
أخيه ، وبين الرجل وزوجته .

وإنما نَحْشَى عليك وعلى قومك ، ما قد دخل علينا ، فلا تكلِّمْه
ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بي ، حتى أجمعتُ على ألا أسمع منه شيئاً
ولا أكلمه ، حتى حشوتُ أُذُنِي حين غَدوت إلى المسجد كَرْسُفاً (٢) ،

(١) من ابن هشام . (٢) الكرسف : القطن .

فَرَقَا^(١) من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع .
قال : ففدوتُ إن المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ
يصلِّي عند الكعبة .

قال : فتمت قريباً منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله .
قال : فسمعتُ كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي : واكُكُلْ أُمِّي !
والله ، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني
من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟
فإن كان الذي يأتي به حسناً ، قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركته .
قال : فكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته .
فاتبعته حتى دخلت عليه ، فقلت :

يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا . للذي قالوا .
فوالله ما برحوا يخونونني^(٢) أمرك حتى سددتُ أذني بكرسُف ،
لئلا أسمع قولك .
ثم أبى الله إلا أن يُسمعني^(٣) ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرض
عليَّ أمرك .

قال : فعرض عليَّ الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً
قط ، أحسن ، ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إني آمرو

(١) فرقاً . أي : خوفاً . (٢) في النسخ : يخونوني . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : يسمعني قولك .

مُطَاعٌ فِي قَوْمِي ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
لِي آيَةً ، لِتَكُونَ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » .

قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بِدَنْيَّةٍ (١) تَطْلُعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ
وَقَعَ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلَ الصَّبَاحِ .

قال : فقلت : اللهم اجعله في غير وجهي ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا
مُثَلَّةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِهِ ، لَفَرَّاقٍ دِينَهُمْ .

قال : فَتَحَوَّلَ ، فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوَاطِي .

فَجَعَلَ الْحَاضِرُونَ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ الْقُورَ فِي سَوَاطِي كَالْقَنْدِيلِ الْمُلَقَّى ، وَأَنَا
أَنْهَبْتُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّانِيَةِ .

قال : حتى جئتهم فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ .

فَلَمَّا نَزَلْتُ ، أَنَا نِي أَبِي وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا .

قال : فقلت : إِلَيْكَ عَنِّي (٢) يَا أَبَتَ ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مَنِّي .

قال : وَلِمَ أَيْ بَنِي ؟

قال : قلت : أَسَلَمْتُ وَبَايَعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) .

قال : أَيْ بَنِي ، فَدِينِي دِينُكَ [قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطمهر
ثِيَابَكَ ، ثُمَّ تَعَالِ حَتَّى أَعْلَمَكَ مَا عَمِلْتَ قَالَ : فَذَهَبَ] (٤) فَاغْتَسَلَ وَطَمَّهَرْ ثِيَابَهُ
ثُمَّ جَاءَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَ .

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .

(٢) إِلَيْكَ عَنِّي . أَيْ : ابْتَعَدَ عَنِّي .

(٣) ابن هشام « وتابعت دين محمد » . (٤) مابن القوسين من ابن هشام .

قال : ثم أتتني صاحبتي فقلت لها : إليك عني ، فاست منك ولست مني .

قالت : ولم ، بأبي أنت وأمي ؟

قال : قلت : فَرَّقَ بيني وبينك الإسلام . فأسلت (١) .

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا عليّ .

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا نبي الله ، إنه قد غلبتني دوس ، فادع الله عليهم :

قال : « اللهم اهْدِ دوسا ، ارجع إلى قومك ، فادعهم ، وارفق بهم » .

قال : فرجعت فلم أزل بأرض دوس ، أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى (٢) بدرأ ، وأحدأ ، وانخندق .

ثم قَدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين

يَتِيًّا من دوس (٣) .

(١) اختصر ابن الجوزي هنا ، فلم يذكر ما دار بينه وبينها حتى أسلمت ، وهو

مذكور في ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤ .

(٢) قضى . أى : انتهى من هذه النزوات الثلاث .

(٣) لم يذكر المؤلف بقية خبر الطفيل حتى موته . وهو في ابن هشام .

الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أبي طالب عند موته

• عن سعيد بن المسيّب قال : لما احتضر أبو طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« يا عم ، إنك أعظم الناس عليّ حقاً ، وأحسنهم عندي يداً ، ولأنت أعظم عليّ حقاً من والدي ، فقلّ كلمة تحبّ لك بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله » .

فقال له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب ومات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنّ لك ، ما لم أنه عنك .

فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » إلى قوله : « حلیم » (١) .

• عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة » .

فقال : لولا أن تُعيرني قريشٌ فيقولون : إنما حمله على ذلك الجزع ،
لأقررتُ بها عينك .

فأنزل الله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » (١) .
انفرد بإخراجه مسلم .

وهكذا روى لنا الجزع - بالجيم والزاى - وأهل اللغة ينكرون ذلك .
قال ثعلب : إنما الخرج - بالخاء والراء - وهو الضعف والخور .

• عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر المَذَرِي قال : قال أبو طالب :
يا ابن أخي ، لولا رهبة أن تقول قريش وهَرَانِي (٢) الجزع ، فيكون
سُبَّةً عليك وعلى بنى أبيك ، لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لِمَا
أرى من شكرك وَوَجْدِكَ بِي ، ونصيحتك لى .

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ، ما سمعتم من
محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه وأعينوه ، تَرشُدُوا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ تأمرهم بها ، وتدعها لنفسك ؟ !
فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتنى الكلمة وأنا صحيح ، لبايعتك
على الذى تقول .

ولم يكن أكره أن أجزع عند الموت ، فترى قريش : أنى أخذتها جَزَعًا ،
ورددتها فى صحى .

• عن على قال : أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بموتِ أبى طالب
فبكى ، ثم قال : « اذهب فاغسله وكفنه ، وادفنه غفر الله له ورحمه » .

قال : ففعلت .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته ، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى » الآية .
قال علي : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت .

• عن علي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : إن عمك الشيخ الضال مات . قال : اذهب ، فواره ، ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني .
فأتيته فقلت له ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني ، ما عرض بهن من شيء .

• عن ابن عباس قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال : وصَلَّتْكَ رَحِمٌ ، وجزاك الله خيراً ، يا عم .
• عن العباس بن عبد المطلب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، عمك أبو طالب ، كان يفض بك ويمنحك ، هل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم هو في صحاح من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار .
أخرجاه في الصحيحين .

• عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قریش :
يا أبا طالب ، أرسل إلى ابن أخيك ، فيرسل إليك من هذه الجنة ، التي يذكر ، بشيء يكون لك شفاء .

قال : نخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر معه جالس ، فقال :

يا محمد عمك يقول لك : يا ابن أخي ، إني كبير ضعيف سقيم ، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها ، بشيء يكون لي فيه شفاء .

قال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين .

فرجع إليهم فأخبرهم . فقال :

قد بلغت محمداً الذي أرسلتموني ، فلم يُجز لي شيئاً .

فقال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين ، فسكت محمد .

فحملوا أنفسهم عليه ، حتى يرسل رسولا من عنده ، فوجد الرسول في مجلسه . قال : فقال له مثل ذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حرمها على الكافرين ، طعامها ، وشرابها .

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت ، فوجده مملوءاً رجالاً فقال : خلّوا عن عني .

فقالوا : ما نحن بفاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك .

فجلس إليه فقال : يا عم جُزيت خيراً ، كَسَفَلتني صغيراً ، وحضنتني كبيراً ، فنجُزيت عنّي خيراً يا عماء ، أعني على نفسك بكلمة واحدة ، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة .

قال : وما هي يا ابن أخي ؟

قال : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال : إنك لي لناصح ، والله لولا أن تُعَيِّرَ^(١) بها بعمدي فيقال : جَزَع
عَمَّكَ عند الموت ، لأَقَرَرْتُ بها عَيْنَكَ .

قال : فصاح القوم : يا أبا طالب ، أنت رأسُ الحنيفة ، ملةُ الأشياخ .
قال : أنا على ملةِ الأشياخ ، لا تحدِّثُ قريشٌ أن عمَّكَ جَزَع عند الموت .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أزال أستغفر لك ربِّي ،
حتى يرُدَّني .

فاستغفر له بعد ما مات .

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، ولذوي قرابتنا ، وقد
استغفر إبراهيمُ لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه ؟ فاستغفروا للمشركين ، حتى
نزلت الآية :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ »^(١) حتى
فرغ من الآية .

(١) في الأصل (لولا تعير) وهو خطأ

(٢) سورة التوبة ١١٣

الباب الثامن والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موت أبي طالب وخديجة

• عن [عبد الله بن] (١) ثعلبة بن صعير قال : لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فزَمَ بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريش ، ما لم تمكن تنال ولا تطمع [به] (١) .

فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاء فقال : يا محمد امض لما أردت ، وما كنت صانعاً ، إذ كان أبو طالب حياً ، فاصنعه ، لا واللات ، لا يؤصل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فقال منه فوالى يصيح : يا معشر قريش صبأ أبو عتبة .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب ، فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكن أُمْنِعُ ابنَ أخى أن يُضَامَ ، حتى يمضى لما يريد . فقالوا : قد أحسنت وأجملت ، ووصلت الرَّحِمَ .

فكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك ، يذهب ويأتى ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابُوا أبا لهب ، إذ (٢) جاء عُقْبَةُ بْنُ

(١) من طبقات ابن سعد ١/١٣١ . (٢) ابن سعد : إلى أن جاء .

أَبِي مُعَيْطٍ وَأَبُو جَهْلٍ ، إِلَى أَبِي هُبَيْبٍ فَقَالَا لَهُ : أَخْبِرْكَ ابْنُ أَخِيكَ ، أَيْنَ
مُدْخَلُ أَبِييكَ ؟

فَقَالَ لَهُ أَبُو هُبَيْبٍ : يَا مُحَمَّدُ أَيْنَ مَدْخَلُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ قَالَ : مَعَ قَوْمِهِ .

قَالَ : نَفْرَجُ أَبُو هُبَيْبٍ إِلَيْهِمَا ، فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ فَقَالَ : مَعَ قَوْمِهِ .

فَقَالَا : يَزْعُمُ ، أَنَّهُ فِي النَّارِ !

فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَيْدْخَلُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ النَّارَ ؟ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى مِثْلِ مَا مَاتَ

عَلَيْهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، دَخَلَ النَّارَ

فَقَالَ أَبُو هُبَيْبٍ : وَاللَّهِ لَا بَرَحَتْ^(٢) لَكَ عِدْوًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ

عَبْدَ الْمَطْلَبِ فِي النَّارِ .

فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَسَائِرُ قُرَيْشٍ .

● عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى أَبُو طَالِبٍ ، تَنَاوَلَتْ^(٣)

قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَفْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ .

(١) الْأَصْلُ : لَا رَحْتَ . وَهُوَ تَعْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَمَدٍ : ١/٣٣١

(٢) قَوْلُهُ « تَنَاوَلَتْ الْحَ » كَذَا فِي الْأَصْلِ ، يُرِيدُ أَنَّ قُرَيْشًا نَالَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَسْكُنْ تَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ فَكَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ يَجْعَلَ الْمُؤَلَّفُ
بِـ « نَالَتْ » الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى « آذَتْ » لِأَنَّ « تَنَاوَلَتْ » لَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في خروجه إلى الطائف

• عن محمد بن جبير بن مطعم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد موت أبي طالب ، إلى الطائف . ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال [بَقِين] (١) من شوال سنة عشر .

قال محمد بن عمر ، بغير هذا الإسناد : فأقام بالطائف عشرة أيام . وقال غيره : شهراً . لا يدع أحداً من أشrafهم إلا جاءه وكلمه . فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والحق بمحآبك من الأرض .

وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجونه بالحجارة ، حتى إن رجله لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شجَّ في رأسه شجاجا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وهو محزون .

فلما نزل نخلة ، قام يصلي من الليل ، فانصرف (٢) إليه سبعة نفر من الجن ، أهل نصيبين ، فاستمعوا ، فأقام بنخلة أياما ، ثم أراد الدخول .

فقال له زيد : وكيف تدخل عليهم ، وهم قد أخرجوك ؟ فأخرج رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى : أدخل في جوارك ؟ قال : نعم .

(١) من ابن سعد .

(٢) ابن سعد : فصرف .

• وقال محمد بن كعب القرظي : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم سادة ثقيف وأشرافهم يومئذ ، وهم إخوة ثلاثة ، عبد يا كيل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو ابن عمير .

فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وكلهم بما جاء له ، من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال أحدهم : هو يَمْرُطُ (١) ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله رسولا يرسله غيرك !

وقال الثالث : والله لا أكلّمك أبداً ، إن كنت رسولا كما تقول ، لأنّ أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام .

وإن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلّمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف (٢) .

[وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عنى .

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذّروهم (٣) ذلك عليه . فلم يفعلوا] .

(١) يمرط . أى : ينزعه ويرمى به .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام .

(٣) يذّروهم عليه : يشيرون ويحرّضونهم .

وقال عبيد بن الأبرص :

[وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا]

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمعت عليه الناس ، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] (١) وها فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف ، من كان يتبعه .

فعمد إلى حُبلة (٢) من عنب ، فجلس في ظلها ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتي من سفهاء ثقيف .

فلما اطمان قال ، فيما ذكر لي : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ ! إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري (٣) ، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل عليّ سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأى ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، مالتي ، دعوا غلاماً لها نصرانيا يقال له « عدّاس » فقالا له :

خذ قطعاً من هذا العنب ، فضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له : يا كل منه .

ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) قال في القاموس : الحبل بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله .

(٣) رواية اللواهب ١/ ٣٠٤ : « إلى عدو بعيد يتجهمني ، أم إلى صديق قريب ملكته أمري » ومعنى يتجهمني : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : « بسم الله »
ثم أكل .

فنظر عدّاس إلى وجهه . ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل
هذا البلد (١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت ،
وما دينك ؟

قال : أنا نصراني (٢) ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية (٣) الرجل الصالح « يونس
ابن مَتَّى ؟ » .

قال له : وما يدريك ، ما يونس بن مَتَّى ؟

قال : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبي .

فأكبَّ عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقَبَّلَ رأسه
وبيديه ورجليه .

قال : يقول ابنا ربعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك ، فقد أفسده عليك .

فلما جاءهما عدّاس قالَا له : ويلك يا عداس ، مالك تقبّل رأس هذا
الرجل وبديه وقدميه ؟ !

قال : يا سيدي ما فى الأرض خير من هذا الرجل ! لقد أخبرتني بأمر
لا يعلمه إلا نبي .

(١) فى ابن هشام : هذه البلاد .

(٢) الاصل : أنا يقيم أبى . وهو تحريف .

(٣) الاصل : من ذرية . وهو تحريف .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أخفيتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوديتُ في الله ، وما يؤذى أحد ، ولقد أتتُ على ثلاثون من بين يوم وليلة ، ومالي طعام يأكله ذو كبد ، إلا شئ يواريه إبطُ بلال » .

قال الترمذی : هذا حديث صحيح .

ومعناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فاراً (١) من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ، ما يُحمل تحت إبطه .

(١) قوله : فاراً الخ تعبير غير صحيح ، وغير لائق بالجناب النبوي ، وخروجه لم يكن للفرار بل لنشر الدعوة ، وهو صلى الله عليه وسلم أعظم قدراً وأعلى مقاماً من أن يوصف بالفرار وهو الذي امتلأ قلبه شجاعة وقوة بالله . فلا يليق أن نطلق أمثال هذه الكلمات على مقامه الرفيع .

الباب الثمانون

في دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
لما رجع من الطائف

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأخنس
ابن شريق . فقال : هل أنت مُجِيرى حتى أبلغ رسالة ربي ؟
فقال الأخنس : إن الحليف لا يجير على الصريح .
فقال للرسول : إيت سُهَيْل بن عمرو فقل له :
إن محمد أيقول لك هل أنت مُجِيرى حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فأتاه .
فقال له ذلك [، فقال :]^(١) إن بني عامر بن لؤى ، لا تجير على
بني كعب .

قال : فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال :
إيت المُطْعَم بن عَدَى . فقل له : إن محمد أيقول لك : هل أنت مُجِيرى
حتى أبلغ رسالة ربي ؟
قال : نعم ، فليَدْخُل .
فرجع إليه فأخبره .
وأصبح المُطْعَم بن عدى قد لبس سلاحه ، هو وبنوه ، وبنو أخيه ،
فدخل المسجد .

(١) من تاريخ الطبرى .

فلما رآه أبو جهل قال : أم مجير أم تابع ؟

قال : بل مجير .

قال : أجزنا من أجرت .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتتهى إلى الركن فاستلمه ،
وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مطيفون به .

• عن محمد جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« لو كان المطعم بن عدى حياً ، فكلمنى فى هؤلاء الننتى ، يعنى أسارى
بدر ، لأطلقتهم له » .

البَابُ الحَادِي الثَّلَاثُونَ

فِي عَرْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ
عَلَى الْقَبَائِلِ فِي الْمَوَاسِمِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ فِي الْمَوَاسِمِ عَلَى الْقَبَائِلِ فَيَقُولُ :
يَا بَنِي فَلَانُ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، يَا مَرْكَمُ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا .

فَكَانَ يَمْشِي خَلْفَهُ أَبُو لَهَبٍ وَيَقُولُ : لَا تَطِيعُوهُ .

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ .

وَأَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَحَ رَدٍّ .

وَأَتَى عَامِرَ بْنَ صَفْصَعَةَ .

وَكَانَ لَا يَدْعُ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ إِلَّا دَعَاهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ
مَا عِنْدَهُ .

• وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ
عَشْرَ سَنِينَ ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ بِمَكَاظٍ ، وَبِحِجَّةٍ وَفِي الْمَوَاسِمِ يَقُولُ : مَنْ
يُؤْوِيَنِي مِنْ يَنْصُرُنِي ؟

• عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ
نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ وَيَقُولُ : أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي
أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي .

فصل

ربما عَرَضَ للمحد أو قليل الإيمان فقال : ما وَجَّهَ احتياج الرسول أن يدخل في خفارة كافر ، وأن يقول في المواسم : من يؤويني ؟
فلو كان أمره حقاً كان مُرْسَلُهُ ينصره .
فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة .
فإذا خفيت حكمة فِعْله عنا ، وجب علينا التسليم له .
وما جرى للرسول ، إنما صدرَ عن الحكيم الذي أقام قوانين السكليات ، وأدار الأفلاك ، وأجرى المياه وأرسل الرياح ، بتدبير مُحْكَمٍ ، لا خلل فيه .
فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَرَ من الجوع ، ويُقَهِّرُ وَيُوذِي ، علمنا أن تحت ذلك حِكْماً ، إن تلمَّحْنَا بعضها ، لاحت من خلال سُجُفِ البلاء حكمتان :
إحداها : اختبار المبتلى لِيَسْكُنَ قلبه إلى الرضاء بالبلاء ، فيوَدِّي القلبُ ما كُفِّ من ذلك .

والثانية : بثُّ الشبهة في خِلالِ المحجج ، لِيُثَابَ المجتهد في دفع الشبهة (١) .

(١) إن الابتلاء سنة لا تبدل في حياة كل الأنبياء ، وهو لا يحتاج إلى هذا التكلف في التأويل ، فهو قانون ثابت .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم يعرض نفسه على القبائل
كما كان يصنع في كل موسم .

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ، فقال : من أنتم ؟

قالوا : من الخزرج .

قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ،
وتلا عليهم القرآن .

وكان قد ماؤهم ، يسمعون أنه سيظهر نبي من بني غالب .

عن ابن جميع^(١) قال : لما حضرت أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو
ابن عامر الوفاة ، قالوا له :

قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى .

وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك غير مالك .

(١) الخبر مروي عن جابر بن جندان بن جميع بن عثمان بن سمالك بن الحصين
ابن السمؤال بن عادي ، وقد نقله ابن كثير عن الحرائطي في سيرته ٣٣٩ / ١ . وقد
اختصره ابن الجوزي .

فقال : لن يهلك هالك ترك مثل مالك . وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ لِلَّهِ دَعْوَةً يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبَرِّ
إِذَا بُعِثَ الْمَبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمَنِمَ وَالْحَجْرِ
هُنَالِكَ فَابْغُوا نَصْرَهُ بِلَادِكُمْ بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

وكان أولئك الذين عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون من اليهود ، أنه قد أطل زمان نبي .

فلما كلمهم قال بعضهم لبعض : والله إنه للأنبي الذي تعدكم يهود ، فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا .

وكانوا ستة نفر : أسعد بن زُرارة ، وعوف بن عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ، وقُطَيْبَةُ بنِ عامر [، وعُقَيْبَةُ بن عامر]^(١) وجابر بن عبد الله ابن رِثَاب .

فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعواهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم .

فلما كان من العام المقبل ، قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة ، منهم الستة الذين تقدم ذكركم ، سوى جابر ، ومُعَاذُ بنِ عَفْرَاء ، وَذَكْوَانُ بن عبد قيس ، وَعُجْبَادَةُ بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وعباس ابن عباد ، وعُوَيْمُ بن ساعدة ، وأبو الهيثم بن التَّيَّهَانِ^(٢) .

فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) من اللواهب وابن هشام .

(٢) قال الزرقاني : يأؤه مخففة عند أهل الحجاز ، مشددة عند غيرهم .

• قال عُبادَةُ بن الصّامِت : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة ، ونحن اثنا عشر رجلاً ، أنا أحدُهم .

فبايعناه بيعةَ النساء ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نُسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بيهتان ، نفترية بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . وذلك قبل أن تُفرض الحرب (١) .

فإن وفيتم بذلك ، فلکم الجنة ، وإن غشيتم شيئاً ، فأمرُكم إلى الله ، فإن شاء غفر ، وإن شاء عذّب .

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم ، مُصعبَ ابن عمير إلى المدينة ، يفتّهُ أهلها ، ويقرئهم القرآن .
فأسلم خلقٌ كثير .

(١) قال الزرقاني : والذي دلت عليه الأحاديث أن البيعة ثلاث : العقبة ، وكانت قبل فرض الحرب ، والثانية بعد الحرب على عدم الفرار ، والثالثة على نظير بيعة النساء .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدي عن رجاله : كان المَسْرَى ليلة السبت ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث ، قبل الهجرة ، ثمانية عشر شهراً .

وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا : أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة ، من ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة . وهذا قول ابن عباس وعائشة .

وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول :

قال قوم : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة .

وقال آخرون : قبل الهجرة بستة أشهر .

فمن قال بسنة ، فيكون ذلك في ربيع الأول .

ومن قال لثمانية أشهر ، فيكون ذلك في رجب .

ومن قال لستة أشهر ، فيكون ذلك في رمضان .

قلت : وقد كان في ليلة سبع وعشرين من رجب .

• عن أنس بن مالك أن مالك بن صَعَصَعَةَ حَدَّثَهُ ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسْرِيَ به قال :

بينما أنا في الحطيم ، وربما قال قتادة : في الحجر ، مضطجع ، إذ أتاني آتٍ ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة .

قال : فأتاني فقَدْ ، وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه .

قال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني به ؟

قال : من ثغرة نَحَرِه إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قَصَّه إلى شعرته .

قال : فاستخرج قلبي . قال : فأُتيت بِطاست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ، ثم حُسِّي ، ثم أعيد ، ثم أُتيت بدابة ، دون البغل ، وفوق الحمار ، أبيض .

قال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟

قال : نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه .

قال : فحملت عليه . قال : فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا .

فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء .

قال : ففتح ، فلما خلُصت ، إذا فيها آدم .

قال : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ [قال : نعم] .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء : قال : ففتح .

فلما خلصت إذا ييحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة .

قال : هذا ييحيى وعيسى ، فسلمَّ عليهما .

فسلمَّت فردًّا السلام ، ثم قالاً : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيلاً : من هذا ؟ قال : جبريل .

فقال : ومن معك ؟ قال : محمد .

فقال : أو قد أرسل إليهِ ؟ قال : نعم .

فقال : مرحباً به ، ونعم المحيى جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلمَّ عليه .

قال : فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ،
والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيلاً : من هذا ؟ قال : جبريل .

فقال : ومن معك ؟ قال : محمد .

فقال (١) : أو قد أرسل إليهِ ؟ قال : نعم .

فقال : مرحباً به ، ونعم المحيى جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، إذا إدريس عليه السلام ، قال : هذا إدريس ، فسلمَّ عليه .

قال : فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ،
والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيلاً : من هذا ؟
قال : جبريل .

(١) الأصل : « قال » وهو خطأ وما أثبتته من البخارى .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام وقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء .

فلما خلصت ، إذا موسى عليه السلام .

قيل : هذا موسى ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

فلما تجاوزتُ بكى .

فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : غلام بُعثَ بعدى ، يدخل الجنة من أمته ،

أكثر مما يدخل من أمتي !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح :

فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم :

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، فقال : هذا إبراهيم ، فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .
قال : ثم رفعت لى سِدْرَةَ المنتهى ، فإذا نَبَقَهَا مثل قِلَالٍ هَجَرَ ، وإذا
ورقها مثل آذان الفيلة .

قال : وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

[فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : (١)] .

أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه رأى البَيتَ المعمور ، يدخله كلَّ يوم ، سبعون ألف ملك ، ثم
لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال :

ثم أتيتُ بِنَاءَ من خمر ، وبِنَاءَ من لبن ، وبِنَاءَ من عسل .

قال : فأخذتُ اللبن ، قال : هذه الفطرة ، أنت عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت على خمسون صلاة كل يوم .

قال : فرجعت ، ففررت على موسى فقال : بما أمرت ؟

قلت : أمرتُ بخمسين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإنى قد خبرت (٢) الناس

قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل ، أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسئله
التخفيف لأمتك .

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وإنى والله قد جربت الناس قبلك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ .

فرجعت إلى موسى قال : بم أمرت ؟

قلت : بأربعين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله
التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم .

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى ، قال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم .

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ،

فارجع إلى ربك فسله التخفيف .

قال : فرجعت ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت

الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال :
بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .
قال : إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة .
فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، واسكنني أرضي وأسلم .
فلما نفذت (١) نادى مناد : قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي .

• عن جابر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما
كذبتني قريش حين أسرى بي [قمت في الحجر فحلا الله لي بيت المقدس (٢) .
فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .
أخرجها .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لما كان ليلة أسرى بي ، فأصبحت بمكة ، فطفقت بأمرى (٣) ، وعرفت
أن الناس مكذبني .

قال : فعمدت معتزلاً حزيناً .
فرَّ به أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان
من شيء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟
قال : إني أسرى بي الليلة .

(١) البخاري : فلما جاوزت .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من البخاري . (٣) مسند أحمد : أمرى .

قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .

قال : فلم يرَ أنه مكذّبٌ بخافَةٍ أن يجحدَه الحديثَ إن دعا قومه إليه .

قال : أرايتَ إن دعوتُ قومك ، آتحدّثهم ما حدثتني ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال : هيا مِشر بنى كعب بن لؤى .

حتى انتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال : حدّث قومك بما حدثتني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أُسرى بي الليلة .

قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .

قال : فبينَ مصفّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً ، للكذب ،

ثم قالوا : أو تستطيع أن تنعتَ لنا المسجد ؟

وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فما زلت أنعت حتى التبتس على^(١) بعضُ النعت . قال :

فجئء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عُقيل أو عقال .

فنعته وأنا أنظر إليه .

فقال القوم : أمّا النعت ، فقد والله ، أصاب .

وقد رَوَى حديثَ المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الأصل : إلى . وما أثبتته من السند .

جماعة ، منهم : ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وأبي ، وحذيفة ، وأبو سعيد ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأم هاني .

وقد ذكرنا في حديث أنس بن مالك ، من رواية شريك عنه ، وفي رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قال : « رجعت إلى ربي فخطأ عني خمسا ولم أزل أراجع بين ربي وبين موسى ، ويمحط عني خمسا خمسا » . وهذا من أفراد مسلم .

والأول أصح ، لأنه قد اتفق البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك . ومن حديث أنس عن نفسه ، أنه خط عشرأ . فهذه الرواية التي فيها « فخطأ خمسا خمسا » غلط من الراوي .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بي أتاني جبريل بالبراق مُسرّجاً ملجماً ، فذهبت لأركبه ، فاستصعب عليّ . فقال جبريل : أبحمد تفعل هذا ؟ والله ما ركبك نبي أكرم منه على الله تعالى . فإرفض البراق عرقاً .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار
في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة

• عن كعب بن مالك قال : خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق .

وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، وكنا نسكن من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا :

يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه ، أن تكون خطيباً للنار غداً . ثم دعونا^(١) إلى الإسلام وأخبرناه^(١) بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا

فبقينا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل^١ مستخفين نتسلل القطا .

حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن سبعون رجلا ، ومعهم

(١) الأصل : دعوته وأخبرته . وهو تحريف .

امراتان ، نسِيبَة (١) بنت كعب ، أم مُحارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدي .
فاجتمعنا في الشعب ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وهو على دين
قومه يومئذ ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس [قال : يا معشر الخزرج ، قال : وكانت العرب إنما
يُسَمون] (٢) ، هذا الحَيَّ من الأنصار الخزرج ، أوسها وخزرجها : إن محمداً
منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ،
وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده ، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم .

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ،
فأنتم وما تحمّلتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه ، فمن الآن فدعوه في عزٍّ
ومنعة من قومه .

فقلنا : قد سمعنا ما قلت .

فبيّح لكم يا رسول الله ، وخُذْ لِنَفْسِكَ وَرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى الإسلام . ثم قال :

(١) نسِيبَة هي امرأة زيد بن عاصم من النساء الثلاثيات التي ضربت الرقم
القباسي الأعلى في البطولة ، فقد كان لها الموقف الشرف في الدفاع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد .

شهدت بيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان كما شهدت يوم البجامة وباشرت القتال
بنفسها وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلة الكذاب فقطعت يدها وجرح
اثنى عشر جرحاً ثم عاشت بعد ذلك دهراً .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتتها من ابن هشلم .

أبايعكم على أن تمنعوني ، مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم .
فأخذ البراء بن مَعْرُور بيده ثم قال : والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعك
مما تمنع منه أُرْزَنَا (١) .
فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ففُجِنَ أَهْلُ الْحَرْبِ وَأَهْلُ الْحَلِيقَةِ (٢) وَرَثَتُهَا كَأَبْرَأَ
عَنْ كَابِرٍ .

فَاعْتَرَضَ الْقَوْمَ أَبُو الْهِثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ يَنْتَنَّا وَبَيْنَ النَّاسِ حَبَالًا وَإِنَّا قَاطِمُوهَا ، يَعْنِي الْعَهْدُ .
فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
قَوْمِكَ ، وَتَدَعَنَا .

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : بَلِ الدَّمَ الدَّمَ وَالْهَذْمَ الْهَذْمَ .
أَنْتُمْ مَنِي وَأَنَا مِنْكُمْ ، أَحَارِبُ مِنْ حَارِبَتِي ، وَأَسَالِمُ مِنْ سَالِمَتِي .
وَقَالَ : أَخْرِجُوا إِلَىَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ (٣) .
فَأَخْرِجُوا اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا ، تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ .
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَخَدَّثَنِي مَعْبُدٌ فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ قَالَ :
كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْبَرَاءُ
ابْنُ مَعْرُورٍ ، ثُمَّ تَبَاعَعَ النَّاسُ (٤) :

(١) أُرْزَنَا : نِسَاءَنَا . وَالْمَرْبُ تَسْكُنُ عَنْ الثَّلَاثَةِ بِالْإِزَارِ ، وَتَسْكُنُ أَيْضًا
بِالْإِزَارِ عَنِ النَّفْسِ :

(٢) الْحَلِيقَةُ : السِّلَاحُ .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ .

(٤) ابْنُ هِشَامٍ : ثُمَّ بَايَعَ بَعْدَ الْقَوْمِ .

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد (١) صوت سمعته قط : يا أهل الجَبَّاجِب . والجَبَّاجِب : المنازل .

هل لكم في مُذَمَّم والصُّبَاة (٢) معه ، قد أجمعوا على حربكم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أَرَبُ العقبة ، أى عدو الله ، أما والله لأفرغنَّ لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجعوا إلى رحالكم .

فقال له العباس بن عبادَة : والذي بعثك بالحق ، إن شئتَ لنميلنَّ غداً على أهل منى بأسيفنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أؤمرَ بذلك .

فرجعنا فمئنا حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَّت علينا جِلَّةٌ قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا :

يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا ، أن تَنَشَّبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هنالك من مشركى قريش ، يحلفون بالله ، ما كان من هذا شيء وما علمنا .

وقد صدقوا ، لم يعلموا ما كان منا . قال : فبعضنا ينظر إلى بعض .

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الموسم :

(١) ابن هشام : بأنقذ .

(٢) الصبابة : جمع صابىء . وقبوى : والصبابة .

من يؤويني ؟

حتى بعثنا الله من يثرب ، فأويناه وصدقناه ، ثم قلنا :
حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطارد في جبال مكة ويخاف ؟ !
فرحل منا سبعون ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدنا شعب العتبة ،
فاجتمعنا عنده قلنا : يا رسول الله علام نبأيك ؟
فقال : تباعدوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، والنفقة في
العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في
الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني ، فتمنعوني إذا قدمت
عليكم ، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ، ولكم الجنة .
فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو من أصغرهم وقال :
رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب أكباد الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه
رسول الله ، وأن إخراجَه اليوم ، مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ،
وأن تَعْضَّكم السيوف . فإما أتم قوم تصبرون على ذلك ، وأجركم على الله .
وإما أتم قوم ، تخافون من أنفسكم جنة^(١) فثبثوا^(٢) فهو أَعْدَرُ
إيكم عند الله .

فقالوا : أمِط عنا يا أسعد ، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلُبها
أبداً . فقمنا فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة^(٣) .

(١) جنة : جينا .

(٢) المسند : فبينوا . أى : كونوا على بصيرة وروية من أمركم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، باختلاف يسير ، قال الحاكم :
هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة . ولم يخرجاه .

وقال الحافظ ابن كثير في سيرته : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

الباب الخامس والستون

في علم قريش ما جرى للأنصار ، وما تشاوروا
أن يفعلوا في ذلك

قال كعب بن مالك : لما تفرَّق الناس من منى وتنطس (١) القوم
الخبر ، وجدوه قد كان .

فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عباد في أذخر ، والمندر
ابن عمرو .

فأما المندر ، فأعجز القوم .

وأخذوا سعدا ، فربطوا يديه إلى عنقه ، ثم أقبلوا به إلى مكة .

فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية . فقالا :

قد كان يُحيز تجارتنا . فخلصاه .

قال ابن إسحاق : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج
إلى المدينة ، فخرجوا أرسالا (٢) ، وأقام ينتظر أن يؤذن له ، ولم يتخلف عنه
أحد من المهاجرين إلا [من] أخذ وقتن (٣) سوى أبي بكر وعلى .
وكان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول : لا تعجل .

(١) تنطس القوم الخبر : أكثروا البحث عنه .

(٢) أرسالا . أي : جماعات جماعات .

(٣) ابن إسحاق : إلا من حبس أو قتل .

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً
تمنع ، علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم .
فاجتمعوا في دار الندوة ، يتشاورون في أمره .
ودار الندوة ، هي دار قصى بن كلاب ، وكانت قريش لا تتقضى
أمرأ إلا فيها .

فدخلوا يتشاورون ما يصنعون .

قال ابن إسحاق : وحدثني [من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله] (١)
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :
لما اجتمعوا لذلك ، اعترضهم إبليس ، في هيئة شيخ جليل ، فوقف
على باب الدار .

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ، وعسى
أن لا يعدمكم منه رأيي ونصح .

فقالوا : ادخل . فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان .
وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه ، فأجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا
به ما أصاب أشباهه من الشعراء .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا برأي ، والله لو حبستموه ،
نخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه ، فوثبوا ، فانتزعوه من أيديكم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

فقال قائل : فخرجه من بين أظهرنا .

فقال النجدي : والله ما هذا برأي . ألم تروا حُسن حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟

ولو فعلتم ذلك ما أمنت (١) أن يحل على حي من العرب فينطلب عليهم بقوله حتى يبايعوه ثم يسير بهم إليكم .

فقال أبو جهل : والله ، إن لي فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعد .

قالوا : ما هو ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا نسيباً وسيطاً (٢) .

ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدون ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح .

فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرق دمه في القبائل كلها ، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل (٣) فمقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قال هذا الرجل ، لا أرى لكم غيره . فتفرق القوم على ذلك .

فأتى جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك ، الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت العتمة ، اجتمعوا على بابه ، ثم ترصّدوه متى ينام ، فَيَنْشُبُونَ عليه .

(٢) وسيطاً : شريفاً .

(١) ابن هشام : ما أمنت .

(٣) العقل : الدية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب :

نَمْ عَلَى فِرَاشِي ، وَتَسَجْ (١) بِيُزْدَى الْخَضِرَى الْأَخْضَرِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ (٢) إِلَيْكَ شَيْءٌ تَسْكُرُهُ مِنْهُمْ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينام في برده ذلك .
• عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ (الأنفال ٣٠) » (٣) .

قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم :

إِذَا أَصْبَحَ فَأَتْبِقُوهُ بِالْوِثَاقِ .

وقال بعضهم : بَلِّ اقْتُلُوهُ .

وقال بعضهم بل : أَخْرِجُوهُ .

فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك .

فبات على (٤) عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة .

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون ، يمحسون عليًا ، يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ، ثاروا إليه ، فلما رأوه عليًا ، ردَّ الله مكرم فقالوا :

أَيْنَ صَاحِبِكَ ؟

(١) تسج : تغط . (٢) لا يخلص : لا يصل .

(٣) ليثبتوك : أي ليجرحوك جراحة لا تقوم معها من المختار من الصعاح .

(٤) وبذلك كان علي أول فدائي في الإسلام وأشجع الصعابة أجمع .

قال : لا أدري .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل .
فمروا بالغار ، فأروا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا ،
لم يكن نسج العنكبوت .
فمكث فيه ثلاث ليال .

• وقال محمد بن كعب القرظي : اجتمعوا على بابه .

نخرج ، فأخذ حفنة من تراب ، فنثرها على رؤوسهم فلم يروه وقرأ :
« وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ (سورة يس الآية ٩) » ثم انصرف حيث أراد .

فأتاهم آت ، ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا .
قال : والله قد خرج عليكم محمد .

فجعلوا يطلّمون ، فيرون عليّا عليه السلام ، عليه بُرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقولون : هذا محمد عليه بُرده . فأقام إلى الصباح .
قال علي : فقممت عن الفراش فرأوني .

• قال الواقدي عن أشياخه : إن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ،
والحكم بن أبي العاص ، وعُقبه بن أبي مُعيط ، والنضر بن الحارث ، وأمّية
ابن خلف ، وابن العنيطلة ، وزمعة بن الأسود ، وطعمة بن عدى ،
وأبو لهب ، وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج .

أَبُو بَكْرٍ هَجْرَنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْمَدِينَةِ

الباب الأول

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

• عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ .

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاؤُ لَهُ ، أَبِي وَأُمِّي ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، إِلَّا أَمْرٌ .

قَالَتْ : فِجَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذِنَ لَهُ .

فَدَخَلَ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةُ ، يَا أَبِي أَنْتَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَخُذْ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْثَمَنِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَزْنَاهُمَا أَحَبَّ الْجَهَازِ ، وَوَضَعْنَا لَهُمَا سَفْرَةَ فِي جِرَابٍ .

فَقَطَّعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا ، فَرَبَطَتْ بِهِ فَمِ الْجِرَابِ ،

فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقِينَ .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، بغارٍ في جبل
ثَوْرٍ فمكنا (١) فيه ثلاثَ ليالٍ .

بيت عندهما عبدُ الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ (٢) لَقِنٌ (٣) .
فِيْدِلْج (٤) مِنْ عندهما بِسَحَرٍ ، فيصبح مع قريش كبائتٍ .

فلا يسمعُ أمراً يُكادان به ، إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين
يختلط الظلام .

ويرعى عليهما عامرُ بن فُهَيْرَةَ ، مَوْلى أبي بكر ، مَنَحَةٌ من غَنَمٍ ،
فَيُرِيحُهَا (٥) عليهما ، حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِثْلٍ وهو

(١) البخارى : فمكنا .

(٢) ثَقِفٌ ، أى : حاذق ، خفيف فِطْنٍ .

قال فى الصحاح : ثَقِفَ الرجل ثَقْفًا وثقافةً ، أى صار حاذقًا خفيفًا فهو
ثَقِفٌ مثل ضَخٍ فهو ضَخْمٌ ، ومنه : المثاقفة وثَقِفَ أيضًا ثَقْفًا مثل تَعِبَ
تَعَبًا لغة فى ثَقِفَ ، أى صار حاذقًا فِطْنًا فهو ثَقِفٌ وثَقِفَ مثال حَذِرَ وحَذِرَ
ومثله فى القاموس إلا أنه زاد ثَقْفًا بفتح الحروف كلها ويتمشى هذا الوزن
إذا كان الفعل (ثَقِفَ) من الباب الرابع كفرح ، والخلاصة أن ثَقِفَ إن كان
من الباب الخامس كضخم يضحك فالوصف منه ثَقِفٌ مثل ضَخْمٌ وإن كان من
الباب الرابع مثل فرح يفرح فالوصف منه ثَقِفٌ مثل حَذِرَ وفرح .

(٣) قال فى الصحاح : لَقِنٌ : سريع الفهم . والاسم : اللَّقَانَةُ ، وفى
القاموس : اللَّقْنُ وَاللَّقَانَةُ وَاللَّقَانِيَّةُ : سرعة الفهم . لَقِنَ كفرح فهو لَقِنٌ
وَالْقِنَ : حفظ بالمجلة . ١٠ هـ .

(٤) فيدلج : أى يعود ليلا من عندهما وقت السحر .

(٥) أى : فيذهب إليهما بالغنم ليلا .

لبن منحتهما ، حتى ينشق بها عامر بن فهيرة بفلس^(١) ، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر [رجلا] ^(٢) من بني الدَّيْل ، وهو على دين كفار قريش فأمناه ، ودفعنا إليهما راحتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما ^(٣) .

• وقد روينا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لما أراد أن يخرج ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى جبل ثور .

• وروى الواقدي عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبي بكر إلى الليل ، ثم خرجا إلى النار .
وكان خروجهما وقد بقي من صفر ثلاث ليال .

(١) أي : ظلام الليل .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح البخاري .

(٣) الحديث جزء من رواية البخاري في صحيحه ٢ / ١٩١

الباب الثاني

في ذكر ما جرى في الغار

• عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما !
أخرجاه في الصحيحين .

• عن أنس قال : لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعني أدخل قبلك ، فإن كان فيه [شيء] كان بي قبلك . قال : ادخل . فدخل أبو بكر فجعل يلمس يديه فكلما رأى جُحراً ، قال بثوبه ، فشَقَّهُ ، ثم ألقاه الحجر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . قال : فبقى حجر فوضع عَقِبَهُ عليه .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أين ثوبك يا أبا بكر ؟

فأخبره بالذي صنع ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال :

اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة .

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجيب لك .

• عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لليلة من أبي بكر ويوم ،

خير من آل عمر .

هل لك بأن أحدثك بليته ويومه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين حدثني .
قال : أمّا ليلته ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل
مكة خرج ليلاً ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة
عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف
هذا من فعلك .

فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلب ،
فأكون خلفك ، ومن عن يمينك ، وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى
حفيت رجلاه ، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حمله على كاهله (١) وجعل
يشدد به حتى أتى به الغار فأنزله .

ثم قال : والله بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء ،
نزل بي قبلك ، ففعل ، ولم ير شيئاً ، فحمله وأدخله .

وكان في الغار خرق ، فيه حيات وأفاع : .

فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء ، فيؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فألقمه قدمه .

فجعل يضربنه ويلسعه - الحيات والأفاعي - وجعلت دموعه تنحدر .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

(١) كاهله . أى : ظهره ، قال في المصباح : الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما
يلي العنق وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقرات . ١ هـ . المراد منه .

فأنزل الله سَكِينَتَهُ ، أى طمأنينته لأبى بكر :
فهذه ليلته .

• وقال الواقدي عن أشياخه : طلبت قریش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الطلب ، حتى انتهت إلى باب الفار .

قالت : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . فأنصرفوا .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لم نذر بالحال ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، مُغْنًى غنَاء العرب والناس يتبعونه ، يسمعون صوته ولا يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمَّ مَقْبَدِ
وسياتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة

• قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول .

• وذكر محمد بن سعد ، أنه خرج من الغار ليلة الاثنين ، لأربع خلون من ربيع الأول .

قلت : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً .

وخرج معه أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط اللبي ، وكان على دين قومه ، فأخذ بهم طريق السواحل .

• عن البراء بن عازب قال : اشترى أبو بكر من عازبٍ سرجاً (١) ، فقال : مُرِ البراء ، فليحمله إلى منزلي .

قال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟

قال أبو بكر : خرجنا فَأَذْلَجْنَا (٢) فَأَخْمَشْنَا (٣) يومنا وليلتنا حتى أَظْهَرْنَا (٤) وقام قائمُ الظهيرة .

(١) البخاري ١٥٣/٢ رحلا . (٢) أي : سرنا الليل كله .

(٣) البخاري : ارتحلنا من مكة فأحيينا أوسرينا ليلتنا ويومنا . ومعنى

(أخْمَشْنَا) أسرعنا وجدينا في السير . (٤) أي : دخلنا في وقت الظهر .

فَضَرَبْتُ بَبْصَرِي، هَلْ أَرَى طَلًّا أَوْى إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا بِصَخْرَةٍ، فَاهْوَيْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا هُوَ بِنِيَّةٍ ظَلَّمَهَا.

فَسَوَّيْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَشْتُ لَهُ فُرُوءًا وَقُلْتُ:
اضْطَجِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاضْطَجَعَ.

ثُمَّ خَرَجْتُ أَنْظُرَ هَلْ أَرَى أَحَدًا مِنَ الطَّلَبِ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ.
فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ يَا غَلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ. فَسَمَاهُ فَعْرِفْتَهُ.
فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: هَلْ أَنْتِ حَالِبٌ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ.
فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَمَلَ شَاةً مِنْهَا، ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ.
ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ كَفَّهُ مِنَ الْغُبَارِ، وَمَعَى إِدَاوَةٌ عَلَى فَمِهَا خَرْقَةٌ.
فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً^(١) مِنَ اللَّبَنِ فَصَبَيْتُ عَلَى الْقَدَحِ^(٢) حَتَّى يَرُدَّ أَسْفَلُهُ.
ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.
فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ. ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ.

فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يَدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ
ابْنُ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ حَلَقَنَا.

فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا^(٣).

حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَيْدٌ^(٤) رَمَحَ أَوْ رَمَحِينَ أَوْ ثَلَاثَةً.

(١) الكُثْبَةُ: مِلْءُ الْقَدَحِ. (٢) الْبَخَارِيُّ: فَصَبَيْتُهُ عَلَى اللَّبَنِ.

(٣) إِلَى هَذَا رِوَايَةُ الْبَخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ ٢/ ١٥٣

مَعَ اخْتِلَافٍ. (٤) قَيْدٌ: أَيُّ مَقْدَارٍ طَوَّلَ رَمَحٍ أَوْ رَمَحَيْنِ.

قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكت .

قال : لم تبكي ؟

قلت : أما والله ، ما على نفسي أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت .

فساخت (١) قوائم فرسه إلى بطنها ، في أرض صلد .

فوثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله عز وجل ،

أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمن^(٢) على من ورأى من الطلب .

وهذه كثنانتى ، نخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغذى في موضع

كذا وكذا ، نخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لى فيها .

ودعاه ، فانطلق ورجع إلى أصحابه .

• عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى [أن أباه أخبره أنه] (٣) سمع

سُرَاقَةَ يقول : جاءنا رُسُلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأبى بكر ، دية كل واحد منهما لمن قتله (٤) أو أسره .

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي ، أقبل رجل منهم حتى قام

علينا فقال :

يا سراقَة ، إني رأيت آتفاً أسودَ (٥) بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

(١) ساخت . أى : دخلت في الأرض وغابت .

(٢) أصل العمه : التعيير والتردد . والمراد هنا : لآخفين طريقك وأمرك على من

ورأى عن يطلبك . (٣) من البخارى .

(٤) البخارى : من قتله . وما هنا أوضح .

(٥) الأسود : يبنى بها عن الشخص . أى : أتبهاحاً .

قال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا [يبتغون ضالةً لهم] (١) ثم لبثتُ في المجلس ساعة .

ثم قت ، فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها على .

وأخذت رمحي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بُرجه (٢) الأرض ، وخفّضت عاليه ، حتى أتيت فرسي ، فركبتها ، فرفعتها تقرب بي ، حتى دنوت منهم .

فعثرت بي فرسي ، فخرّرت (٣) عنها ، فقمّت .

فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام فاستقسمتُ بها : أضربهم ، أم لا ؟

فخرج الذي أكره .

فركبتُ فرسي وعصيت الأزام .

حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخَت يداً فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرّرتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ولم تسكد (٤) تخرج يديها ، فلما استوت قاعة إذا لأثر يديها غبار (٥) ساطع في السماء مثل الدخان . فاستقسمت بالأزام ، فخرج الذي أكره فناديتهم الأمان (٦) .

(١) من صحيح البخاري . (٢) الزج : الحديدية في طرفي الرمح .

(٣) خرّرت . أي : سقطت ووقعت . (٤) البخاري : فلم تسكد .

(٥) البخاري : عشان ساطع . و « العشان » كالدخان ، وزناً ومعنى .

(٦) البخاري بالأمان .

فوقفوا ، فركت فرسى ، حتى جثتهم .
ووقع في نفسى حين لقيت ما لقيت من الخبث عنهم ، أن سيظهر أمرُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية .
وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ،
فلم يرزأنى ولم يسألانى [شيئاً ^(١)] إلا أن قال : أخفِ عنا .
فسألته أن يكتب لى كتاباً أمن .
فأمر ، عامر بن فهيرة ، فكتب فى رقعة من آدم .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .
قال الزهرى : وأخبرنى عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لقي الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسأ
الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثياب بياض .

(١) ليست فى البخارى وابن إسحاق .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه فى باب الهجرة .

الباب الرابع

في ذكر حديث أم معبد

عن أبي معبد^(١) الخَزَاعِي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لما هاجر من مكة إلى المدينة ، هو ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، ودليلهم ،
عبد الله بن أريقط ، فرؤوا نخيمتي أم معبد الخَزَاعِي .
وكانت امرأة جلدة برزة^(٢) تحبني ، وتقعده بفناء الخيمة ، ثم تسقى
وتطعم .

فسألوها تمرًا ولحماً يشترونه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا
القوم مُرْمَلُونَ^(٣) مُسْتَنُونَ^(٤) ، فقالت : والله لو كان عندنا شيء
ما أعوزكم^(٥) القرى .

(١) في دلائل أبي نعيم : عن حبيش بن خالد . وفي شرح اللواهب : عن أخي
أم معبد حبيش صاحب رسول الله .

(٢) الجلدة : القوية . برزة . أى : جليلة عفيفة ، مسنة تبرز للرجال وتتحدث إليهم

(٣) مرملون . أى : فقراء ليس عندهم زاد قال في الصحاح : يقال أرمل
القوم : إذا فقد زادهم ، وعام أرمل ، أى : قليل المطر .

(٤) مستنون . أى : محذبون عيشتهم ضيقة ، قال في المختار من الصحاح :
أسنت القوم : إذا أجدبوا . والسَّنتُ ككَتَفُ القليل الخير . وزاد في القاموس .
وأرض سَلَنَةً ومسننة : لم تنبت وعام سنيت ومسننت : جذب .

(٥) أعوزكم القرى : أى ما احتجتم إلى طلبه .

فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَلِيمَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ !

فَقَالَتْ : هَذِهِ شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ (١) عَنِ الْغَنَمِ .

قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟

قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ (٢) مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ؟

قَالَتْ : نَعَمْ يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي ، إِنْ كَانَ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا (٣) .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّاةَ ، فَسَحَّ ضَرْعَهَا (٤) وَذَكَرَ اسْمَ
اللَّهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي شَاتِهَا .

قَالَتْ : فَتَفَاجَّتْ (٥) وَدَرَّتْ (٦) ، وَاجْتَرَّتْ (٧) .

فَدَعَا يَأْنَاءَ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٨) فَخَلَبَ فِيهِ فُجًّا (٩) حَتَّى عَلَاهُ الثُّمَالُ (١٠) .

(١) خَلَّفَهَا الْجَهْدُ ، أَيْ : أَخْرَجَهَا عَنِ الذَّهَابِ مَعَ الْغَنَمِ إِلَى الْمَرْعَى شِدَّةَ هَزْلِهَا
وَضَعْفِهَا مِنْ قَلَّةِ الْغَدَاءِ .

(٢) أَجْهَدُ . أَيْ : أَضْعَفُ .

(٣) حَلَبًا ، أَيْ لَبَنًا . (٤) ضَرْعَهَا ، أَيْ : ثَدْيِهَا .

(٥) تَفَاجَّتْ . أَيْ : فَرَجَتْ وَبَاعَدَتْ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهَا لِتَحْلِبَ كُلَّاسْتِفَادَ مِنْ
أَسَاسِ الْبِلَاغَةِ وَالصَّحَاحِ .

(٦) « دَرَّتْ » أَيْ : كَثُرَ لَبَنُهَا .

(٧) اجْتَرَّتْ : أَخْرَجَتْ مَا فِي مَعْدَتِهَا وَصَارَتْ تَأْكُلُهُ ثَلَانِيًا .

(٨) يُرْبِضُ الرَّهْطُ . أَيْ : يَسَعُ مَا يَكْفِي الْجَمَاعَةَ مِنَ اللَّبَنِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْقَامُوسِ

وَالصَّحَاحِ . (٩) ثَجًّا : كَثِيرَ السَّيْلَانِ وَالْإِنْصَابِ .

(١٠) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الثُّمَالُ الرُّغْوَةُ .

فسفاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رويوا ، وشرب
صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وشربوا جميعاً عللاً^(١) بدينهم حتى أراضوا^(٢) .

ثم حلب فيه ثانية عوداً على بدء فغادره^(٣) عندها ثم ارتحلوا عنها .

فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعتراً حَيْلاً عجافاً^(٤)
يتساوكن^(٥) هزلاً ، تحنن قليل ، لا نقي^(٦) بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لكم هذا ، والشاة عازبة^(٧)
ولا حلوبة في البيت ؟

قالت : لا والله ، إلا إنه مر بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت
وكيت .

قال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذي تطلب . صفيه لى يا أم معبد .

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة^(٨) متبلج^(٩) الوجه ، حسن الخلق ،

(١) عللاً بدينهم . أى : تكرر شربهم قال في المختار من الصحاح : الملل ،
الشرب الثاني ، والنهل الشرب الأول .

(٢) أراضوا . أى : ارتويوا واتسموا وانبسطوا . كما يستفاد من القاموس .

(٣) غادره . أى : ترك الإبقاء .

(٤) اعتراً حَيْلاً عجافاً . أى شيئاً غير حوامل وضعافاً .

(٥) يتساوكن . أى : تضطرب أعناقهن من شدة الهزال والضعف .

(٦) لا نقي بهن . أى : لا منع في عظامهن . قال في الصحاح : النقي : منع المظم

وشحم العين من السمن .

(٧) عازبة . أى : بعيدة وغائبة .

(٨) الوضأة : الحسن .

(٩) متبلج . أى : مضى ، مشرق .

لم تَمِينَهُ تُجَلَّة (١) ولم تُزَرَّ به صُغْلَة (٢) ، قَسِيمٌ وسِيم (٣) ، في عَيْنِيهِ دَعَج (٤) ،
وفي أَشْفَارِهِ ، وَطَف (٥) ، وفي صَوْتِهِ صَحَل (٦) ، أَحْوَر (٧) أَكْحَل (٨) أَزَجُّ
أَقْرَن (٩) ، شَدِيد سَوَادِ الشَّعْرِ ، في عُنُقِهِ سَطَعَ (١٠) ، وفي لَحْيَتِهِ كَثَافَةٌ .

إذا صَمِتَ فَعَلِيهِ الْوَقَارُ ، وإذا تَكَلَّمَ سَمَا وَعِلَاهُ الْبِهَاءُ (١١) كَانَ مِنْطَقُهُ .
خِرَزَاتٌ نُظْمُنُ يَتَجَدَّرُنْ ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ (١٢) .
أَجْهَرُ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ ، رُبْعَةٌ
لَا تَشْنُوهُ (١٣) عَيْنٌ مِنْ طُولٍ ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ (١٤) عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، غُصَيْنٌ بَيْنَ

-
- (١) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : التَّجَلَّةُ بِالضَّمِّ : عَظْمُ الْبُطْنِ .
(٢) أَى : لَمْ يَعْصِهِ تَصَفَّرَ فِي رَأْسِهِ قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الصَّعْلَةُ : الصَّغِيرُ الرَّأْسِ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّعَامِ . وَرَجُلٌ صَعَلَ وَامْرَأَةٌ صَعَلَاءُ .
(٣) قَسِيمٌ وَسِيمٌ . أَى حَسَنُ الْوَجْهِ وَجَمِيلٌ .
(٤) دَعَجٌ . أَى شَدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَقَمَاتِهَا .
(٥) الْأَشْفَارُ : حُرُوفُ وَأَطْرَافُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبَتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ .
وَالْوَطَفُ : كَثْرَةُ شَعْرِ الْعَيْنِ وَالْحَاجِبِينَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ وَالْقَامُوسِ .
(٦) صَحَلٌ : يُقَالُ فِي صَوْتِهِ صَحَلٌ . أَى بِمَحْوَحَةٍ . اهـ صَحَاحٌ .
(٧) أَحْوَرٌ . أَى شَدِيدُ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا . اهـ . صَحَاحٌ .
(٨) أَكْحَلٌ . وَهُوَ الَّذِي يَعْلُو جَفُونُ عَيْنِيهِ سَوَادَ خَلْقَةٍ . اهـ مَصْبَاحٌ .
(٩) الزَّجَجُ : دَقَّةٌ فِي الْحَاجِبِينَ وَطُولٌ . وَالْأَقْرَنُ : بَيْنَ الْقَرْنِ . وَهُوَ
الْمَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ . (١٠) وَفِي عُنُقِهِ سَطَعَ . أَى : طَوِيلٌ . اهـ صَحَاحٌ .
(١١) الْبِهَاءُ : الْحَسَنُ . اهـ . صَحَاحٌ .
(١٢) قَوْلُهُ : فَصْلٌ ، أَى : فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَقَوْلُهُ : لَا نَزْرٌ
وَلَا هَذَرٌ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : أَى : لَيْسَ بِقَلِيلٍ فَيَدُلُّ عَلَى عَمَى (عَجْزٍ) وَلَا بِكَبِيرٍ فَاسِدٍ
اهـ . وَالْهَذَرُ : التَّكَلُّمُ بِمَا لَا يَنْبَغِي . اهـ مَصْبَاحٌ .
(١٣) تَشْنُوهُ : تَبْغِضُهُ مِنْ فَرَطِ طَوْلِهِ .
(١٤) لَا تَقْتَحِمُهُ . أَى : لَا تَحْتَقِرُهُ . اهـ . قَامُوسٌ .

غُضْنِينَ ، فهو أُنْبَى (١) الثلاثة منظاراً وأحسنهم قدراً (٢) ، له رفقاء يحفون به (٣) ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا (٤) لأمره ، محفود محشود (٥) ، لا عابس ولا مُفْنِد (٦) .

قال : هذا والله صاحب قریش الذي ذكر له من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافيته لالتست أن أضحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيعَتَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبِدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ	فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فَيَا قُلُوبِي مَا رَأَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَارَى وَسُودِدَ
سَلُّوا اخْتَكَمُ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِيهَا	فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ
دَعَا مَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ	لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزِيدٍ
فَقَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ	بِدَرَّتِيهَا فِي مَضَرٍّ ثُمَّ مَوْرِدٍ

(١) أنبى . أى : أحسنهم .

(٢) قدراً . أى : قيمة جسمه . اه صحاح .

(٣) يحفون به . أى : أطافوا به واستداروا . اه . صحاح .

(٤) تبادروا . أى : تسارعوا وتسابقوا إلى تنفيذ أوامره .

(٥) محفود . أى : مخدوم . محشود . أى : يحفون (يسرعون) لخدمته . اه . صحاح .

(٦) قوله : لا عابس . يعنى : ليس كالح الوجه . ولا مفند ، ليس فيه ضعف

الرأى من الهرم .

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم ، وأجدوا على خيمتي أم معبد .
فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدَّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِ وَيَقْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَزَالَتْ^(١) عَنْهُمْ لُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَتُورٍ مُجَدِّدِ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمَى وَهْدَاةٌ يَقْتَدُونَ^(٢) بِمُهْتَدِي
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةٌ غَائِبِ فَتَصُدُّ بِهَا فِي صَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ^(٣)
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدَّةُ بِصُحْبَتِهِ ، مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يُسْعِدِ
وَيَهْنِ بَنِي كَنْبٍ مَكَانُ فِتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَدِ

البرزة الكبيرة . والمُرملون : الذين نفد زادهم . والمُسنتون من السنة
وذي الجذب . وكسر الخيمة جانبها . والجهر : المشقة . وتفاجت : فتحت
ما بين رجليها لتجلب . ويرُبيض الرهط : يثقلهم فيربضوا^(٤) . والثمال :
الرغوة . والمعلل : مرة بعد أخرى . وأراضوا : أى رووا . والحليل :
اللاقي لسن بمحوامل . والعاذب : البعيد في المرمى . والميتلجج : المشرق .
والثجلة : عظم البطن واسترخاء أسفله . والصُّعلة : صفر الرأس . والوسيم :
الحسن ، وكذلك القسم . والدعج : سواد العين . والوطف : الطول .
والصحل : كالبحة . والأحور : الشديد سواد أصول الأهداب خلقة .
والسطم : الطول .

(١) في شرح الواهب : فضلت عقولهم . (٢) شرح الواهب : يهتدون .

(٣) شرح الواهب : في اليوم أو في نحيى الند .

(٤) الواهب : حتى يربضوا .

وقولها : « إذا تكلم مما » أى علا برأسه ويده . وقولها : لا تقتحمه
عين : أى تحتقره . والمُفْنِد : الهرم . والصريح : الخالص . والضرّة :
لحم الضرع .

• عن أم معبد قالت : طلع علينا أربعة على راحلتين ، فنزلوا إلى .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبها له فإذا هي
ذات (١) دَرٍّ ، فأدنيتهما (٢) منه فلمس ضرعها ثم قال : لا تذبجها . فأرسلتها .
وجئت بأخرى ، فذبجتها وطبختها لهم ، فأكل هو وأصحابه .
فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه ، وزودتهم منها ،
ما وسعت شُفرتهم ، وبقي عندنا لحها أو أكثره .
وبقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ، حتى كان
عام الرمادة ، زمن عمر ، وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة .
قالت : وكنا نخلبها صَبُوحًا وَعَبُوقًا ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

(١) أى : ذات لبن .

(٢) فأدنيتهما ، أى : قربنها .

الباب الخامس

في تورية أبي بكر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة

• عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يُعرف في الطريق ، لاختلافه إلى الشام . وكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هادي يهديني إلى الطريق .

فلما دنوا من المدينة ، بحث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار ، إلى أبي أمامة أصحابه ، فخرجوا إليهما فقالوا : ادخلا آمنتين مطاعين . [فدخلتا] (١) .

قال أنس : فما رأيت يوماً قط ، أنور ولا أحسن ، من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، المدينة . وشهدت وفاته ، فما رأيت يوماً قط ، أظلم ولا أقبح ، من اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس

في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة
بريدة الأسلمي ، وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه

• عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يتطيّر ، وكان يتفأّل ، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل ،
فيمن يأخذ نبيّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيرده عليهم ، حين توجه
إلى المدينة .

فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فالتقى نبيّ
الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ فقال : أنا بريدة :
فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال : يا أبا بكر برّد أمرنا وصالح .
ثم قال : ممن أنت ؟ قال : من أسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : سلّمنا .

قال : ممن ؟ قال : من بني سهم .

قال : خرج سهمك [يا أبا بكر] (١) .

فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

(١) من شرح المواهب ، نقلا عن البيهقي .

قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله .
فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
فأسلم بريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً .
فلما أصبح ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا
ومعك لواء .

فلما عمامته ، ثم شدّها في رمح ، ثم مشى بين يديه . فقال : يا نبي الله
تنزل عليّ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ناقتي هذه مأمورة .
فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم ، طائعين غير مُكرهين .

الباب السابع

في ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة :

وكانوا يقدون كل غداة إلى الحرّة (١) ينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة .
فأقبلوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم .

فلما أَوْوا إلى بيوتهم ، أَوْفى رجلٌ من اليهود على أطمٍ (٢) من آطامهم
لأمر ينظر إليه .

فبَصُرَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مُبْيَضِينَ (٣) يزولُ
بهم السرابُ .

فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جدُّكم الذى تنتظرونه .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلَقَّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْرِ
الحرّة ، فمدَّ كلُّهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف .
فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً .

(١) أرض ذات حجارة سود ، كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير وطلحة .

وقال ابن التين : يحتمل أن معناه مستعجدين . قال ابن فارس : يقال بانص ، أى

مستعجل . شرح اللواهب ٣٥٠/١ .

الباب الثامن

في ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

- قال الزُّهري : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
- وروى حَنَش الصنعاني عن ابن عباس ، قال :
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونَبِيُّ يوم الاثنين ،
ورَفَعَ الحَجَرَ يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ،
وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبِض يوم الاثنين ، صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع

في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة

• عن أبي بكر الصديق قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قدِمنا المدينة ، فلتقاه الناس ، فخرجوا في الطرق وعلى الأباغر . واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، جاء محمد .

قال : وتنازع القوم ، أيهم ينزل عليه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الليلة على بني النجار ، أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك .
فلما أصبح ، غدا حيث أمر .
قلت : بيان الخوالة ، أن هاشماً تزوج امرأة من بني عدى بن النجار ، فولدت له عبد المطلب .

وقد ذكرنا في حديث عائشة آنفاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في بني عمرو بن عوف ، هم أهل قُباء (١) .
• قال ابن إسحاق : فنزل على كلثوم بن الهدم ، أخي بني عمرو بن عوف .

(١) قال في القاموس : قباء بضم القاف ويذكر ويقصر . موضع قرب المدينة المنورة ، وموضع بين مكة والبصرة وبالقصر اسم بلد بفرغانة .
وفي المصباح : وقباء : موضع بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الجنوب نحو ميلين وهو بضم القاف ، يقصر ويمد ، يصرف ولا يصرف .

وقيل : نزل على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَّاباً ، لا أهل له .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو بن عوف ،
يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدهم ،
ثم خرج عنهم يوم الجمعة .

وقيل : مكث فيهم بضعة عشر يوماً :

ثم ركب ناقته وأرعى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار
إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا :

هلمَّ يا رسول الله ، إلى العدد والعدَّة .

فيقول لهم : خلوا زمامها فإنها مأمورة .

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب المسجد ، وهو
يومئذ مرَّبد ، فلم ينزل عنها .

فوئبت ، فسارت غير بعيد ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا الأول ، فبركت
فيه ووضعت جِرَانَهَا (١) .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبل أبو أيوب ، رَحَلَهُ .

فنزل على أبي أيوب ، فأقام عنده ، حتى بنى مسجده ومساكنه .

• وقال الواقدي عن أشياخه : لما قدِم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أقام ببني عمرو بن عوف .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفَعَ النهار ، دعا براحلته ، وركب والناس معه
عن يمينه ويساره .

(١) أى : وضعت عنقها على الأرض .

فاعترضته الأنصار ، لا يترددار إلا قالوا : هلمَّ يا نبي الله ، إلى القوة والمنعة .
فيقول لهم خيراً ، ويقول : إنها مأمورة .

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء أبو أيوب ، فخطَّ رحله ، وأدخله منزله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المرء مع رَحْله » .

وجاء أسعدُ بن زُرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، فكانت عنده .

وما كان من ليلة ، إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتان

والأربعة ، يتناوبون ، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل

أبي أيوب .

وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ،

إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين .

فقدما بفاطمة ، وأم كلثوم ، ابنتيه ، وسودة ، زوجته ، وأسامة

ابن زيد (١) .

وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم ، بعيال أبي بكر ، فيهم عائشة .

فلما قدموا المدينة ، أنزلهم في بيت جارية بن النعمان .

• قال محمد بن حبيب الهاشمي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

نزل قباء ، على كلثوم ، وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة ، ومُنَى

منزل العزاب .

وركب من قباء يوم الجمعة ، يؤم المدينة فجَمَعَ (٢) في بني سالم .

وكانت أول جمعة ، جمعها في الإسلام .

(١) زاد في اللواهب : « وأم أيمن وولدها أيمن » كافي رواية الطبراني .

(٢) أي: صلى الجمعة .

الباب العاشر

في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لعبت الحبشة بحواشيها ، فرحاً بذلك .

• عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجوار من الأنصار ، ومن يتفنيين يئُلن :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَحَبْدًا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله يعلم أني أحبكن » .

• عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يلقن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ نَفْيَاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

الباب الحادى عشر

فى ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن سلام حين دخل المدينة

• عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم
المدينة انجفل^(١) الناس ، وكنت فيمن أتى .

فلما رأيت وجهه ، عرفت أنه غير وجه كذاب ، فسمعتة يقول :

أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا
بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

(١) انجفل القوم : اتقلعوا (يعنى : أسرعوا) ففضوا .

الباب الثاني عشر

في فضل المدينة

- عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيَّ ما جعلت بمكة من البركة » . أخرجاه .
- وفي أفراد مسلم ، من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يثبت أحدٌ على لأوائها وشذتها ، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليُمت ، فإن مات بالمدينة ، شفعته له يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صيام شهر رمضان بالمدينة ، كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة بالمدينة كالف صلاة بما سواها » .
- عن أبي ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« غبار المدينة ، شفاء من الجذام ^(١) » .
- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« المدينة قُبَّةُ الإسلام ، وقلب الإيمان ، وما بين الحلال والحرام » .

(١) أخرجه رزين ، وهو لا يوثق به .

الباب الثالث عشر

في ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه رجال من المسلمين . وكان مرربداً للتفر تسهل وسهيل غلامين يتيمين ، في حجر أسعد ابن زرارمة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به :

هذا ، المنزل إن شاء الله .

ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالربد ، ليتخذاه مسجداً ، فقالا :

بل نهيه لك يا رسول الله .

ثم بناء مسجداً ، وطلق ينقل معهم اللين في بنائه ويقول :

هَذَا الْجَمَالُ لَا حِمْلَ خَيْرٍ هَذَا أَبْرَهُ رَبَّنَا وَأَطْهَرِ

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

• عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة (١)] .

فنزل في حَيٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف .
فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى
بنى النجار ، فجاءوا بالسيوف .
وكأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر ردفه ،
وملاً^(١) بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبي أيوب .
وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى في مرابض الغنم ،
وأنه أمر ببناء المسجد .
فأرسل إلى بنى النجار^(٢) فقال :
يا بنى النجار ، ثامنوني بحائطكم هذا .
قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .
قال أنس : فكان فيه ما أقول لكم ، كان فيه قبور المشركين
وخرب^(٣) ، وفيه نخل .
فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين ، فنبشت ، ثم بالحرب ،
فسوِّيت وبالنخل فقطع .
فصفوا النخل ، قبله المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة .
وجعلوا ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون ، والنبي صلى الله عليه وسلم معهم
وهو يقول :

(١) وملاً . أى : جماعة : (٢) البخارى : إلى ملاً بنى النجار .
(٣) الحرب بفتح المعجمة وكسر الراء . جمع خربة ككلمة وكلم ، وجوز الخطأ
أنه خرب بضم المهملة وسكون الراء وهى الخروق المستديرة فى الأرض .
(م ٢٦ — الوفا)

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْآخِرَةِ فَأَعِزَّهُ بِأَنْصَارِهِ وَالْمُهَاجِرَةِ (١)

• عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد . وعمده الخشب من النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً .

وزاد فيه عمر ، وبناه على بناءه . في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً .

ثم غيَّره عثمان ، وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصّة (٢) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .
انفرد بإخراجه البخاري .

(١) ذكره 'خرجه' البخاري في كتاب صلاة باب هل تبش قبور مشركي

(٢) القصّة : الحصة .

الباب الرابع عشر

في فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ؛ ومسجدي ؛
والمسجد الأقصى ، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ،
إلا المسجد الحرام .
- عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا
المسجد الحرام » .
- قال ابن عقيل : قوله : « صلاة في مسجدي » إشارة إلى ما كان
مسجداً في زمانه ، لا إلى ما أدخل في المسجد من الزيادة .
- عن أبي سعيد قال : تمارى رجلان في المسجد ، الذي أسس على
التقوى من أول يوم .
- فقال رجل : هو مسجد قباء . وقال الآخر : هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدي » .
- أخرجه مسلم .

الباب الخامس عشر

في ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

• عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .
أخرجاه .

• عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على ترعة
من ترع الجنة .

وما بين المنبر ، وبيت عائشة ، روضة من رياض الجنة .

والترعة : الروضة على المكان المرتفع .

الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

- عن محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبي الرعاء :
أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فأخبرني عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها ، في الشق الأيسر ، إذا
مَتَّ إلى الصلاة ، إلى وجه الإمام في وجه المنبر ، هذا أبعدُهُ .
ولما توفيت زينب بنت خزيمة ، أدخلَ أمَّ سلمة بيتها .
قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله .
فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوّل له حارثة عن
منزله ، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .
- قال ابن سعد : وأوصت سودة ببيتها لمعاشة .
وباع أولياء صفية بنت حُيَّيَّ بيتها من معاوية ، بمائة ألف وثمانين ألف درهم .
واشترى معاوية من عائشة منزلها ، بمائة ألف وثمانين ألف ، وقيل :
ثمانين ألف .
وشرط لها سكنها ، حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها
حتى قسمته .
وقيل : بل اشتراه ابنُ الزبير من عائشة ، بعث إليها خمسة أجمال ،
تحمّل المال ، وشرط لها سكنها حياتها ، ففرقت المال .

فقيل لها : لو خبأت منه درهماً ؟ فقالت : لو ذكرتموني فعلتُ .

وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر ، فلم يأخذ له ثمنًا ، فأدخل في المسجد .

• قال ابن سعد ، قال عبد الله بن يزيد (١) الهذلي :

رأيت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حين هدمها عمرُ بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وزادها في المسجد .

كانت بيوتًا مبنية باللبن ، ولها حُجَر من جريد ، عددتُ تسعة أليات بِحُجَرها ، ورأيت بيتَ أمِّ سلمة وحجرتها ، من لبن .

قال ابن شهاب : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل ؛ بدتُ أمِّ سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البناء .
فقالت : أردت أن أكفَّ أبصار الناس .

فقال : إن شرَّ ما ذهب فيه مالُ المرء المسلم (٢) البنيانُ .

وقال عطاء الخراساني : أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل ، على أبوابها المسوح ، من شعر أسود .

فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ ؛ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأرأيت يومًا ، أكثر باكيًا من ذلك اليوم ؟

فسمعت سميد بن المسيب يقول يومئذ :

والله لو ددتُ أنهم تركوها على حالها ، حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ،

ويُقدِّم القادم ، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر ! !

(١) الأصل : زيد . والتصويب من ابن سعد . (٢) ابن سعد : مال المسلمين .

الباب السابع عشر

في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة

عن عائشة قالت : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي ويثة ،
فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحمى يقول :
كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله والموتُ أدنى (١) من شراك (٢) نعله
وكان يلايل إذا أخذته الحمى يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هل أبيتُ أيلةً هَوَاً وَحَوْلَى إِذْخَرَ وَحَلِيل (٣)
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِياهَ حَجَّةٍ وَهَلْ يَهْدُونِ لى شامةً وَطَفِيل (٤)
اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما
أخرجونا من مكة .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفقوا قال :
اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم صحِّحْها ، وبارك
لنا في صاعها ومُدّها ، وانقل حُمّها فاجعلها بالْحِجَّةِ (٥) .

(١) أدنى : أقرب .

(٢) قال في المصباح : وشراك النعل : سيرها الذي على ظهر القدم .

(٣) الإذخر : حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة . والجليل : نبت ضعيف .

(٤) حجة : موضع على أميال من مكة ، كان به سوق في الجاهلية . وشامة

وطفيل : جيلان . (٥) الحجفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة .

الباب الثامن عشر

في صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبة

• عن البراء قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صُرفنا إلى الكعبة .

الباب التاسع عشر

في ذكر الوقت الذي حولت فيه

قال محمد بن حبيب الهاشمي : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ بشر بن البراء بن معرور في بني سَلَمَةَ ، وذلك في يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ، فتعدى هو وأصحابه ، وجاءت الظهيرة فصلى بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام .

ثم أمر أن يستقبل الكعبة ، ودارت الصفوف خلفه ، ثم أتم الصلاة فسُيَّ مسجد القبلتين .

قال الواقدي : كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وقال السُّدِّي : حولت على رأس ثمانية عشر شهراً .

الباب العشرون

في نزول فرض رمضان

- عن أبي سعيد الخدري قال : أنزل فرضُ رمضان بعدما صُرِفَت القبلَةُ إلى الكعبة بشهر ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِزكاةِ الفطر قبل أن تُفرضَ الزكاةُ في الأموال .

الباب الحادي والعشرون

في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحرس بالمدينة

- عن عائشة قالت أَرِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال : اللهم آتني رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة . إذ سمعتُ صوتَ السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ قال سعدُ بن أبي وقاص : أنا يا رسول ، أتيتُ أحرصك . قالت عائشة : فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطة . وفي رواية عن عائشة : فنزلت : « وَاللَّهُ بِمَعْصِمِكَ مِنَ النَّاسِ » (١) . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُبَّةِ أَدَمَ وقال : « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمني الله تعالى » .

ابواب معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدلُّ العقلاء
على صدقه .

ولهذا قال عبد الله بن سلام : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس
بوجه كذاب .

ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك .

وكان في صغره يُعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق .

وقد قال قيصر في حديث أبي سفيان : لم يكن لينذر الكذب على
الناس ويكذب على الله تعالى .

وسندكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز

لَمَّا غَلَبَ السَّحَرُ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي مَعْجَزَاتِهِ ،
فَفَلَقَ الْبَحْرَ ، وَأَلْقَى الْعَصَا .

وَلَمَّا غَلَبَ الطَّبَقُ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ ، فَأَحْيَا الْمَوْتَى ،
وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ .

وَلَمَّا غَلَبَتِ الْفَصَاحَةُ وَقَوْلُ الشُّعْرِ وَالنَّظْمِ وَالنَّثَرِ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ بِالْقُرْآنِ .

وَهُوَ مُعْجَزٌ مِنْ أَوْجِهٍ :

أَحَدُهَا : مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِي الْإِيحَازِ وَالْإِطَالَةِ .
فِتَارَةً يَأْتِي بِالنَّقْصَةِ بِالْفِظِ الطَّوِيلِ : ثُمَّ يَعِيدُهَا بِالْفِظِ الْوَجِيزِ ، فَلَا يُخَلَّ
بِمَقْصُودِ الْأَوَّلَى .

وَالثَّانِي : مِفَارِقَتُهُ لِأَسَالِيبِ الْكَلَامِ وَأَوْزَانِ الْأَشْعَارِ .

وَيَهْدِيهِ الْعَنَيْنُ تَحْدِثُ الْعَرَبَ ، فَمُعْجَزُوا وَتَحْيَرُوا وَأَقْرَبُوا بِفَضْلِهِ ، حَتَّى
قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ : وَاللَّهِ إِنْ لَمْ يَخْلُوهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ لَطَلَاوَةٌ (١) .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ ، اجْتَمَعَ هُوَ وَنَثَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَكَانَ ذَا سَنَةٍ فِيهِمْ ، وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ ، فَقَالَ :

(١) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الطَّلَاوَةُ : يَنْثَلِثُ الطَّاءُ : الْحَسَنُ وَالْقَبُولُ .

إن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بصاحبكم هذا ، فاجتمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا ، فيكذب بعضهم بعضاً ، ويرد قول بعضهم بعضاً .

قالوا : أنت فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

فقالوا : نقول : كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو برمزمة الكاهن وسحره .

فقالوا : نقول مجنون .

فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بمجننة ولا تخالجه ولا وسوسته .

فقالوا : نقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : نقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحَّار وسحَّارهم ، فما هو بنفثه ولا عقده .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن اتولاه حلاوة ، وإن أصله لمُغْدِق وإن فرعه لمثمر .

فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر .

فقولوا : هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأحبه .

فتفرقوا عنه بذلك .

• وكان النضر بن الحارث بن كَلْدَة يقول : يا معشر قريش ، لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتُم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون .

ولما حضر عتبة بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه : « حَمَّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » (١) إلى أن بلغ فقال : « أُنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم أن يكفَّ . وقال لأصحابه : خِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بكم العذابُ .

قال المصنف رحمه الله : فلما تحيَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا ، نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : « فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِنْ مثله » .

ثم قال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا » (٢) .

ومعلوم أن النفوس الأبيّة ، إذا قُرعت بمثل هذا ، استفرغت الوسع . فلما عَدُّوا إلى الحاربة والقتال ، ورسوا بسبب الذراري وأخذ الأموال ، عُلِمَ عَجْزُهم . وهم معدن البلاغة والفصاحة ، والقرآن من جنس كلامهم .

ولما أقدم مُقَدِّمهم على معارضة نظر إلى السور القصار فعارضها ، لأن تأليف الطوال ، يبين به الفصاحة الزائدة على الحد .

(١) سورة فصلت . الآيات من ١ إلى ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٣ و ٢٤ .

فعارض سورة الفيل . فقال : الفيل وما أحراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ،
وخرطوم طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

وقال : يا ضفدع ، تأنيث ضفدعين ، نُثِّي كم تنقي ، أعلاك في الماء ،
وأسفلك في الطين ، لا الماء تسكدرين ، ولا الشراب تمنعين .

قال : ومن المعائب شاة سوداء ، تحلب لبنا أبيض .

فظهرت فصائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا كان أصح لهم .

ومن طمس على قلبه ، أبو العلاء المعري ، فإنه جمع كلاما سماه :
« الفصول والغايات » يعارض (١) بزعمه السور والآيات .

وقد رأيت ، فإ رأيت أبرد من ذلك الكلام ولا أسمع !

وقد جعله على حروف المعجم في آخر كلماته ، فن حرف الألف :

« كان النعال على عصي الطلح ، يعارضون الركائب في الموادج ،
والظالماء تستغفر لهم ، فخب القمر وضياء الشمس ، وهينئاً لتاركي النوق
طلائح في غيطان الفلاة ، يحوم عليها ابن داية ، ويطيف بها السرحان ،
وسنان أوراك ، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء » (١) .

وكله من هذا الجنس البارد .

(١) لا نوافق المؤلف رحمه الله على هذا الظن ، فإن كتاب « الفصول
والغايات » لأبي العلاء الذي يتحدث عنه مليء بشواهد الإيمان والتوحيد ، وليس
فيه أدنى شبهة بممارسة القرآن ، وقد نشره الأستاذ محمود حسن زناقي سنة ١٩٣٨
وأثبت في مقدمته براءته من هذه التهمة .

(٢) لم يرد هذا النص في « الفصول والغايات » المطبوع ، لأن أول حرف
الألف مفقود من هذا الكتاب ، وفي هذا النص تحريف .

قال ابن عقيل : وحكى لى أبو محمد بن مسلم النحوى قال : كنا نتذاكر
إعجاز القرآن ، وكان ثمَّ شيخ كبير الفضل ، فقال : ما فيه ما يعجز
الفضلاء عنه .

ثم ترقى إلى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاثة
أيام بما يعلمه ، مما يضاهاى القرآن .

فلما انقضت الأيام الثلاثة ، صعد واحد ، فوجده مستندا يابسا ، وقد
جفت يده على القلم .

* * *

قلت : وقد كان المرتضى العلوى يقول بالصرفة ، وأن الله تعالى صرف
العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا .

قال ابن عقيل : الصَّرفُ عن الإتيان بمثله ، دالٌّ على أن القدرة لهم
حاصلة ، فإن كان فى الصَّرف نوعُ إعجاز ، إلا أن كون القرآن فى نفسه
ممتنعا على الإتيان بمثله لسنى نعود إليه ، أكبر فى الدلالة وأعم لفضية
القرآن .

وما قولُ من قال بالصرفة ، إلا بمثابة من قال : إن عيون الناظرين
إلى عصى موسى ، تمخَّل لهم أنها حية وثعبان ، لا أنها فى نفسها انقلبت .
قال : والتحدَّى للمصروف عن الشيء ، لا يحسن ، كما لا يتحدَّى
المعجم بالعربية .

هذا قول ابن عقيل .

وأنا أقول : إنما يُصرفون عن الشيء ، بتغيير طباعهم عند نزوله
أن يقدرُوا على مثله .

فهل وُجِدَ لأحد منهم قَبْلَ الصُّرْفَةِ ، منذ وجد العرب ، كلامٌ يقاربه
مع اعتمادهم الفصاحة ؟

والثالث في معجز القرآن : ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير
الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب ، مع كون الآتي بها أمّياً لا يكتب
ولا يقرأ ، ولا عُلِمَ بمجالسة الأخبار ولا الكهان .

ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأخبار ، لم يُدْرِك
ما أخبر به القرآن .

والرابع : إخباره عن الغيوب المستقبلّة الدالة على صدقه قطعاً ، لوقوعها
على ما أخبر ، كقوله : « فتمنّوا الموت »^(١) ثم قال « ولن يتمنّوه أبداً » .
وقوله : « فاتّوا بسورة من مثله »^(٢) [ثم قال] : « ولن تفعلوا »
فما فعلوا .

وقوله : « قلّ للذين كفروا ستُغلبون »^(٣) .
وغلبوا .

وقوله : « لتَدْخُلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين »^(٤) ودخلوا .
وقوله في أبي لهب : « سيصلى ناراً ذات كَهَبٍ وامرأته »^(٥) وهذا
دليل على أنهما يموتان على الكفر ، وكذلك كان .
والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض .

(٢) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة البقرة ٩٤

(٤) سورة الفتح ٢٧

(٣) سورة آل عمران ١٢

(٥) سورة السد . الآية ٣ و ٤

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء ٨٢) .
وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) :

قال ابن عقيل : حفظ جميعه وآياته وسوره ، التي لا يدخل عليها تبديل ،
من حيث عجز الخلائق عن مثلها .

فكان القرآن حافظ نفسه ، من حيث عجز الخلائق عن مثله .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ، ما آمن عليه
البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله عز وجل إلي ، فأرجو أن
أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة .

قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو مُنْطَقِي إليه ، فانظر إلى كلامه ،
كيف يمتاز عن القرآن ، وتلج ما بين الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم
أن كلام الإنسان يشابه وما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كلمة تشاكل
نَظْمَ القرآن .

قال ابن عقيل : ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يستخرج
منه آية قد أخذ معناها من كلام قد سبق ، فإنه ما زال الناس يكشف
بعضهم عن بعض فيقال : المتنبى أخذ من البُحْثَرى .

قال : وقد سئل علي بن عيسى فقيل له : لو كان هذا الكتاب العزيز
يترجم (٢) ما الذي كان ينبغي [أن] يترجم به ؟

(١) سورة الحجر ٩

(٢) يترجم : يوضع له عنوان يميزه ويذل عليه .

فقال : كان ينبغي أن يترجم بآية منه ، لا بشيء من كلامنا .

قالوا : وما هذه الآية التي يترجم بها ؟

قال : قوله تعالى : « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَنْبِياءَ » (١) .

قال ابن عقيل : ما أصاب ابن عيسى عندي ، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفاً ، لئلا يختلط كتاب بكتاب .

فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير ، سيوجد النظر في نفسه لا يختلط به غيره ، فلماذا يترجم ؟ !

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب - مع تمييزه بإعجازه ، وعدم اختلاطه بغيره ، وليعلم كلام من هو وتأليف من هو كمادة آيات الكتب - جاز أن يكتب على جبهة الحيوانات ، كالفرس والبعير ، وعلى جبهة الآدمي : « هذه صنعة الله » !

فلما لم يحسن ذلك ، للعلة التي بيّنتها ، بطل أن الترجمة سائغة .

وأنا لا أسوِّغ له ترجمة .

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ، ملقاً في برية ، ما جاء به أحد ، أخبرنا بما فيه من الدليل أنه من عند الله .

فكيف وقد جاء به المصنوم مؤيداً بالمعجزات ؟ !

* * *

قال المصنف رحمه الله : وقد استخرجت معنيين عجيبين :

أحدهما : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحد اليوم :
أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقل له : محمد شقّ له القمر ، وموسى
شق له البحر ، لقال : هذا محال .

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لمحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقَى
أبداً ، ليظهر دليل صدقه بعد وفاته ، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء ، إذ هو
مصدق لهم ونخب حالم .

والثانى : أنه أخبر أهل الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان ، ولعائشة
بالبراءة ، وهذه شهادات على غيب .

فلو لم يكن فى التوراة والإنجيل صفة ، كان ذلك منقراً لهم عن الإيمان
به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما ، خلاف ما شهد لهما به ، نفرا
عن الإيمان .

الباب الثاني

في معجزة بشق القمر

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلت تؤمنون ؟ قالوا : نعم . فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا .

فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان ، اشهدوا .

وذلك بمكة قبل الهجرة .

قال مجاهد : انشق القمر ، فوقعت فرقة فوق الجبل ، وذهبت فرقة من وراء الجبل .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يرى نصفه على قُمَيْقَمَانَ (١) ، والنصف الآخر على أبي قبيس .

• عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه .

(١) قُمَيْقَمَان : بصيغة التصغير . جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب . سمي بذلك ، لأن جرمها كانت تجمل فيه سلاحها من الدرق والقسى والجماب ، فكانت تغمق . أى : تصوت .

قال ابن فارس : التقمعة . حكاية أصوات الترسه وغيرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .
أخرجاه .

وفي لفظ انشق القمر شقة فوق الجبل ، وشقة يسترها الجبل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

• عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين ، حتى رأوا حراء (١) بينهما .
قال البخاري : عن ابن عباس : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .
أخرجاه .

• عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال قوم : هذا سحر ، سحرهم ابن أبي كبشة ، فاسألوا الذين يقدم عليكم ، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإلا فهو سحر .
فقدم السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، قد انشق القمر .
• عن ابن عمر في قوله تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (٢) .
قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

(١) قال في الصباح : وحراء ، وزان ، كتاب : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث
قاله الجوهري . واقتصر في الجمهرة على التأنيث وهو أي : (حراء) مقابل ثبير .
(٢) سورة القمر . الآية ١

الباب الثالث

في إظهار معجراته في تكثير الطعام^(١)

• عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .

وكانت عندى شوية عثر جذعة سمينة فقلت :

لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمرتُ امرأتى ، فطحننت لنا شيئاً من شعير ، وصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، قال :

قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير ، فأحبُّ أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلى .

ولأنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر .

(١) كان تكثير الطعام واللواء ، بمعنى البركة فيهما أو الإمداد من عند الله ، إكراماً من الله لرسوله وللمؤمنين معه ، وكانت الضرورة تقتضى ذلك .

قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخرجناها إليه .

قال : فبارك ، وسَمَّى ، ثم أكل . وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا ، وجاء ناس حتى صَدَرَ (١) أهلُ الخندق عنها .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : توفي عبد الله بن عمرو بن حرام ، يعني أباه ، أو استشهد ، وعليه دين فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه ، أن يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ شَيْئًا . فطلب إليهم ، فأبوا .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فصنّف تَمْرَكَ أَصْنافًا ، المعجوة على حِدَّة ، وعذق [ابن] زيد على حِدَّة وَأَصْنافَه (٢) ثم ابعث إلى . ففعلت .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس في أعلاه أو في وسطه ثم قال : كُلْ لِلْقَوْمِ . قال : فَكَلْتُ لَهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتَهُمْ (٣) . وبقي تمرى ، كأن لم ينقص منه شىء .

انفرد بإخراجه البخارى (٤) .

(١) صدر أهل الخندق : يريد : أنهم تركوا الطعام كما هو وقد شبعوا جميعاً .

(٢) البخارى : فقال صنف تمرك كل شىء منه على حدة ، عذق ابن زيد على حدة واللين على حدة والمعجوة على حدة ، ثم أحضرهم حتى آتيك .

(٣) أوفيتهم : أى أعطيت كل واحد حقه كاملاً .

(٤) الحديث ذكره البخارى في كتاب الاستقراض وأداء الديون ، مخالفاً لهذه الرواية ، ويظهر أن المؤلف رواها بالمنى ، وللمحدث بقية في البخارى ١/٣٣٦

• عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فأصاب الناس
مخمصة .

فاستأذن الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر بعض ظهرهم ،
وقالوا : يبلغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همّ أن
يأذن لهم في نحر بعض ظهرهم ، قال :

يا رسول الله . كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غدًا جياعا رجالاً ؟ !
ولكن إن رأيت - يا رسول الله - أن ندعو الناس ببقايا أزوادهم ،
نجمعها لهم ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تعالى سيبليغنا بدعوتك .
أو قال : سيبارك لنا في دعوتك .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يحثون
بالخوة من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلامهم ، من جاء بصاع من تمر .
فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، فدعا ما شاء الله أن
يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم ، وأمرهم أن يحثوا .
فأبقى في الجيش وعاء ، إلا مملوءة ، وبقي مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . لا يلتقي الله عبد مؤمن بهما
إلا حجت عنه النار يوم القيامة .

• عن عمر بن الخطاب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ، فقلت : يا رسول الله خرج إلينا الروم ، وهم شباع ، ونحن
جياع ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس :

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَأْتِنَا .

فَفَزَرْنَا جَمِيعَ مَا جَاءُوا بِهِ ، فَوَجَدُوهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ صَاعًا .

فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ فَدَعَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا وَلَا تَتَّبِعُوا .

فَأَخَذُوهُ فِي الْجُرْبِ وَالْغَرَائِرِ ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَقْدُ قَمِيصَهُ فَيَأْخُذُ فِيهِ ،
حَتَّى صَدَرُوا ، وَإِنَّا نَحْوُ مَا كَانُوا يَحْزَرُونَ .

• عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي غَزَاةٍ فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا ، فَبَسَطَ لَهُ نَظْعًا
فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّظْعِ .

فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرِهِ ، فَإِذَا هُوَ كَرْبُضَةِ الْعِزِّ (١) وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً .
قَالَ : فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرْبِنَا .
انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ .

• عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لَأُمِّ سَلِيمٍ : لَقَدْ سَمِعْتُ
صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا ، أَعْرَفَ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ
مِنْ شَيْءٍ [قَالَتْ : نَعَمْ] (٢) .

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خَمَارًا لَهَا ، فَلَقَّتِ الْخَبِيزَ
بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي ، وَرَدَّتْنِي (٣) بَعْضُهُ ، ثُمَّ أُرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) كَرْبُضَةُ الْعِزِّ . أَيْ : مِقْدَارُ مَسَاحَةٍ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) مِنَ الْبُخَارِيِّ ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ . (٣) الْبُخَارِيُّ : وَلَا تَقْنِي بَعْضُهُ .

قال : فذهبت به ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس ، فقامت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟

فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن معه : قوموا :

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم .

فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة ، حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمّي (١) يا أم سليم ، ما عندك . فأنت بذلك الخبز .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتّ ، وعصرت أم سليم عكّة لها فأدّمتّه .

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله أن يقول :

ثم قال : ائذن لبعثرة . فأذن لهم فأكلوا حتى شبّعوا ثم خرجوا .

فأكل القوم ، وشبّعوا ، والقوم ثمانون رجلا .

(١) هلمّي . أى : أخصري .

أخرجاه (١).

• عن أنس بن مالك قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله .

قال فصنعت أمي ، أم سليم حنيسا (٢) ، فجعلته في تور (٣) فقالت :

يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقل : بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول لك : إن هذا لك منا قليل .

قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

إن أمي تقرئك السلام ، وتقول لك : إن هذا لك منا قليل . فقال : ضعه .

ثم قال : اذهب فادعُ فلاناً وفلاناً ، أو من لقيت . وسمي رجلاً .

قال : فدعوت من سمى ومن لقيت .

قال : قلت لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، هات التور .

فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في باب الاطعمة من الصحيحين من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس .

(٢) قال في المصباح : (الحيس) تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويمجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبق كالتريد وربما جعل معه سويق اه . ومثله في المصباح والقاموس .

(٣) التور : إناء من صفر أو حجارة : ورواية البخاري : « في برمة » .

ايتخلف عشرة عشرة ، لياً كل كل إنسان مما يليه .

قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم .

ثم قال : يا أنس ارفع .

فما أدرى حين وُضعت [كان (١)] أكثر أم حين رُفعت ؟ !

• عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟

فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فُتُجِن .

ثم جاء رجل مشرك مُشَعَانٌ (٢) طويل ، بغنم يسوقها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ؟ أو قال : هبة ؟ قال : بل بيع .

فاشترى منه شاةً فصُنعت .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشَوَى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة ، إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه [إياه] (٣) وإن كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين .

(١) من اللواهب .

(٢) اللصمان : الثائر الرأس .

(٣) من اللواهب .

قال : فأكلنا أجمعون ، وشبعنا ، وفضل في القصةين (١) ، فحملناه على
بغير . أو كما قال .

أخرجاه .

• عن علي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بني عبد المطلب ، ثم دعا بئس (٢) فشربوا حتى رووا ، وبقي الشراب
كأنه لم يمس أوله بشرب ، فقال :

يا بني عبد المطلب ، إني بعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد
رأيتم مني هذه الآية ، فأياكم ييا يعني على أن يكون أخي وصاحبي ؟

قال : فلم يبق إليه أحد . قال : فقامت إليه ، وكنت أصغر القوم .

قال : فقال : اجلس . ثم قال : ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ،
فيقول لي : اجلس .

حتى إذا كانت الثالثة ، ضرب بيده على يدي .

• عن سمرة بن جندب قال : بينا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم
أثني بقصة فيها تريد . قال : فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها
إلى قريب من الظهر ، يأكل كل قوم ، ثم يحى قوم فيتعاقبونه .

قال : قال له رجل : هل كانت تمتد بطعام ؟

قال : أما من الأرض فلا [إلا] أن تكون كانت تمتد من السماء .

• عن أبي أيوب الأنصاري قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وسم وأبي بكر طعاما ، قدر ما يكفيهما ، فأتيتهما به .

(١) رواية للمواهب : ففاضت القصمتان .

(٢) قال في الصحاح : (البس) القديح العظيم والرفد ، أكبر منه ، وجمعه عساساه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب ، فادع لي ثلاثين من
أشراف الأنصار .

قال : فسق ذلك عليّ ، ما عندي ما أزيده .

قال : وكأني تشاقت .

فقال : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار .

فدعوتهم فجاءوا فقال : اطعموا .

فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لي تسعين من الأنصار .

قال : فأنا أخوف بالتسعين والستين مني بالثلاثين .

قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله
وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً ، كلهم من الأنصار .

• عن أبي هريرة قال : نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم ضيف ، فالتمس
له شيئاً يطعمه ، فلم يجد له شيئاً ، ثم وجد لقمة ، فجزأها أجزاء ، ثم أتاه بها
فقال : سمّ وكل .

فأكل وفضلت فضلة .

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك لرجل صالح .

الباب الرابع

في ذكر معجزة في تكثير السمن

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لى شاة فجعلت من سمنها ما ملأت به عُسْكَة^(١) ، فقالت : يا زبيبة ، امضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكة يأتدّم بها .

ففضت بها إليه فقالت : يا رسول الله ، إن أم سليم ، أرسلت إليك بهذه العكة لتأتدّم بها . فقال : خذوها ففرعوها وردوها عليها .

فانصرفت بها ، وأم سليم غائبة عن المنزل ، فعلقها على وتد .

فلما رجعت أم سليم ، رأت العكة مملوءة سمنًا تَقْطُر .

فقالت : يا زبيبة ، ألم أتقدم إليك بمَحْمَل العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقني فاسأليه .

ففضت فقالت : يا رسول الله ، كنت وجهت إليك بعكة سمن لتأتدّم بها .

قال : قد وصلت .

(١) قال في الصحاح (العكة) بالضم : آنية السمن . قال ابن السكيت : يقال لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكة . والجمع المكك والمكاك . ٥١ .
قلت : والشكوة وعاء من آدم للماء واللبن . والجمع شكوات وشكاء . ٥١ .
من هامش الصحاح .

قالت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق ، لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر .
قال : أفتعجبين ، أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه ؟ اذهبي فكلّي واطعمي .
فانصرفت ففرغت منها في عكة لنا ، وأبقيت ما تأدّينا به شهراً أو شهرين .

• عن جابر أن أم مالك الفهرية ، كانت تهدي في عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبينما بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شيء ، عدت إلى عكّتها التي كانت تهدي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت فيها سمناً ، فما زال يأدم لها أدمَ ييتها حتى عصرته .

فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أعصرته ؟ قالت : نعم .

قال : لو تركتيه ما زال ذلك لك مقياً .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الخامس

في معجزة في تكثير التمر

• عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة .

قال : فصففهن بين يديه ، ثم دعا وقال لي : اجعلهن في مزودك ، وأدخل يدك ولا تنثره .

قال : فعملتُ منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، وآكل وأطعم ، وكان لا يفارق حقوى (١) ، فلما قتل عثمان ، انقطع حقوى فسقط .

• عن أبي هريرة قال : أصبتُ بثلاث : موت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه ، ومقتل عثمان ، والمزود . قالوا : وما المزود ؟

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابنا للناس مخمصة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هل من شيء ؟

قلت : نعم شيء من تمر في مزود . قال : فَأَتْنِي بِهِ .

فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَدْخَلَ يده ، فَأَخْرَجَ قبضةً فبسطها ثم قال : ادع لي عشرة .

فدعوت له عشرة ، فَأَكَلُوا حتى شبعوا .

ثم أدخل يده ، فأخرج قبضةً فبسطها ، ثم قال : ادع لي عشرة .

(١) الحقو : موضع شد الإزار .

فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبموا .
فما زال يصنع ذلك ، حتى أطعم الجيش كله وشبموا .
ثم قال لي : خذ ما جئت به ، وأدخل يدك ، واقتصر ولا تسكتبه .
قال أبو هريرة : فقبضت على أكثر ما جئت به .
أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطعمت .
وحياة أبي بكر ، وأطعمت .
وحياة عمر ، وأطعمت .
وحياة عثمان ، وأطعمت .
فلما قتل عثمان ، انتهب يتي ، فذهب المزود .
• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
وأصحابهم عَوَزٌ (١) من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شيء ؟
قلت : نعم شيء من تمر في مزود لي . قال جئ به .
فجئت به على النطم فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فإذا هو
واحد وعشرون تمرة ، ثم قال : بسم الله .
فجعل يضع كل تمرة ويسمى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه .
فقال : ادع فلاناً وأصحابه .
فدعوت فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبموا وخرجوا .
ثم قال : ادع فلاناً وأصحابه . فأكلوا وشبموا وخرجوا .
وفضل تمر ، فقال لي : اقعد . فقمعت ، فقال : كل . فأكلت وأكل .

(١) عوز . أى : احتياج وانقار .

وفضل تمر فأدخله في المزود فقال :

يا أبا هريرة ، إذا أردت شيئاً ، فأدخل يدك ، ولا تكفأ ، فيكفأ عليك .
قال : فما كنت أريد تمرأ إلا أدخلت يدي فأخذت ، ولقد جهزت
منه خمسين وسقاً في سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رحلي ، فوقع زمن
عثمان ، فذهب .

• عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتني أمي
عمرة بنت رواحة ، فأعطتني تمرأ في ثوبي فقالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك
وخالك ، عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقت بذلك ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس
أبي وخالى .

فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟

قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثت به أمي إلى أبي بشير بن سعد ،
وخالى عبد الله بن رواحة ، يتغديان به .

قال : هاتيه . قالت : فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاملاهما .

وأمر بشوب ، فبسط ، ثم دحى التمر عليه ، ثم قال للإنسان :

اصرخ في أهل الخندق : هلموا إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر عنه
أهل الخندق ، وإنه ليستقط من أطراف الثوب .

الباب السَّادِسُ

في معجزته في تكثير الماء

• عن عِزْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، وَقَفْنَا وَقْعَةً ، وَلَا وَقْعَةً أَحَلَى عِنْدَ الْمَسَافِرِ مِنْهَا ، فَمَا أَبْقَطْنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ .

فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَيْقِظَ فَلَانَ ثُمَّ فَلَانَ ، كَانَ يَسْمِيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ ، وَنَسِيَهُمْ عَوْفٌ ، ثُمَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقِظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ ، لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ .

فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ عَمْرٌ ، وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ ، وَكَانَ رَجُلًا أَجُوفَ جَلِيدًا ، قَالَ : فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ ، حَتَّى اسْتَيْقِظَ بِصَوْتِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكُّوا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَ : لَا ضَيْرَ ، أَوْ لَا تَضِيرَ ، ارْتَحِلُوا .

فَارْتَحَلُوا فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوُضُوءِ (١) فَقَوَّضَ وَنَوْدَى بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ .

فَلَمَّا انْتَبَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعْتَزِلٍ لَمْ يَصِلْ مَعَ الْقَوْمِ ، قَالَ : مَا مَعَكَ يَا فَلَانُ ، أَنْ تَصِلَ مَعَ الْقَوْمِ ؟

(١) أَيْ : بِالْمَاءِ .

فقال : يا رسول الله ، أصابتني جفابة ولا ماء .

قال : عليك بالصَّمِيد .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا إليه الناسُ العطش .
فنزل . فدعا فلاناً ، كان يسميه أبو رجاء ، ونسيه عوف ، ودعا علياً فقال :
اذهب يا بني (١) لنا الماء .

قال : فانطلقا فلقيا امرأة بين مَزَادَتَيْن (٢) أو سَطِيحَتَيْن (٣) من ماء
على بعير ، فقالا لها : أين الماء ؟ فقالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ،
ونفرتنا خُلف .

فقالا لها : انطلقِي إذن . قالت : إلى أين ؟

قالا : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : هذا الذي يقال له الصَّابِي ؟ قالا : هو الذي تَعْنِين ، فانطلقِي .

فجاءا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدماه الحديث ، فاستنزلوا
عن بعيرها (٤) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء ، فأفرغ منه من
أفواه المَزَادَتَيْن أو السَطِيحَتَيْن ، وأَوْكَا (٥) أفواههما ، وأطلق العزالي (٦) ،
ونودي في الناس :

أن اسقوا ، واستقوا .

(١) فابنيا . أى : اطلبيا . (٢) المَزَادَةُ : القربة للتخذه للماء .

(٣) السَطِيحَةُ : تشبه للمزادة ، أو وعاء من جلدَيْن سطح أحدهما على الآخر .

(٤) أى اطلبوا منها النزول ، وقد استجازوا أخذ مائها لأنها كانت حرية ،
أو لضرورة العطش .

(٥) أَوْكَا . أى : ربط أفواه القريتين برباطهما .

(٦) المزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

فَسَقَى مِنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مِنْ شَاءَ ، وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ الَّذِي أَصَابَتْهُ
الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ .

قَالَ : وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا .

قَالَ : وَابِمِ اللَّهِ ، لَقَدْ أَقْلَعْتُ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا ، أَنَّهَا أَشَدُّ مِثْقَالًا مِنْهَا
حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اجْمَعُوا لَهَا .

فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا كَثِيرًا ،
وَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا ، وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ مَا رَزَيْنَا^(١) »
مِنْ مَائِكَ شَيْئًا ، وَلَئِنْ كَانَ اللَّهُ غَضَبًا عَلَيَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَقَانَا » .

قَالَ : فَاتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ ؟

قَالَتْ : الْعَجَبُ ! لَقِيتُنِي رَجُلَانِ ، فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ ،
فَفَعَلَ بِمَائِي كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ مَنْ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ .

وَقَالَتْ بِأَصْبَعِهَا السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ . تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .
أَوْ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ حَقًّا .

قَالَ : فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُغَيِّرُونَ عَلَى مِنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يَصِيبُونَ
الصَّرْمَ^(٢) الَّذِي هِيَ مِنْهُ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا : مَا أَرَى أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا ، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟

(١) رَزَيْنَا : تَقَصْنَا .

(٢) الصَّرْمُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ الْعُشْبَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ . ١٠ هـ . لِلصَّبَاحِ .

فأطاعوها فدخلوا في الإسلام .
أخرجاه (١) .

• عن البراء قال : انتهينا إلى الحديبية وهي بئر قد نُزحت ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فنزع منها دلواً ، فتمضمض النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ثم جَّه فيه ودعا . قال : فروينا وأروينا .

• عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه .

حتى إذا كانوا بذي الحليفة ، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، فسار يعدل بهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد (٢) قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضاً (٣) فلم يلبثه الناس أن نزحوه .

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهماً من كفانته ثم أمرهم أن يحملوه فيه .

قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرى ، حتى صَدَرُوا عنه .

• عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير . فأتينا على ركي زمة ، يعني قليلة الماء فنزل فيها ستة ، أنا سادسهم فأدليت إلينا دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شقة الركي ، فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها .

فرُفِعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغمس يده فيها وقال ما شاء الله أن يقول .

(١) البخارى في التيمم وعلامات النبوة . ومسلم في الصلاة من حديث عوف ، حدثنا أبو رجاء .
(٢) الثمد : الماء القليل .

(٣) ينبرضه الناس : يأخذونه قليلاً قليلاً . والبرض : الشيء القليل .

فعادت إلينا الدلو بماء فيها .

قال : فلقد رأيت أحداً أخرج بثوب خشية الفرق .

قال : ثم ساحت ، حتى جرت نهراً .

• عن زياد بن الحارث الصُّدائي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفدٌ من قومي بإسلامهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتبعنا إليه .

فإذا كان الصيف ، قلّ ماؤها ، ففترقنا على مياه حولنا .

وإننا لا نستطيع أن نتفرق اليوم ، كلٌّ من حولنا لنا عدو .

فادع الله أن يسعنا ماؤها .

فدعا بسبع حصيات ، ففرقهن في يده ، ودعا ثم قال :

إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .

فاستطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

• عن أبي إياس قال : جاء رجل بإداوة فيها نقطة من ماء ، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ، فتوضأنا كلنا نُدَغِّقُهُ دَغِّقَةً (١) أربع عشرة مائة .

ثم جاء بعدُ ، ثمانية ، فقالوا . هل من طهور ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فرغ الوضوء .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إنكم تسيرون عشيبتكم وليتكم ، وتأتون الماء غداً ، إن شاء الله .

(١) دغفق الماء . إذا دغقه وصبه صباً كثيراً واسماً .

فانطلق الناس لا يَلْوِي أحد على أحد .

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلِ (١) وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ .

فَنَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ .

فَأْتَيْتُ فَدَعَمْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَوْقُظَهُ (٢) حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ ، فَقَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْقُظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ ، مَا مَيْلَةً أَشَدَّ مِنْ [الْمِائَتَيْنِ] (٣) الْأُولَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ (٤) ، فَأْتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَبُو قِيَادَةَ .

قَالَ : مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرُكَ مَعِيَ ؟

قُلْتُ : مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ .

قَالَ : حَفِظْكَ [اللَّهُ] بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ .

ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ ؟ ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ ؟

قُلْتُ : هَذَا رَاكِبٌ . ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا رَاكِبٌ آخَرٌ ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا ، فَكُنَّا سَبْعَةً رَاكِبِينَ .

(١) ابهار : بالموحدة وتشديد الراء : ايض . وقيل : انتصف أو ذهب

معظمه ، إذ بهرة كل شيء أكثره . وفي القاموس : ابهار الليل : انتصف ، أو تراكت ظلمته أو ذهب عامته وبقي نحو ثلثه .

(٢) الرواية كما في صحيح مسلم : من غير أن أوقظه .

(٣) من صحيح مسلم . (٤) ينجفل أى : يزول عن راحلته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه [ثم] قال :
احفظ علينا صلاتنا (١) .

فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس
في ظهره فقمنا فزعين ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بمِیضأة كانت معي
فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها (٢) وبقي فيها شيء من ماء .

ثم قال لأبي قتادة : احفظ علينا مِیضأتك فسيكون لها نبي .

ثم أذن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ،
ثم صلى الغداة ، فصنع كما [كان] يصنع كل يوم ، وركب وركبنا معه .

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟
فقال (٣) : أما الحكم في أسوة ؟ ثم قال :

أما إنه ليس التفريط في النوم ، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة
حتى يجي ، وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها .

فاتبيننا إلى الناس وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكننا عطشاً .
فقال : لا هلك عليكم .

ثم قال : أطلقوا لي عَمْرَى (٤) . ودعا بالمِیضأة (٥) .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم .

(١) صحيح مسلم . احفظوا . (٢) زاد في مسلم وضوءاً دون وضوء .

(٣) صحيح مسلم : ثم قال . (٤) الغمر : القدح الصغير .

(٥) قال في المصباح : والمِیضأة : بكسر اللام مهموز ويمد ويقصر : للطهارة
يتوضأ منها (يعني كالإبريق ونحوه) وزاد في القاموس : للموضع يتوضأ فيه ومنه .

فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضة ، فتكاثروا (١) عليها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسنوا أئماً كلُّكم سيَرَوِي .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم ، حتى ما بقي غيري
وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم صبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : اشرب .
قلت . لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : إن ساقى القوم آخرهم شرباً .
فشربتُ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الناس [الماء]
جامين رواه (٢) .

(١) مسلم : تكاثروا . قلت : أي : ازدحموا .

(٢) جامين : نشاطاً مستريحين . هذا والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ،
في كتاب الصلاة في قضاء الفاتحة ، واستحباب تمجيده ، شرح النووي على مسلم ٨٣/٥

الباب السابع

في ذكر نبع الماء^(١)

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوراء
فَأَتَى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ لَا يَفْغُرُ أَصَابِعَهُ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَوَضَّأُوا .
فَوَضَعَ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَأَطْرَافِ
أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوْضَأَ الْقَوْمُ .
فَقُلْتُ لِأَنْسَ . كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا ثَلَاثُمِائَةٍ .
أَخْرَجَاهُ .

• عن عبد الله قال : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اطْلُبُوا مِنْ مَعِهِ
مَاءً ، فَفَعَلْنَا .

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه
صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ورويت من طرق كثيرة
يفيد مجموعها ، العلم القطعي بالاستفاد من التواتر المعنوي .
ولم يسمع بمثله هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نبع الماء
من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه .
وذكر المزي صاحب الشافعي ، أن هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب
موسى ، لأن الحجر مألوف منه خروج الماء ، ولا كذلك البدن .

فَأَتَى بِمَاءٍ ، فَصَبَهُ فِي إِثْنَاءِ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .

ثُمَّ قَالَ : حَتَّى عَلَى الطَّاهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ .
فَلَأَتْ بَطْنِي مِنْهُ ، وَاسْتَقَى النَّاسُ (١) .
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ . يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ .

قَالَ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَتْنِي بِهِ .

قَالَ : فَأَتَاهُ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ .

قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ فِي فَمِ الْإِنَاءِ ، وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ ، فَانْفَجَرَتْ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيُونٌ ، وَأَمَرَ بِلَالٍ فَقَالَ : نَادِ فِي النَّاسِ الْوُضُوءَ الْمُبَارَكَ .

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَأَتَى بِتَوْرٍ (١) مِنْ مَاءٍ .

فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قَالَ :
فَرَأَيْتَ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) اسْتَقَى النَّاسُ . أَيْ شَرَبُوا .

(٢) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : التَّوْرُ : إِثْنَاءُ يَشْرَبُ فِيهِ . زَادَ فِي الْمَصْبَاحِ (تَذَكَّرَهُ الْعَرَبُ) وَالْجَمْعُ أَتْوَارٌ .

فقال : حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ ، والبركة من الله تعالى .

قال الأعمش : فأخبرني سالم بن أبي الجعد قال : قلت لجابر بن عبد الله :
كم كان الناس يومئذ ؟ قال : كنا ألفاً وخمس مائة .
أخرجه البخارى .

عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يديه ركوة (١) ، فتوضأ منها ، ثم أقبل على الناس نحوه فقال :
مالكم ؟

قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما يتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما في
ركوتك .

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فحمل الماء يفور من بين
أصابعه ، كأمثال العينون ..

قال : فشربنا وتوضأنا .

فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنا مائة [ألف] لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .
أخرجاه .

عن جابر قال : أتينا المسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر :
ناد ، توضأوا . فقال : ألا وضوء ألا وضوء .

فقلت : يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة .

(١) قال في المصباح : الركوة معروفة وهى دلو صغيرة والجمع ركاء . مثل كلب
وكلاب اه . يعنى : السطل أو الجرذل الصغير على التعبير العامى .

وكان رجل من الأنصار يُبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجَاب له ، فقال لى : انطلق إليه .

فانطلقت ، فلم أجد إلا قطرة في عزلاء شَجَبٍ (١) لو أنى أفرغه لشربه يابسه .

فقال : اذهب فأنتى به . فأخذه بيده .

فجعل يتكلم بشيء ما أدري ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه وقال : يا جابر ، ناد بِجَفْنَةٍ (٢) . فقلت : يا جفنة الركب . فأنتيتُ بها تُحْمَل . فوضعتها بين يديه ، فقال بيده في الجفنة ، فبسطها وفرّق بين أصابعي ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : يا جابر صُبَّ عَلىّ ، وقل بسم الله . فصبيت عليه ، وقلت : بسم الله .

فرايت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ، ناد : من كان له حاجةٌ بماء .

فأتى الناس فسقوا ، حتى رووا .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة (٣) .

(١) العزلاء : قم القربة الأسفل ، أو مصب الماء من الزاوية . والشجَب : عود يعلق عليه القرب والثياب والأواني بالماء .

(٢) قال في القاموس : الجفنة : القصعة . ومثله في الصحاح . والجمع : جفنان وجففات بفتح الجيم والقاء والنون .

(٣) أخرجه مسلم في غزوة بواط مفصلاً مخالفاً لما هنا .

الباب الثامن

في معجزة في تكثير اللبن

عن أبي هريرة قال : والله إني كنت لأعتمد على كبدى بالأرض^(١) من الجوع ، ولقد قدمت على طريقهم الذى يخرجون منه .
فرأى أبو بكر ، فسأله عن آية من كتاب الله ، ما سأله ، إلا لِيَسْتَبَيِّنِي^(٢) ، فلم يفعل .

فرأى عمر ، فسأله فلم يفعل .

فرأى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فمرف ما بوجهي وما في نفسي ، فقال : يا أبا هريرة . قلت : لبيك يا رسول الله . قال الحق . فاتبعته ، فاستأذنت فأذن لي ، فوجد لبننا في قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهدها فلان ، أو آل فلان^(٣) .

قال : أبا هريرة . قلت لبيك يا رسول الله . قال : انطلق إلى أهل الصفة .

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال .

إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها ، وبمئ إلىهم منها .

(١) دلائل النبوة للبيهقي « لأعتمد بكبدى على الأرض » وفي أبي نعيم : على

كبدى من الجوع .

(٢) أى ليطلب منى أن أذهب معه إلى بيته . (٣) أبو نعيم : فلان أو فلانة .

وإذا جاءت الصدقة ، أرسل بها إليهم ، ولم يُصِبْ منها .
قال : فأخزنتي (١) ذلك : وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً
أتقوّى بها بقية يومى وليتى . فقلت : أنا الرسول (٢) إذا جاء القوم كنت
أنا الذى أعطيهم ، فما يبقى لى من هذا اللبن .

ولم يكن بدّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانطلقت ، فدعوتهم ، فأقبلوا
فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا بحالهم من البيت ، ثم قال : أبا هريرة ،
خذ فأعطهم .

فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم .
فأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يردّ القدح .
وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت
على آخرهم .

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فأخذ القدح ، فوضعه فى يده وبقي فيه فضلة .
ثم رفع رأسه ، فنظر وتبسم وقال : أبا هريرة .
قلت : لبيك يا رسول الله .
قال : بقيتُ أنا وأنت . فقلت : صدقت يا رسول الله .
قال : اقمدا واشرب . قال : قمعدت فشربت .
ثم قال لى : اشرب . فشربت .

(١) أبو نعيم : فساوى ذلك .
(٢) أبو نعيم : أنا والرسول فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم . وفى
الخصائص . وإنى لرسول .

فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت :
لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد لها في مسلكا .
قال : ناولني القدح . فرددت إليه القدح ، فشرب الفضلة .
• عن نافع - وكانت له صُحبة - قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، وكنا زُهَاء أربع مائة رجل ، فنزلنا في موضع ليس فيه ماء ، فشق ذلك على أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، العطش .
قال : فجاءت شُويهة لها قرنان ، فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها ، فشرب حتى رَوَى وسقى أصحابه حتى رَوُوا .
ثم قال : يا نافع ، املكها الليلة وما أراك تملكها .
قال : فأخذتها فوَدَدْتُ لها وتداً ، ثم ربطتها بحبل .
ثم قت في بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحاً .
فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألني .
فقال لي : يا نافع ، ذهب بها الذي جاء بها .

الباب التاسع

في ظهور معجزته بمجيء الشجر إليه (١)

• عن يعلى بن مرة الثقفي قال : بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا منزلاً فقام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض ، حتى غشيتها ، ثم رجعت إلى مكانها .

فلما استيقظ ، ذكرت ذلك له فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل ، في أن تسلم عليّ ، فأذن لها (٢) .

• عن يعلى بن مرة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبابة (٣) حتى أبرزنا .

قال : ويحك ، انظر هل ترى من شيء يواريني ؟

قلت : ما أرى شيئاً يواريك ، إلا شجرة ، ما أراها تواريك .

(١) ليس هناك في رواية تلك الأخبار مصادمة للعقل أو جنوح إلى الخرافة ، فهي أمور ممكنة لقدرة الله عز وجل والقصد بها إكرام رسوله ، لكنها ليست ذات شأن بالنسبة لدعوة الإسلام وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي ليست متواترة ، ولا يلزم الإيمان بها إلا بعد ثبوت صحة النقل .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة . والطبراني وأحمد والبيهقي .

(٣) قال في المصباح : الجبابة : مثقل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها ،

هي : اللصلي (بقشديد اللام) في الصحراء .

وربما أطلقت على المقبرة لأن اللصلي - غالباً - تكون في المقبرة .

قال : فما قُربها ؟ قلت : شجرة مثلها ، أو قريباً منها .

قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ، أن تجتمعا بإذن الله تعالى .

قال : فاجتمعتا . فبرز لحاجته ، ثم رجع فقال :

اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت .

• عن جابر بن عبد الله قال : مرّنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أقيح^(١) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ، فانبعثت يداوة^(٢) من ماء : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ير شيئاً يستتر به :

وإذا شجرتان بشاطئ الوادي .

فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها .

فأخذ بفصن من أغصانها فقال : اتقادي معي بإذن الله تعالى .

فانقادت معه ، كالبعير الخشوش^(٣) الذي يصانع قائده .

حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بفصن من أغصانها فقال :

اتقادي كلّى بإذن الله تعالى . فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان

بالمصنف^(٤) مما بينهما ، لأم بينهما فقال : التثما بإذن الله تعالى عليّ . فالتأمتا .

(١) أقيح . أي : واسع .

(٢) قال في الصباح : الإداوة (بكسر الهمزة) الطهارة وجمعها : أداوى بفتح الواو . اهـ . قلت : معناه في لغتنا الدارجة : الإبريق ونحوه .

(٣) الخشوش : الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في فم البعير لينقاد بسهولة .

(٤) إذا كان بالمصنف . يعني : وسط الشجرتين .

قال جابر : نخرجت أحضر (١) مخافة أن يحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرى فيبتعد ، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق (٢) .

• عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسنا حتى نزلنا موضعاً ليس فيه شجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر اتبعني بماء . فاتبعته حتى اتهمنا إلى موضع فيه شجر .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، إيت هاتين الشجرتين فقل لهما :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما انضما .

فأقبلتا تتخذان الأرض خدّاً حتى انضمتا .

فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا جابر إيتهما ، فقل لهما : يعودان إلى موضعهما .

• عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أسلمتُ فارني شيئاً أزدد به يقيناً .

قال : فما الذي تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك .

قال : اذهب فادعها .

فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأتت على جانب من جوانبها فمطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب (٣)

(٢) رواه مسلم .

(١) أحضر : أعدو وأجرى .

(٣) أبو نعيم : الجانب .

الآخر فقطعت عروقتها ، حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

فقال الأعرابي : حسبي حسبي .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ارجعي .

فرجعت ، فجلست على عروقتها (١) .

• عن ابن عمر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين تريد ؟

قال : إلى أهلي . قال : فهل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : ومن يشهد [على] ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى بشاطئ الوادي ، فأقبلت تحض الأرض خذاً ، حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال . ثم رجعت إلى منبتها .

ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتكم بهم ، وإلا رجعت فكنت معك (٢) .

• عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بم أعرف أنك رسول الله ؟

(١) رواه البزار في مسنده وأبو نعيم في الدلائل ، ونقله في الشفاء .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه بإسناد جيد .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العَذْقَ من هذه النخلة فجاء ، تشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم .

فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض ثم جعل يَنْقُرُ (١) حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : عُدْ . فعاد إلى مكانه .
قال : أشهد أنك رسول الله . وآمن (٢) .

• عن أبي عبيدة بن عبد الله قال لى مسروق : أخبرني أبوك أن شجرة أُنذرت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن .

* * *

فإن قال أهل الإلحاد : هذا سحر .

قلنا : السحر خيال وشعبذة لا حقيقة . قال الله تعالى :

« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى » (٣) .

قال ابن عقيل : لو كان السحر قَلْبًا للأعيان ، لساوى الإعجاز ، وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق ، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المعجز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه .

فتى قلنا : إن الساحر يَقْلِبُ الأعيان ، كما نقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تَبْقَ ميزة ، وانسدَّ الطريقُ إلى حصول التحقيق .

قال : فإن قال قائل : فأى ثقة تَبْقَى لنا بالمدرَكات مع قوله : « وما قَتَلُوهُ »

(١) ينقر : يشب .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وكذا رواه البخارى في التاريخ ، وأبو يعلى ، وابن حبان والبيهقى .

(٣) سورة طه ٦٦

وما صَكَّبُوهُ ولا مَكَّنْ شُبَّهَ لَهُمْ» (١) . وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره ؟
فالجواب : أن القادر سَلَبَ حينئذ المدارك ، حسب الأصلح ، على
ما اقتضت الحكمة صيانته ، وتعجيز الكفار عما عزموا عليه .
ولو عُدَّتْ الثقة بالمدارك ، جاز عدم الثقة بحلاوة العسل ، كما يتطرق
من الغرض من المطاعم والأمزجة ، فَيُدْرِكُ في حالٍ مُرًّا .
فإن قال قائل : فما فائدة وقوع ما يجانس المعجزة من السَّحَرِ والكهانة
وغير ذلك ؟

فالجواب : أن المراد ، التكليف ، لتخليص المعجزة من الشعبة ،
ليَحْظَى الفارقُ بثواب الاجتهاد .
وما يزال السحرة يطعن بعضهم في بعض ، والرسالُ متساعدون .

الباب العاشر

في تحريك الجبل لأجله
وسكونه لأمره

• عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حراء ، فتحرك الجبل ، فضر به برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن أسمي التاسع .
اسْمِيتُ .

فأكثرُوا عليه : أخبرنا . فقال : أنا .

الباب الحادى عشر

فى ذكر شكوى البهائم إليه

وذلل المستصعب منها له

• عن [عبد الله بن (١)] جعفر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جل .
فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سرائه وذِفْرَاهُ (٢) ، فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟

فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله .
قال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى مأكك الله عز وجل ، إنه شكّا إلى أنك تجيعه وتدئبه (٣) .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن يعلى بن مرة قال : كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ جاء جمل نفخت (٤) حتى ضرب بجراحه بين يديه ،

-
- (١) من اللواهب ، وفى الأصل : عن ابن جعفر .
(٢) ذِفْرَاه . مثى « ذفر » وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه .
(٣) تدئبه : تتبعه .
(٤) قوله : نفخت . هكذا فى الأصل ولعل الصواب (أخبت) أى : خضع وتواضع ولم تذكر للماجم (خبت) ثلاثيا بالمعنى المراد هنا .

ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأنا .

فخرجت ألتمس صاحبه ، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه .

فقال : ما شأن جملك هذا ؟

قال : لا أدري والله ما شأنه ، عملنا عليه حتى عجز عن السقاية .

فأنتعمرنا بالبارحة ، أن ننحره ، ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هب لي أو يقنيه . قال : بل هو لك يا رسول الله .

قال : فوسمه بميسم الصدقة ، ثم بعث [به] إليه .

• عن أنس قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسمون (١)

عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ، فمنعهم ظهوره ، فجاءوا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ، استصعابه ، وقالوا : قد عطش الزرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا ، فدخلوا الخائط والجمل في ناحيته .

فشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

فقال الأنصاري (٢) : إنه يا نبي الله ، قد صار مثل الكلب ، وإنا

نخاف عليك صولته .

فقال : ليس عليّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل نحوه حتى خرّ

ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته ، أذلّ ما كان

حتى أدخله في العمل .

(٢) اللواهب : الأنصار .

(١) يسمون : يسقون .

فقال له أصحابه : يا نبي الله ، هذا بهيمة لا يعقل ، يسجد لك ، ونحن
نعقل ، ففتح أحق أن نسجد لك .

قال : لا يصلح : لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشر
لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (١) .

• عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
من سفر .

حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار ، وإذا فيه جبل لا يدخل
الحائط أحد إلا شدة عليه .

قال : فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ، حتى أتى الحائط ،
فرغا البعير وجاء واضعاً شفره (٢) إلى الأرض حتى برك بين يديه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطاما » فخطمه . ودفعه
إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال :

إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله ، إلا عاصي
الجن والإنس .

• عن جابر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فإذا
جبل بار ، حتى إذا كان بين السماطين ، خرّ ساجداً .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس : من صاحب الجبل ؟

(١) رواه أحمد واللساني بإسناد جيد . ورواه ثقات مشهورون كما قاله النذري .

(٢) الأصل مشرفة . وهو تصحيف . وما أثبتته عن أحمد .

فإذا فتية من الأنصار قالوا : هذا لنا يا رسول الله .
قال : فما شأنه ؟ قالوا سئنا عليه منذ عشرين سنة ، وكانت به شحمة ،
فأردنا أن ننحره ، فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا .
قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله .
قال : أمّا لا ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .
فقال المسلمون عند ذلك : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك
من البهائم .
قال : لا ينبغي أن يُسجد لشيء ، ولو كان ذلك ، كان النساء
أحق أن يسجدن لأزواجهن .
وفي رواية أخرى أنه قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم
استملمتموه شاباً ، حتى إذا كبر أردتم نحره (١) .

(١) هذا الحديث ضيف السند ، وكذلك أكثر أحاديث هذا الباب .

الباب الثاني عشر

في ذكر معجزته التي ظهرت في المركوب

• عن أنس قال : فرع أهل المدينة ليلة ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصوت على فرس عُرِّي لأبي طلحة ، ورجع وهو يقول : لن تراعوا (١) .

قال أنس : وكان الفرس يُبَطِّأ ، فما سبق بعد ذلك .

• عن جابر قال : كنت أسير على جمل فأعنيا ، فأردت أن أُسَيِّبَهُ .

فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه برجله ، ودعاه فصار سيرا لم يسير مثله (٢) .

أخرجاهما .

(١) أى : لا تخافوا . (٢) كان هذا في غزوة ذات الرقاع .

الباب الثالث عشر

في رميه في وجوه المشركين
بكفّ من تراب فلا أعينهم

• عن أنس قال انهزم المسلمون بِحُنَيْنٍ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دُلُل .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : دُلُل ، البدي . فالزقت بطنها بالأرض .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب ، فرمى بها في وجوههم وقال : حم لا يُنصرون .

فانهزم القوم ، وما رمينا بسهم ولا طعنا برمح .

وفي رواية : فما خلق الله منهم . إنساناً ، إلا ملاً عينه تراباً .

وسند كثر طرق هذا الحديث في غزاة حنين ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع عشر

في إشارته إلى الأصنام ف وقعت

• عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم [مكة يوم الفتح] (١) وحول الكعبة ستون ، وثلاثمائة صنم ، فجعل يطعنهم بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً » (٢) .
أخرجه .

• عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، وفي يده رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . جاء الحق ، وما يبدى الباطل وما يعيد . فجعلت تستلقى من غير أن يمسها .

الباب الخامس عشر

في إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخالفات

قال المصنف رحمه الله : قد سبق ذكر أشياء منها : أنه أخبر بأن الأرض^(١) أكلت ما في الصحيفة التي كتبها المشركون بالبراءة من بني هاشم من ظلم وجور .

• عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كَسْرَى الَّذِي فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ .

• عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِذَا هَلَكَ كَسْرَى ، فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ .

والذي نفس محمد بيده ، لَتُنْفِقَنَّ كَنْزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

• عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِذَا هَلَكَ كَسْرَى ، فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ .

وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتُنْفِقَنَّ كَنْزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٢) » .
أخرجاهما في الصحيحين .

(١) قال في الصباح : الأرض : دوية (دودة) تأكل الخشب ، يقال : أرضت الحشبة بالبناء للمفول ، فهي مأروضة . وجمع (الأرضة) أرض . مثل : قصبة وقصب ، وقصبات .
(٢) سقط هذا الخبر من ت .

قال المصنف رحمه الله : وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل :
فقد مَلَكَ بعد كسرى وقيصر جماعة مُثِمُوا بهذا الاسم ، فإن كلَّ ملك
كان لفارس ، يسمى كسرى ، وكل ملك كان للروم ، يسمى قيصر .
فالجواب : أنه ما مَلَكَ مَنْ كان لِمُلْكِهِ طائل ولا ثبوت ، وما زال
مُلْكُهُم متزلزلاً حتى انمحق .

• عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فقرأنا الهلال ،
وكنت حديدَ البصر فرأيتُهُ ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه ،
وأنا مستلقي على فراشي .

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال :
إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا مُصارِعهم بالأمس يقول :
هذا مَصْرِع فلان غدًا ، إن شاء الله ، وهذا مَصْرِع فلان غدًا ،
إن شاء الله .

قال : فجعلوا يُصْرعون عليها .
قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أخطأوا تيك ، كانوا يصْرعون عليها .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر .
فقال لرجل ممن يدعى الإسلام : هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتلاً شديداً ، فأصابته جراحة .
فتميل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار ، فإنه قاتل
اليوم قتلاً شديداً وقد مات .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى النار .

فكاد بعض القوم أن يرتاب .

فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراح شديد .

فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال :

الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله :

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ،

فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

أخرجاه ، من حديث سهل بن سعد .

• عن أبى حميد الساعدي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم عام تبوك فقال : إنها ستهب عليكم ريح شديدة ، فلا يقوم فيها رجل ،

ومن له بعير فليوثق عقاله (١) .

قال أبو حميد : فمقلناها (٢) ، فلما كان من الليل ، هبت علينا ريح

شديدة (٣) فقام فيها رجل ، فألقته فى جبل طي (٤) .

أخرجاه .

• عن قوتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) فليوثق عقاله . أى : ليربطها برباط قوى لا ينفك .

(٢) فمقلناها . أى : ربطناها .

(٣) قال فى الصباح : هبت الريح هبوباً . من باب قعد (الباب الأول) حاجت :

وهب من نومه هباً من باب قتل (الباب الأول) أى : استيقظ . وهب السيف يهب

من باب ضرب (الباب الثانى) هبّة : اهتز ومضى . ومنه قيل : أتى امرأته هبّة .

أى : وقعة .

إن الله عز وجل زَوَى^(١) لى الأرض ، فرأيت مشارقتها ومفاربتها ،
وإن مُلْكُ أمتى سيبُلغ ما زَوَى لى منها ، وإنى أعطيت الكثرين ،
الأحر والأبيض .

قال الصنف رحمه الله : هذا قاله وهو محسور^(٢) ولا سلطان له على بلد ،
فكان كما قال ، وقد بلغ ملكُ أمته ، من أول المشرق ، من بلاد الترك ، إلى
آخر بلاد المغرب ، من بلاد البربر ، وبحر الأندلس .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى أبو قتادة ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى ذر قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأنا مضطجع فى المسجد ، فغمزنى برجله ، فاستويت جالساً فقال لى :
يا أبا ذر ، كيف تصنع إذا أخرجت منها ؟
فقلت : أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتى .
قال : فكيف تصنع ، إذا أخرجت منها ؟
فقلت : إذن آخذ سيفى ، أضرب به من يخرجنى . فقال : حقراً ! بل
تقاد معهم حيث قادوك ، وتُساق معهم حيث ساقوك ، ولو عبد أسود .

(٤) زوى : جمع . قال فى الصحاح : وزويت الشيء : جمعته وقبضته .
وفى الحديث « زَوَيْت لى الأرض ، فأريت مشارقتها ومفاربتها » .
فيكون المعنى هنا : إن الله جمع لى أطراف الأرض فأريت الخ .

(٢) محسور . أى : متعب حزين .

(٣) الباغية : الظالة المعتدية على السلطان الحق ، لأنها عدلت وانحرفت عن
الصراط السوى .

قال أبو ذر : فلما نُفِيت إلى الرَبْذَةِ (١) أَقَمَت الصلاة ، فتقدم رجل أسود كان على نَعَمِ الصدقة ، فلما رآني أخذ يرجع لِيَدْمَنِي ، فقلت : كما أنت ، بل أنقاد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

• عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال :

من ييسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ، ثم يقبضه إليه ؟ فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً .

قال : فبسطت ثوبي ، أو قال : نَمَرْتِي ، ثم حدثنا ، فقبضته إلى ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه .
أخرجاه .

• عن عبد الله بن رافع أنه سمع علياً يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا والزبير ، والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها طعينة ، معها كتاب ، فخذوه منها .

فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالطعينة فقلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي من كتاب .

قلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتلقين (٢) الثياب . فأخرجت الكتاب .
فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :

من حاطب ابن بلتعثة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : البريدة . (٢) الرواية المشهورة (أتلقين) بالنون في أوله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟
قال : لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت امرأ مُلصَقاً في قريش ،
ولم أكن من أنسبهم ، وكان من كان من المهاجرين ، لهم قرابات يحمون
أهلهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يداً
يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ،
ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد صدقكم .

فقال عمر : دَغْنِي أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : « إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر ،
فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

أخرجاه .

• عن أبي بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ،
وكان الحسن بن عليٍّ يثبُّ على ظهره إذا سجد ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِمَ من سَفَرٍ ، فلما
كان قُرْبَ المدينة ، هاجت ريح تسكاد تدفع الراكب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَبَّتْ هذه الريح ، لموت منافق
مات بالمدينة » .

فقدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين ، مات ذلك اليوم .

• عن عدي بن حاتم قال : بَيْنَا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة (١) ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قطع السبيل .

فقال : يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبتت عنها .

فقال : إن (٢) طالت بك حياة لترين الظمينة (٣) ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف [أحدا] (٤) إلا الله .

قلت ، بيني وبين نفسي : فأين دُعَار طيء الذين قد سَعَرُوا البلاد (٥) ؟!

وإن طالت بك حياة ، لَتُفْتَحَنَّ كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هُرمز ؟ ! .

قال : كسرى بن هُرمز .

وإن طالت بك حياة لترين الرجل يُخْرَج مِلء كَفِّه ذهباً وفضة ، يطلب من يَقْبَله منه فلا يجد أحداً يقبله منه (٦) .

قال عدى : فرأيت الظمينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز .

(١) الفاقة : الفقر . (٢) البخارى : « قال فإن » .

(٣) أى : المرأة ما دامت فى الهودج على الإبل . ومثله فى القاموس والصحيح : الظمينة . وفى المصباح : الظمينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم ، وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظمونة . اهـ .

(٤) من البخارى .

(٥) دُعَار طيء : مفسدوهم الذين يقطعون الطريق . وسعروا البلاد : ملأوها شرّاً وفساداً ، وهو مستعار ، من استعار النار .

(٦) اختصر المؤلف الحديث فلم يذكر : وليلقين الله أحكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان ... إلى نهايته .

وإن طالت بكم حياة لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ، صلى الله عليه وسلم ،
يُخْرِجُ مِلًّا . كَفَّهُ ! . أَخْرَجَاه .

• عن أبي موسى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط
من حيطان المدينة ، فجاء رجل يستفتح .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا هو أبو بكر رضى الله عنه .

ثم استفتح رجل آخر فقال : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة .

ثم استفتح رجل آخر ، وكان متكئا فجلس ، فقال :

افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان .

ففتحت له وبشرته بالجنة ، فأخبرته بالذى قال : فقال : الله المستعان .

أَخْرَجَاه .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ ^(١) ، وَحَتَّى تَقَاتِلُوا التَّرَكَّ ،
صِفَارِ الْأَعْيُنِ [حمر الوجوه] ^(٢) ذُلْفُ الْأَنْوَفِ ^(٣) كَانَ وَجُوهُهُمُ الْمَجَانُ ^(٤) ،
الْمُطَرِّقَةُ ^(٥) .

(١) نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال صفرت من الشعر . أو المراد :
طول شعورهم حتى يصير أطرافها في أرجلهم .

(٢) من البخارى . (٣) ذلف الأنوف : صغارها .

(٤) المجان : جمع « مجن » وهو : الترس . و « المطرقة » : التى ألبيست
الطراق ، وهى جلدة تلتصق على قدر الدرقة .

(٥) انفرد به البخارى من هذا الوجه . ونحوه عن أحمد والجماعة ، إلا النسائى .

• عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً ، إذ جاءه ذو الخوالبصرة ، وهو رجل من بني تميم . فقال يا رسول الله ، أعدل .

قال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! فقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل .

فقال عمر : ائذن لي فيه ، فأضرب عنقه .

فقال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

يُنْظَرُ إِلَى نَصَلِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إِلَى نَضِيئِهِ ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفَرْثَ والدم .

آيَاتُهُمْ رِجْلٌ أَسْوَدُ ، إِحْدَى عِضْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرُدُ (١) يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ .

قال أبو سعيد : وأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه .

وأمر بذلك الرجل فَالْتَمَسَ فَأَتَى بِهِ حَتَّى نَظَرَتْ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُهُ (٢) .

(١) تدرد : تتحرك وتذهب وتجيء .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ، ومسلم أيضاً ، والنسائي ، وابن ماجه عن أبي سعيد .

والرضاف : جمع رصفة ، وهى عَقَبَة تُلوَى على مَدْخَل النصل فى السهم .

والتَّضَيّ : القُدْح قبل أن يبعث . والقُدْذ : ريش السهم .

والمعنى : أنه مَرَق عاجلاً فلم يَعلَق به دم .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى بصفية يوم خيبر وأتى زوجها وأخيها ، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتما شيئاً ، فإن كتماه استحلّ دماءها .

فأما أحدهما ، فصدقه ولم يَكْتُمه .

وأما كنانة - وهو زوج صفية - فكتمه مسك الجمل ، وكان فيه حلى كثير ، فقال :

يا كنانة ، إنك قد أعطيتنى أن لا تكتمنى شيئاً ، فأين مسك الجمل ؟
فقال : ما كتمتك شيئاً .

فأتاه جبريل فأخبره بمكانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اذهبوا ، فإنه فى مكان كذا وكذا .

فلما أتى به ، أمر بهما ، فضربت أعناقهما وقال لبلال : خذ بيد صفية .
فأخذ بيدها فمر بها بين القبيلتين ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى فى وجهه .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيرها بين أن يمتقها ،
فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم ، فيتخذها لنفسه .

فقالت : أختار الله ورسوله .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : انصرفوا عن أمكم .

حتى إذا كان على ستة أميال من خير ، مال يريد أن يُعرس بها ،
فأبت ، فوجد عليها في نفسه .

فلما كان بالصهباء ، مال إلى دومة هناك ، فطاوعته .
فقال : ما حملك على إيائك ؟

قالت : خشيت عليك ، قرب يهود . فأعرُس بها .
وبات أبو أيوب ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدور
حول خبائه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطاء ، قال : من هذا ؟
قال : خالد بن زيد . قال : مالك ؟

فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك .
فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع .

• عن عبد الله بن عباس قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أبا سفيان في الطواف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا أبا سفيان ، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا ؟
فقال أبو سفيان في نفسه : أفشيت^(١) على هند سرِّي ، لأفعلن بها ،
ولأفعلن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه ، لحق أبا سفيان فقال :
« يا أبا سفيان ، لا تظلم هنداً ، فإنها لم تُفَشْ إلى من سرك شيئاً » .
فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله ، فمن أنباك بما في نفسي ؟

(١) أفشيت أي : أذاعت ونشرت .

• عن عاصم بن كليب قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من الأنصار قال :

خرجت مع أبي وأنا غلام ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلقنا رجل فقال :

يا رسول الله ، فلاة تدعوك وأصحابك إلى طعام .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فقعدا مقاعد الفلمان من آبائهم فجىء بالطعام .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وضعوا أيديهم .

فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلوك أكلة فكفوا أيديهم .

قال : فلاك الأكلة ، ثم لفظها ، وقال : لحم شاة ، أخذت بغير إذن أهلها .

فقامت المرأة فقالت : يا رسول الله ، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام ، فبعثت إلى البقيع . فلم أجد شيئاً يباع ، فبعثت إلى أخي : أن ابعث إليّ شاتك .

فلم يكن أخي ، ثم ، فرفع أهله إلى الشاة .

• عن أنس قال : نعى النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب مؤنة على للنبر .

فبدأ يزيد ، ثم بجعفر ، ثم بابن رَوَاحَة . ثم قال :

وأخذ اللواء خالد بن الوليد ، وهو سيف من سيوف الله تعالى .

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسل عائشة إلى امرأة

فقالت :

ما رأيت طائلا . قال : لقد رأيت خالا بخدّها ، اقشعرت منه ذؤابتك .

فقلت : ما دونك سرّ ، ومن يستطيع أن يكثّمك !

• عن سليمان بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : نفروهم ولا يفروننا .

قال أبو نعيم : لحق الله ذلك ، ففراهم ولم يُفَزَ بعد ذلك .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين ، حتى يجاوز البحار ، وحتى تُخاض البحار بالخليل في سبيل الله » .

• عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً له لى : مَنْ أَشَقَّى النَّاسَ ؟

قال : الذى عمّر الناقة ، يا رسول الله . قال : صدقت .

فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله .

قال : « الذى يضرب على هذه » .

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى يافوخه (١) .

فكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق :

أما والله ، لوددت أنه انبعث أشقاها فحضب هذه ، يمنى لحيته ، من هذه ، ووضع يده على مُقَدِّم رأسه .

(١) قال في المصباح : اليافوخ : وسط الرأس ، ولا يقال (يافوخ) حتى يصلب ويشتد بعد الولادة . وفي القاموس : ضرب يافوخه . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

• عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف . وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدفع عنه . فلما خرج منه ، أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وآية ذلك ، أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه . أصبتهوه معه .

فابتدره الناس ، فاستخرجوا منه الغصن .

• عن ابن عمر قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء في الليلة [التي] قتل فيها العنسي لبشرنا ، فقال : قُتل الأسود البارحة ، قتله رجل مبارك . قيل : من ؟ قال : فيروز بن فيروز (١) .

• عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت فقال : لا تبكي ، وأبشري ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :

ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين . وليس من أولئك النفر أحدٌ ، إلا وقد مات في قرية أو جماعة ، وأنا الذي أموت بالفلاة (٢) ، والله ما كذبت ولا كُذبتُ ، فأبصرى الطريق .

(١) عند ابن كثير : فيروز فيروز .

(٢) الفلاة : الأرض التي لا ماء فيها . والجمع (فلا) مثل (حصاة)

و (حمى) هـ . مصباح .

قالت : قتلت : فإنه قد ذهب الحاج ، وقة طعت الطريق .

قالت : فكنت أشدد إلى الكتيب ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فإذا أنا
برجال على رءسهم ، فألحقت^(١) بثوبى ، فأسرعوا ، وقالوا : مالك ؟

قلت : رجل من المسلمين يموت .

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر .

قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم .

فقدّوه بأبائهم وأمهاتهم ، فكفنه أحدهم ، ودفنوه .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .

ونساء كاسيات عاريات ، مائلات لميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت

النائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يخرجن ريحها ، وإن ريحها ، ليوجد من مسيرة
كذا وكذا .

• عن أبى نوفل قال : لما قتل ابن الزبير ، أرسل الحجاج إلى أمه

أسماء فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، أن فى قييف كذاباً
ومُبيراً^(٢) ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير ، فلا إخالك إلا إياه .

انفرد بإخراجه مسلم . والكذاب هو المختار بن عبيد .

(١) ألحقت بثوبى . أى : أشرت بثوبى إلى الرجال وهو تمبير مجازى كفا

أساس البلاغة .

(٢) مبير . أى : ظالم سفال للدماء ، ومفسد فى الأرض .

• عن أبي هارون العبدى قال : كنا إذا دخلنا على أبي سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه سيأتيكم رجال من أقطار الأرض ، ليتفقوا ، فإذا أتوكم ، فاشتوصوا بهم خيراً .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَيُسْمَعُ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ .

• عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، أن نبى الله صلى الله عليه

وسلم كان يزورها كل جمعة ، ولأنها قالت يوم بدر :

أَتَأْذِنُ لِي ، فَأُخْرِجَ مَعَكَ ، أَمْرَضَ مَرْضَاكُمْ ، وَأَدَاوَى جِرْحَاكُمْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُهْدِي لِي شَهَادَةً ؟

قال : قَرَّتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُهْدِي لَكَ شَهَادَةً .

وكانت أعتقت جارية لها وعلماً عن دبر (١) منها ، فطال عليهما ،

فماتتا في قطيفة حتى ماتت ، وهربا .

فأتى عمر فقيل له : إن ورقة قتلها غلامها ، وجاريتهما وهربا .

فقام عمر في الناس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يزور

أم ورقة ويقول : انطلقوا تزوروا الشهيذة ! وأتى بهما ، فصلياً .

• عن ابن عباس قال : لما أسر العباس ، وطُلب منه الفداء قال :

ليس لي مال .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذى وضعته بمكة ،

(١) الدبر : الموت . يعنى ، قالت لها : أنتما — بعد موتى — حران

النوع من الصقي يسمى الفقهاء بـ « التدبير » .

حين خرجت ، عند أم الفضل وليس معكم أحد ؟ وقلت : إن أصبت في سفرى هذا ، فلا فضل كذا ، وأنتم كذا ، ولعبد الله كذا ؟

قال : والذي بشعك بالحق ، ما علم بهذا أحد من الناس ، غيرى وغيرها ، ^(١) وإني أعلم أنك رسول الله .

• وقد روى محمد بن إسحاق ، أن عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن أمية بعد مصاب أهل بدر ييسر ، وهو في الحجر .
وكان عمير من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة .

وكان ابنه وهب بن عمير ، في أسارى بدر فذكر أصحاب القليب ومصابهم .
فقال صفوان : والله ما في العيش بعدهم من خير .
فقال له عمير : صدقت ، والله ، أما والله لولا ديني على ، ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم .
فقال صفوان : فعلى دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أسوتهم كأسوتهم .

قال عمير : فآتكم على شأني وشأنك . قال : أفعل .
ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .
فراه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال :
هذا عدو الله ، عمير قد جاء ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرّش بيننا ، وحرّزنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) فى الأصل (وغيرك) وهو تحريف لمخالفته لسياق الكلام

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير ، قد جاء متوشحاً سيفه .
قال : فأدخله عليّ :

فأقبل عمر حتى أخذ بجمالة سيفه في عنقه ، فللبّبه بها .
وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون .
ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رآه ، وعمر أخذ بجمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير .
فدنا ثم قال : أنتم صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من
تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟
قال : جئتُ في فداء أسير لى في أيديكم ، فأحسنوا إليه .

قال : فما بال السيف في عنقك ؟
قال : قبضها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً .
قال : اصدّقني في الذي جئتُ له . قال : ما جئتُ إلا لذلك .
فقال : بل قمعت أنت وصفوان في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب
من قريش ، ثم قلت :
لولا دينٌ عليّ ، ولى عيال ، لخرجت حتى أقتل محمداً .
فتحمّل لك صفوانُ بن أمية بدّينك وعيالك ، على أن تقتلني ، والله
حائلٌ بيني وبينك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا نكذّبك ، وهذا أمر لم
يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله
الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقَّهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ، وإلى دين الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذى أصحابك .

فأذن له ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش :
أبشروا بوقعة تأتيتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه .
فخلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

فلما قدم مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه ، فأسلم على يديه ناس .

* * *

قال المصنف : قال أبو الوفا بن عقيل : إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبلات ، فيه مخاطرة عظيمة ، لأن الأسود ومسيمة ، فضحهما تخمينهما فخرج الخبر على خلاف ما أخبرا به .

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » .

فلو أنه أسلم ، كان في هذا ما فيه ، وإنما طالع العواقب ، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة .

فالحمد لله الذي ثبته على ذلك ، وأنه بان لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم ، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام .

الباب السادس عشر

في إلالة الصخر له صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ، لم يذوقوا طعاماً .
فقالوا : يا رسول الله . إن ههنا كُدْيَةً (١) من الجبل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رشوها بالماء .
ثم أخذ المِقْوَل (٢) وقال : بسم الله . فضر بها ثلاثاً ، فصارت كَثِيباً (٣)
تَهَال (٤) .
قال جابر : لحانت مني التفاتة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
شدَّ على بطنه حجراً .
أخرجاه .

(١) الصخرة العظيمة . قال في القاموس : (الكدية) بالضم : شدة الدهر
كالكدية . والارض الغليظة والصفاة (أى : الصخرة المساء) العظيمة ، والشئ
الصلب بين الحجارة والطين . اهـ . المراد منه .

وفي الصحاح والمصباح : الكدية : الارض الصلبة ، والمعنى المراد المناسب هنا
ما أثبتناه في صدر الكلام .

(٢) المِوَل : الفأس .

(٣) كَثِيباً . أى : كسومة الرمل . قال في القاموس : الكتيب : التل من الرمل .

(٤) تَهَال . أى : تهفت وتهصب ، لأنها صارت كالرمل الناعم الذي لا يتاسك .

• عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر الخندق ، فمرضت لنا صخرة في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول . فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول وقال :
بسم الله .

وضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله . وضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر وقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأنظر المدائن ، وأبصر قصورها البيض من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقطع بقية الحجر فقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأنظر إيوان صنعاء من مكاني هذا .

الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجدع إليه صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جدع نخلة .

فقال امرأة من الأنصار ، كان لها غلام نجار : يا رسول الله ، إن لي غلاماً نجاراً ، أفلا أمره ، يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، خطب على المنبر قال : فَأَنَّ الجَدْعُ الذي كان يقوم عليه كما يَبْنِي الصَّبِي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكى لِمَا قَعَدَ من الذِّكْرِ (١) .

• عن الطَّاقِلِ بنِ أَبِي بنِ كَعْبٍ ، عن أَبِيهِ قال : قلت : يا رسول الله ، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة ، حتى يراك الناس وُسْمِعَهُمْ خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات .

فلما صنع المنبر ، ووضع في موضعه ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر ، فرَّ إليه ، خَارَ الجَدْعُ حتى كَادَ أَنْ يَنْشَقَّ .

فَنَزَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَسَجَّ بِيَدِهِ ، حتى سَكَنَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ .

- فلما هدم المسجد ، وغير ، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب .
فكان عنده في داره ، حتى بلى وأكلته الأرضة ، وعاد رُفَاتاً (١) .
- عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره إليها .
فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فبنوا له منبراً ، له عتبتان .
فلما قام على المنبر يخطب ، حَتَّت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- قال أنس : وأنا في المسجد ، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله (٢) ،
فازالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت (٣) .
فسكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال :
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ،
لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحق أن تشاقبوا إلى لقاءه (٤) !
- عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر ، تحول إليه ، فحن الجذع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسحبه .
أخرجه البخاري .

- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فأتاه رجل رومي فقال : اصنع لي منبراً أخطب عليه .

(١) رواه أحمد ، ومثله عن الشافعي .
(٢) الواله : الذي ذهب عقله وتحيير من شدة الفرح والحب والحزن . كما يستفاد من المصباح والمصباح .
(٣) رواه أحمد .
(٤) روى هذه الزيادة البغوي .

فصنع له مذبحه هذا الذي ترون .

فلما قام عليه يخطب ، حنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها .

فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضَّه إليه ، فسكت ، فأمر به أن يُدَقَّنَ ويحفر له .

• عن ابن بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خطب ، قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فأَتَى بِجَذَعٍ لَحْلَحَةٍ فحفر له ، وأقيم إلى جنبه .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب وطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه .

فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فقال لمن يليه من الناس :

لو أعلم أن محمداً يَحْمَدُنِي فِي شَيْءٍ يَرْفُقُ بِهِ ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ايتوني به . فأَتَى بِهِ ، فأمره أن يصنع له هذه المراق ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحة .

فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذع ، وعمد إلى الذي صنَّعَ له ، جَزَعَ الجذع ، فحنَّ كما تحن الناقة ، حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم .

فسمع بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع رجَّع إليه ، فوضع يده عليه وقال :

اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه ، فتكون كما كنت ، وإن شئت فأغرسك في الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فيَحْسُنَ نبتك ، وتُثمر ، فيأكل أولياء الله من ثمرتك ، فعلتُ » .

فرغم أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : نعم قد فعلت .
مرتين .

فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحب أن أغرسه في الجنة .
• عن أبي بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلى إلى جذع وكان عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .
فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى
يراك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات ، فقام عليها كما كان يقوم .
فأضفى إليه الجذع فقال له : اسكن . ثم التفت فقال :
إن تشاء أغرسك في الجنة ، فيأكل منك الصالحون ، وإن تشاء أن
أعيدك رطبا كما كنت .

فاختار الآخرة على الدنيا .

فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، دُفع إلى أبي ، فلم يزل عنده إلى
أن أكلته الأرضة .

* * *

قال ابن عقيل : لا ينبغي أن يتعجب من حنين الجذع ، ومحى الأشجار
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من جعل في المغناطيس خاصية تجذب
الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول خاصية تجذب إليه .

الباب الثامن عشر

في تسبيح الحصى في يد، صلى الله عليه وسلم

• عن أبي ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مكان ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبَّحن ، حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن . ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل . ثم وضعهن فخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر حتى سمع لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن .

الباب التاسع عشر

في ستره عن قصد أذاء من المشركين

- عن ابن عباس قال : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر . فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بذيّة ، فلو قت لا تؤذيكَ . قال : إنها لن تراني . فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، صاحبك هَجَانِي بِشِعْرِهِ . قال : لا ، ما يقول الشعر . قالت : أنت عندي مصدّق ، وانصرفت . فقال يا رسول الله ، إنها لم ترك ؟ قال : لا ، لم يزل ملكٌ يسترني منها بجناحه . امرأة أبي لهب ، هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان .

الباب العشرون

في دفع من أراد أذاه من الانس

- عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قفلت معهم ، فأدركته القافلة في وادٍ كثير الغضاه (١) .
- فنزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فعلق بها سيفه .
- قال جابر : فبينما نومة .
- ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فجئناه ، فإذا أعرابي عنده جالس .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اختلط سفي وأنا نائم ، فاستيقظت ، وهو في يده صلتاً (٢) .
- فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . هو ذا جالس .
- ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- أخرجاه .
- عن جابر بن عبد الله قال (٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الغضاه : شجر عظيم له شوك .

(٢) صلتاً : مجرداً من غمده ، بمعنى مصلت .

(٣) كذا ولعلها : أن رسول الله الخ .

لما رجع من غزاة بنى محارب ، جاءه رجل يقال له غورث بن الحارث ،
حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من يمنعك مني ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك مني ؟

قال : كن خير آخذ .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

نحلى سبيله .

• عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعقر محمد وجهه فيكم بين
أظهركم ؟ قال : فقليل نعم .

فقال : والللات والعزى ، إن رأيته يفعل ذاك ، لأطأن على رقبته ،
ولأعفرن وجهه في التراب .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، زعم ليطأ عنقه قال :

فما فاجأهم منه ، إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه .

فقالوا له : مالك ؟ قال : إن بيني وبينه تخندقاً من نار ، وهو لا وأجنحة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني ، لاختطفته للملائكة

عضواً عضواً .

انفرد بإخراجه مسلم .

• حكى الواقدى عن أشياخه قال : جاءت الظهر يوم الفتح .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن بالظهر فوق الكعبة ،

وقريش فوق الجبال ، وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال عكرمة (١) بن أبي جهل :
لعمري لقد رفع لك ذكرك ، أما الصلاة فنصلي ، ووالله ما نحب من قتل الأجرة .
وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم .
وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليتني مت قبل أن أسمع بلالا ينهق
فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبي العاص : هذا واللات ، الحادث الجلل (٢) ، يصيح
عبد بني جحج ، ينهق على بيئته أبي طلحة .
وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره .
وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا ، فلا أقول شيئاً ، ولو قلت شيئاً ،
لأخبرت هذه الحصة .

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف
عليهم فقال : أما أنت يا فلان ، فقلت كذا ، وأنت يا فلان ، فقلت كذا .
فقال أبو سفيان : أما أنا يا رسول الله فاقلت شيئاً .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن عكرمة قال : قال شيبه بن عثمان : لما غزا النبي صلى الله عليه
وسلم حنيناً : فذكرت أبي وعى قتلهما على وحمزة ، فقلت : اليوم أدرك
ثأري من محمد .

لجنته من خلفه ، فدنوت منه ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف
سورة ، رُفع إلى شواظ من نار كأنه البرق ، فنكصت القهقري .

(١) في الأصل « يقول » ، والصواب (قال عكرمة .. الخ) لأن للقرر في قواعد
النحو أن يكون جواب (لما) فعلاً ماضياً . (٢) في الأصل « الجليل » وهو تحريف

فالتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعال يا شيبه .
فوضع يده على صدرى ، واستخرج الله الشيطان من قلبى .
فرفعت إليه بصرى ، وهو أحبُّ إلىَّ من سمى وبصرى .

• عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رجلا من بنى مخزوم ، قام
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده فِهر^(١) يرمى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلما أتاها وهو ساجد ، رفع يده وفيها الفهر ، ليدفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فبيست يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : جُبِنتَ عن الرجل ؟
قال : لا ، ولكن هذا فى يدي لا أستطيع أرساله .
فتعجبوا من ذلك ، ووجدوا أصابعه قد بيست على الفهر .
فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا : هذا شئ يراى .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا فى حديث الحنك قالوا له : ما رأينا أعجزَ
منك فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تلوْمونا ، لقد تواعدنا له .

فلما دنونا منه ، سمعنا صوتاً خلفنا ، ظننا أنه ما بقى بتهامة جبال
إلا ألقيت .

ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصفا والمروة ، التقتا فحالتا بيننا وبينه .

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يملأ الكف .

الباب الحادي والعشرون

في كيفية هلاك بعض من آذاه

عن أنس قال : كان رجل نصراني (١) فأسلم ، وكان يقرأ البقرة وآل عمران .

وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، وكان يقول :
ما يدري محمد إلا ما كتبت له .

فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا :
هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا . فآلقوه .

فحفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا :

هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا على صاحبنا .

فحفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض .

فعلموا أنه ليس من الناس ، فآلقوه .

قال المفسرون قوله تعالى : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » بين أنهم قوم كانوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، والمستهزئون يطوفون بالبيت فمر بهم الوليد بن المغيرة .

(١) الاصل : كان رجلاً نصرانياً . وهو تحريف ، والحديث أخرجه البخاري وأحمد .

فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله . قال : قد كُفيت .
وأوماً إلى ساقه فرَّ رجل يريش نبلاً ، فتعلقت شظية من نبلة يازاره ،
فمنعه الكبر أن يطأ من لينزعها ، فرض فمات .

ومرَّ العاص بن وائل ، فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟
قال : بنس عبد الله . فأشار إلى أخمص قدمه ، فمات .
ومرَّ الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .
فأشار إلى بطنه فمات حبناً (١) .

ومرَّ الحارث بن قيس فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .
فأوماً إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات .
قال عكرمة : هلك المستهزئون قبل بدر .
قال ابن السائب : هلكوا في يوم وليلة .

(١) الحبن : داء يصيب البطن .

الباب الثاني والعشرون

في دفع من قصد أذاه من الشياطين

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلّت على البارحة ، فقطع على صلاتي ، فأمكنني الله منه فندعته ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه كلكم أجمعون ، فذكرت دعوة أخى سليمان « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » . قال : فرددته خاسئاً .

ومعنى فدعته : خنته ..

عن أبي التّياح قال : قلت لعبد الرحمن بن حُيَيش : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين ؟

قال : تحدّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء جبريل فقال : يا محمد ، قل . فقال : ما أقول ؟ قال :

قل : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق وذراً وبرا ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يفرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق [إلا طارقاً] يطرق بخير يا رحمن .

قال فطفت نارهم وهزمهم الله تعالى .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له شيطان

• عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، ففرت عليه ، فجاء فعرف ما أصنع فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟ قالت : ومالي لا يفار مثلي على مثلك .

قال : فأخذك شيطانك ؟ ! قلت : أومى شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ ! قال : نعم ، ولكن ربي أعانني عليه فأسلم . انفراد بإخراجه البخاري .

وأكثر الرواة يقولون : « أسلم » بفتح الميم ، إلا سفيان بن عُيينة قال : فأسلم بضمها ، وليس بصحيح ، لأنه في بعض الألفاظ قال : « فلا يأمرني إلا بخير » .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت على آدم بمخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم ، وكن أزواجي عوناً لي .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً عليه . .

الباب الرابع والعشرون

في دفع أذى الهوام عنه

• عن أبي أمامة قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخُفَّيه
يلبسهما ، فلبس إحداهما ، ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى ، فرمى بها
فخرجت منه حيّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما .

البَابُ الحَادِسُ والعِشْرُونَ

في إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت

• عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : أصيبت عين أبي قتادة بن النعمان الطُّفْرَى يوم أحد ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهي في يده فقال :
ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ،
فلم تفقد منها شيئاً .

قال : يا رسول الله ، إن الجنة جزاء جليل ، وعطاء جليل ، ولكنني
رجل مُبْتَلَى بحب النساء ، إن يقلن أعور ، فلا يردنني ، وإن يكن تردها لي ،
وتسأل الله لي الجنة .

فقال : أفصل يا أبا قتادة . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيهِ إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟
فقال :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَ عَلَى الْخُلْدِ عَيْنَهُ قُرِدَتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
قَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَحْسَنِ حَالِهَا وَيَا أَحْسَنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ مَا يَدِّ

فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل إلينا المتوسلون .

ثم قال :

تِلْكَ الْمَسْكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا يَمَاءٍ قَعَادًا بَعْدُ أَبْوَالَا

الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته

• عن أبي أسيد [الساعدي] البدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل ، لا تَرِمُ (١) منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لى فيكم حاجة .

فانتظروه فجاء فقال : السلام عليكم .

قالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير . قالوا : كيف أصبحت يا رسول الله ؟ قال : بخير ، أحمد الله .

فقال : تقاربوا ، ليزحف بعضكم إلى بعض . ثلاثاً .

فلما أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : هذا العباس عني ، وصينو (٢) أبي ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم استرهم من النار كسترى إياهم بملاءتي هذه . قال : فأمنت أسكفة (٣) الباب وحوائط البيت . آمين ثلاثاً (٤) .

(١) لا ترم . أى الزم منزلك ولا تفارقه .

(٢) الصو : المثل . (٣) أسكفة الباب : عتبة .

(٤) الحديث رواه الشيخان وابن ماجه في سننه ، عن عبد الله بن عثمان الوقاصي ،

قال عنه ابن معين : لا أعرفه وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

الباب السابع والعشرون

في تكليم الظبية (١) له

• عن أبي سعيد الخدري قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، حُتِّي حتى أذهب فأرضع خِشْنِي (٢) ثم أرجع فتربطني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« صَيِّدُ قَوْمٍ وَرَبِيطَةُ قَوْمٍ » فأخذ عليها ، فخلفت له ، فخلَّها .
فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما في ضرعها .
فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتى خباء أصحابها . فاستوهبها منهم ، فوهبوها له ، فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في بعض شأنه ، فإذا هو بظبية في رحل قوم ، فنادته : يا رسول الله . فوقف وقال : ما شأنك ؟

(١) روى حديث الظبية البيهقي من طرق من حديث أبي سعيد ، وضمه جماعة من الأئمة . وذكره القاضى عياض في الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل .

قال السيحاوى : حديث الغزاة اشتهر على الألسنة وفي المدائح النبوية وليس له - كما قال ابن كثير - أصل ، ومن نسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كذب .
(٢) قال في المصباح : الحشف (بكسر الحاء) ولدا الغزال . يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف . مثل حمل وحمول .

قالت : إن لي خشفين وهما جياع ، فأطلقني لأنتلق فأرويهما ، وأرجع إليك فتشدني .

قال : أتفعلين ؟ قالت : نعم ، وإلا يعذبنى الله عذاب العشار (١) .
فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه ، فلما لبث أن جاءت
وضرعا فارغ من اللبن .

فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوهبها من الرجل ، فوهبها
له فأطلقها .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء ،
فإذا مناد ينادى : يا رسول الله . فالتفت فلم ير شيئاً . ثم التفت فإذا طيبة
موثوقة فقالت : يا رسول الله ، أدن مني . فدنا منها فقال : هل لك من حاجة ؟
قالت : نعم ، إن لي خشفين في ذلك الجبل ، فحللتني حتى أذهب
فأرضعهما ، ثم أرجع إليك قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشار ،
إن لم أفعل .

فأطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفيهما ، ثم رجعت ، فأوقفها النبي صلى الله
عليه وسلم .

وانتبه الأعرابي فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، تطلق هذه .
فأطلقها ، فذهبت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك
رسول الله .

(١) العشار : المكاس . يعنى [الذى يأخذ الضرائب على أموال الناس وعلى
تجارته] .

الباب الثامن والعشرون

في كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر أن أعرابياً صاد ضَبًّا ، فجعله في كُفِّهِ ، يريد أن يحمي
إلى أهله فيذبحه ويشويه ، ويأكله ، فإذا هو بجحاة فقال : ما هذه الجحاة ؟
قالوا : على رجل يذكر أنه نبي ، وهو محمد بن عبد الله .

فجاء حتى شقَّ الناس ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
واللات والعزى ، ما سلَّمْتُ على ذى مُهْجَةٍ أبغض إلىَّ منك (١) ، ولولا
أن يُسمَّيني قومي العَجُول ، لمَجَلْتُ عليك فقتلتك فسرَّرت بقتلك الأسود
والأبيض ، وأرحتُ بنى هاشم وغيرهم ، إذ تسبُّ آلَ هتنا .

فعرَّفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أخا بنى سليم : ما حملك على
الذى قلت ، ولم تكرمنى في مجلسى ؟

قال : وفككتنى أيضاً اللات والعزى (٢) ، لا آمنت بك ، حتى يؤمن
بك هذا الضب . فطرح الضب بين يديه .
فقال عمر : ائذن لى أضرب عنقه .
فقال : أما علمت أن الحليم كاد يكون نبيا !

(١) في شرح المواهب عند الدارقطني : فأتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء
على ذى لهجة أ كذب منك .

(٢) كذا بالأصل . والرواية عند ابن كثير البداية ١٩٤/٦ : وتكلمنى أيضاً
— استخففا بالرسول — واللات والعزى النخ . ولعلها أصوب مما هنا .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب فقال له : يا ضب .
قال : لبيك وسعديك . بلسان عربى مبين يُفهم القوم جميعاً .

فقال له : يا ضب من تعبد ؟

قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ،
وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح من
صدقك ، وخاب من كذبتك .

قال الأعرابى : لا أبتغى أثراً بعد عين ! أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بشعرى وبشرى ، وسرى
وعلاتى .

والله لقد أتيتك ، وما على وجه الأرض أحد هو أبغضُ إلىَّ منك ،
ولأنتَ الآن ، أحب إلى من سمعى وبصرى ، ووالدى ، وولدى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هدانا لهذا .

• عن ابن عباس قال : خرج أعرابى من بنى سليم يتبدى فى البرية ،
فإذا هو بضب ، فاصطاده ، ثم جعله فى كفه ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فناده :
يا محمد ، أنت الساحر ، ولولا أنى أخاف أن قومى يسمونى العجول

لضربتكَ بسيفى هذا .

فوثب له عمر ليطش به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

اجلس أبا حفص ، فقد كاد الخليم يكون نبيا .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعرابى ، فقال له :

أَسْلَمَ تَسْلَمَ مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعَزَى ، لَا أَوْمنَ حَتَّى يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ .

ثُمَّ رَمَى الضَّبَّ مِنْ كُمِهِ . فَوَلَّى الضَّبُّ هَارِباً .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا الضَّبُّ أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ .

فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

ثُمَّ أُنْشَأَ الضَّبُّ يَقُولُ :

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ فَبُورِكَتَ مَهْدِيًّا وَبُورِكَتَ هَادِيًّا
شَهَرْتَ لَنَا دِينَ الْخَنِيفَةِ بَعْدَ مَا عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاعِيَا
فَيَاخَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ إِلَى الْجِنِّ ثُمَّ الْإِنْسِ لَبَنِكَ دَاعِيَا
أَتَيْتَ بِيْزْهَانَ مِنَ اللَّهِ وَاضِحٍ فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا
فَبُورِكَتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَبُورِكَتَ مَوْلُودًا وَبُورِكَتَ نَاشِيَا

ثُمَّ سَكَتَ الضَّبُّ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ . وَاعْجِبًا ! ضَبٌّ اصْطَدَّتْهُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ ،

ثُمَّ أَتَيْتَ بِهِ فِي كَتَمِي ، يَكْلِمُ مُحَمَّدًا بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ ! !

أَنَا لَا أَطَّابُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَقَالَ : عَلِمُوا الْأَعْرَابِي سَوْرًا مِنَ الْقُرْآنِ (١) .

(١) حَدِيثُ الضَّبِّ هَذَا مَشْهُورٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَلَكِنَّهُ غَرِيبٌ ضَعِيفٌ . قَالَ الْمِزْزِيُّ :

لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ وَلَا مَتْنُهُ . وَهُوَ مَطْمَعُونَ فِيهِ وَقِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .

انْظُرْ شَيْخَ الْمَوَاهِبِ ٤/ ١٤٨ — ١٤٩ .

فصل

فإن قال قائل : ما رويتم من المعجزات لم يُنقل نقل التواتر .
قلنا : مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً ، كشجاعة عليّ ، وجود حاتم .
ثم عندنا ، القرآن الذي لا يُرتاب فيه ، فمعجزه قائم أبداً ، ينادي على
منار التحدى : « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » .
ثم إذعان الملوك لنبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه ، وإقرار أهل
الكتاب بصفته ، من أكبر الأدلة .

البَابُ السَّامِعُ وَالْعِشْرُونَ

في إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي

• عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ، إني سألك ثلاث خصال ، لا يعلمهن
إلا نبي .

قال : سَلْ . قال : ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه
أهل الجنة ؟ ومن أين يُشبه الولدُ أباه وأمه ؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني بهن جبريل آتياً .

قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : أمّا أول أشرط الساعة : فنار تحشرهم إلى المشرق تخرج
من المغرب .

وأمّا أول ما يأكل منه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأمّا شبه الولد أباه وأمه : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَعَ إليه
الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إليها .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قومٌ بَهْتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي
يَبْهَتُونِي عِنْدَكَ ، فأرسل إليهم فأسألم عن أيِّ رجل ، ابنُ سلام فيكم ؟

فأرسل إليهم فقال : أيُّ رجل ابنُ سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعللنا وابن عللنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا .

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك !

قال : فخرج ابنُ سلام فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقالوا : شرنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا .

فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، نحن نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنت أنبأتنا بها ، عرفنا أنك نبي واتبعناك .

قال : فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا : والله على ما نقول وكيل .

قالوا : حدثنا عن علامة النبي .

قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة ، وكيف تُذكر ؟

قال : يلتقي الماءان ، فإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنتت ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكّرت .

قالوا : صدقت .

قالوا : ما حرّم إسرائيل على نفسه ؟

قال : كان يشتهي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه ، إلا ألبان الأبل ،

فحرم لحومها . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هو الرعد ؟

قال : ملك من الملائكة ، موكل بالسحاب ، بيده أو في يده ، مخراق من نار ، يزجر به السحاب ويصرّفه حيث أمره الله تعالى .

قالوا : فما هذا الصوت الذى يُسمع ؟ قال : صوته .

قالوا : صدقت .

إنما بقيت واحدة ، وهى التى إن أخبرتها بها ، اتبعناك ، أنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء ، فمن يأتيك بالخبر من صاحبك ؟

قال : جبريل .

قالوا : جبريل ! ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدونا من

الملائكة ، لو قلت ميكائيل ، الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطار !

فأنزل الله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ -

الآية » (البقرة ٩٧) .

• عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يحدث أصحابه . فقالت قریش : يا يهودى : إن هذا يزعم أنه نبي .

قال : لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي .

قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد ، مم يخلق الإنسان ؟

قال : يا يهودى من كلِّ يُخلَق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

فأما نطفة الرجل ، فنطفة غليظة ، منها العظم والعصب .

وأما نطفة المرأة ، فنطفة رقيقة ، منها الدم واللحم .

فقام اليهودى فقال : هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَكَ .

• عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعة كاد يُضرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟

فقلت : ألا تقول يا رسول الله !

فقال اليهودي : إنما أدعوه باسمه الذي سماه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي .

فقال اليهودي : جئت أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينفعك شيء ، إن حدثتك ؟

قال : أسمع بأذني .

فحك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه . فقال : سل .

فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض

والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودي : فما تخفّتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون .

قال : فما غذاؤهم في أثرها .

قال : يُنحّر لهم ثور الجنة ، الذمي كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسى سلسيلا .

قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ، إلا نبي
أو رجل أو رجلان .

قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِيَّ
الرجل مَنِيَّ المرأة ، أذكرا ياذن الله ، وإذا علا مَنِيَّ المرأة مَنِيَّ الرجل ،
أنثا ياذن الله .

فقال اليهودي : لقد صدقت ، وإنك لنبي . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه
ومالي علم بشيء منه ، ثم أتاني الله به .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثلاثون

في رؤيته الأشياء من وراء ظهره

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل علينا بوجهه قبل أن يكبر ، فيقول : تراصُّوا واعتدلوا ، فإنِّي أراكم من وراء ظهري .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قبِّلتي ها هنا ، فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إنِّي لأراكم من وراء ظهري .

الحديثان في الصحيحين .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا الصفوف ، فإنِّي أراكم من خَلْف ظهري .

الباب الحادي والثلاثون

في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة ، كما يرى في الضوء .

الباب الثاني والثلاثون

في إجابة دعائه

- عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :
أين على ابن أبي طالب ؟
فقيل : هو يشتكى عينيه .
قال : فأرسلوا إليه ، فأُتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ، ودعاه ، فبرئ ، كأن لم يكن به وجع .
أخرجاه .
- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يَسْمُرُ مع عليٍّ ،
وكان عليٌّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف .
فقيل : لو سألتَه ، فسأله ، فقال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليَّ ، وأنا أَرْمَدُ العين يومَ خيبر .
فقلت : يا رسول الله ، إني أَرْمَدُ العين . ففعل في عيني وقال :
اللهم أذهب عنه الحرَّ والبردَ . فما وجدتُ حرًّا ولا بردًا ، منذ يومئذ .
- عن يَظْلى بن مُرَّة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مررنا بامرأة جالسة معها صبي
لها ، فقالت :
يا رسول الله ، هذا أصابه داء يؤخذ في النوم ، ما أدرى كم مرة .

قال : ناوليني . فدفعته إليه . فجعله بينه وبين واسطة الرجل ، ثم
فرفاه (١) ففعل فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله ياعبد الله ، احسأ ياعدو الله »
ثم ناولها لياه .

وقال : « القينا في الرجعة في هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث .

فقال : « ما فعل صبيك ؟ » قالت : والذي بعثك بالحق ، ما حسسنا
منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترر هذا الغنم .

قال : انزل نخذ منها واحدة ، ورُدَّ البقية (٢) .

• عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، إن به كماً وإنه يأخذه عند طعامنا .

قال : فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، فثَغَّ ثَغَّةً (٣)
فخرج من فيه ، مثلُ الجُرْوِ الأسود . فسمى (٤) .

• عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام
أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادعُ الله أن يسقينا .
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قرعة (٥) .

(١) فرفاه . أى : فتحه . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) ثَغ : وقيل : سعل .

(٤) تفرد به أحمد . وفيه فرقة السنجي وهو سبيء الحفظ .

(٥) القرعة : القطعة من السحاب .

فتار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحدّر على لحيته .

قال : فمطرنا يومنا ومن الغد وبعد الغد ، والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى .

فقام ذلك الأعرابي ، أو رجل غيره فقال :

يا رسول الله ، تهدّم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال : اللهم حولينا ولا علينا .

قال : فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة^(١) حتى سال الوادي قناة شهراً .

قال : ولم يبح أحد ، إلا حدث بالجود . أخرجاه^(٢) .

• عن أنس بن مالك أنه سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء ؟

قال : نعم ، بينا هو في جمعة يخطب الناس ، فقيل له : يا رسول الله قحط المطر ، وأجذبت الأرض ، فادع الله عز وجل .

فرفع يديه ، حتى رأينا بياض إبطيه ، فاستسقى وما في السماء سحابة .

فما قضينا الصلاة ، حتى إن الشاب القريب الدار ليئمه الرجوع إلى أهله ، فدامت جمعة . فلما كانت الجمعة الأخرى ، قالوا :

يا رسول الله ، تهدمت البيوت ، واحتبس الركبان ، وهلك المال .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بيده هكذا ، ففرّق

بين يديه : « اللهم حولينا ولا علينا » . قال : فتكشّطت عن المدينة .

(١) قال في الصحاح : الجوبة : الفرجة في السحاب وفي الجبال . وانجابت

السحابة : انكشفت . والجوبة أيضاً : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى : صار الغيم والسحاب محيطاً بأفاق المدينة . (٢) في مواضع من كتاب الصلاة .

• عن عائشة بنت سعد أن أباهما حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً دَسّاً لا ماء به ، وسبقه المشركون إلى القلب ، فنزلوا عليها ، وأصاب المسلمين العطش ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجم النفاق^(١) .

وقال : بعض المنافقين : لو كان نبياً كما يزعم ، لاستسقى لقومه كما استسقى موسى .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أو قالوها ! عسى أن يسقيكم . ثم بسط كفيه وقال :

« اللهم جَلِّنا سحاباً كثيفاً مُقدَّوداً ، تضحك منه الأرجاء ، تُطرنا منه رذاذاً قد قطع ، سَجَلاً نعاقاً^(٢) ، يا ذا الجلال والإكرام . »

فما ردَّ يديه من ردائه ، حتى أطلقنا سحابة تتلون في كل صفة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب .

قال : ثم أمطرنا الضروب التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقم السيل الوادي ، فشرب الناس وارتووا .

• عن أنس قال : لما كان يوم الحديبية ، دبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح ، من قبل جبل التنعيم ، يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليهم ، وأخذوا ملأ عنان ففعا عنهم ، ونزلت هذه الآية : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

(١) نجم النفاق . معناه : ظهر واستعلن واضحا .

(٢) الرذاذ : المطر الضعيف ، والسجل المطر الغزير . والنعاق المرتفع الصوت .

يَذِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيِّدِيكُمْ عَنْهُمْ يَبْطِئُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ كُمْ
أَعْلَيْهِمْ» (١).

• عن عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماءً ، فأتيته بقدح فيه ماء ، وكانت فيه شعرة فأخذتها ، فقال : اللهم جملها .
قال : فرأيتته وهو ابن أربع وتسعين سنة ، ليس في لحيته شعرة بيضاء .
• عن أنس قال : دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
اللهم أكثر ماله وولده ، وأطول حياته .
فأكثر الله مالي ، حتى إن كنز مالي يُحْمَلُ في السنة مرتين ، وولدي
لصُلبي ، مائة وستة .

• عن نوفل ، عن أبيه قال : كان ابن أبي لهب يسبُّ النبي صلى الله
عليه وسلم واسمه عتبة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم سلط عليه
كلباً من كلابك » .

فخرج يريد الشام في قافلة مع أصحابه ، فنزلوا منزلاً فقال :
والله إني لأخاف دعوة محمد . قال : فقالوا له : كلاً .
قال : فخطوا الممّاع وقعدوا حوله يحرسونه .
قال : فجاء السبع ، فانتزعه فذهب به .

• عن جابر ، عن بلال قال : أذّنتُ بالصبح في ليلة باردة ، فلم يأت
أحد ، ثم أذّنتُ فلم يأت أحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما شأنهم
يا بلال ؟

قلت : كبدهم (٢) البرّد . فقال : « اللهم اكسر عنهم البرد » .

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) كبدهم : شق عليهم وضيق ، من الكبد وهو الشدة والضيّق . أو أصاب
أكبادهم ، وهو أشد البرد . النهاية ٢/٤ .

قال بلال : فلقد رأيتم يتروحون :

• عن أنس ، أن أبا طالب مرض ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا بن أخي ، ادعُ ربك الذي تعبد به أن يعافيني .

قال : « اللهم اشفِ عَمِي » فقام أبو طالب ، كأنما أنشط من عقال .

قال : يا بن أخي ، إن ربك الذي تعبد به كيطيعك .

قال : وأنت يا عماء ، لو أطعت الله لأطاعك .

* * *

فصل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبعه المؤمنون عملاً بالدليل ، لا تقليداً .

ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب ، فيقولون : واصلت ونهيتنا ، وفعلت كذا . فيبين لهم سبب ذلك :

فلما أذعن له القلوب وشاع الإسلام ، صَدَّيْتُ قُلُوبَ مَكْدُبِيَّةٍ وَحَاسِدِيَّةٍ .

فرضى اليهود بالخلود في النار ، اتباعاً لمقتضى الحسد ، مع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ قوم يقولون ، بزعمهم ، مثل القرآن ، كسيلة فإنه قال : يا خفدع نَبِيٌّ كَمَ تَنْقِينَ .

وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي فنبت شعره ، فمسح على رأس صبي فقرع .

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق في بئر فحاشت بالرى ، فبصق
هو في بئر فيست .

* * *

فلما فشا الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت البلدان ،
اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا : لا طاقة لنا بالمسلمين ، فهاؤوا حتى نظهر
الإسلام ونُدخل فيه الآفات .

وهم الباطنية ، يظهرون الإسلام والتعبد ، ومقصودهم الجهال
واصطيادهم .

فإذا تملكوا منهم ، كاشفوا بالإلحاد .

قال ابن عقيل : لو اجتمعت برئيس الباطنية ، سلكت معه طريق
الإلحاد على عقله وعقول أتباعه .

فكنت أقول : الآمال طرق ووجوه ، ووضع الأمل في جهة الإياس
مُحَقَّق .

وقد طبقت شريعة الإسلام الأرض وتمكنت .

فلها تجتمع كل سنة بعرفة ، وكل أسبوع في الجمعة ، ومجامع في المساجد .

فتتحدّثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر
الظاهر في الآفاق ، وكل يوم يؤذّن على مائتي ألف منار باسم هذا الرسول .

وغاية ما أتم عليه حديث في خلوة ، لو ظهر لم يؤمن هلاك قائله .

فلا أعرف أحق منكم !

ها إلى أن يحىء باب المناظرة !

* * *

قال المصنف : وقد اندس جماعة من الملحدين في المسلمين ، كأبي العلاء
المعري وابن الراوندي قبله ، فماتا على أقبح صفة .
واندس منهم جماعة في المحدثين ، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شين
الشريعة وتناقضها .

فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم ويبينون الصواب من الخطأ .
وأظهر قوم التكهن ، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب ، وأخذ قوم
يتكلمون على ما في القلوب ، والمنجم عما يكون غداً .
كل ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأت بمعجزة .
ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

* * *

قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم
أن الباري سبحانه ، إنما يمهّل الكذاب يسيراً ، ثم يستأصله بالعذاب .
فيجوز أن يمهّل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبت شريعته بعده ؟ !
وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلّل السبت ، ثم ينصر أتباعه
على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز ؟ !
حاشاه أن يفعل ذلك ، إذ لو فعله لم يتبين الصدق من الحال .
ألم تسمعه تعالى يقول : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا
مِنْهُ بِالْيَمِينِ » (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .
فن طعن في صدقه ، طعن في عدل الباري وحكمته ، لأن الطعن يتوجه
على المعين .

قال : ولقد فاضت أشعة معجزاته على أصحابه .
فكتب عمر إلى نيل مصر ، ونادى سارية ، فأسمعه .
وجيء بكنوز كسرى ، قسمت في مسجده صلى الله عليه وسلم .

فهرس الموضوعات

الترتيب	الموضوع	الترتيب	الموضوع
	يهودى يعترف بذكر محمد	٣	كلمة الناشر
٨٨	في التوراة	٥	مقدمة المصحح
	أخبار اليهود يخبرون تبعاً	٢١	مقدمة المؤلف
٨٩	بظهور محمد وصفته	٢٣	تراجم الأبواب
	الزبير بن باطا يعرف محمداً ثم	٦٥	أبواب بداية نبينا
٩٠	ينسكبه	٦٧	ذكر التنويه بذكر نبينا
٩٠	اليهود ينكرون نبوة محمد حسداً	٧٠	ذكر الطينة التي خلق منها
	عمر بن الخطاب يسأل أخبار	٧٢	دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد
٩٢	اليهود		بيان ذكره في التوراة والإنجيل
	حديث أبي سفيان عن أمية	٧٣	« يجدونه مكتوباً عندهم »
٩٤	ابن أبي الصلت	٧٤	ميثاق الله على النبيين
	حديث عاصم بن عمر بن قتادة	٧٤	صفة رسول الله في التوراة
٩٨	عن اليهود	٧٥	روايات عن كعب الأحبار
٩٩	قصة سلمان الفارسي	٨١	خبر عن مالك بن سنان
	حديث جبير بن مطعم عن	٨٢	معرفة أبي عامر الراهب بالرسول
١٠٠	نضاري بصرى		استفتاح اليهود على الأوس
	حديث صفية بنت حي عن	٨٣	والخزرج بمحمد
١٠٢	أبيها وأمها	٨٤	للنيرة بن شعبة يحكي عن المقوقس
١٠٣	حديث غيريق اليهودى وإسلامه		الراهب يخبر ورقة بن نوفل
	المشركون يسألون أخبار اليهود	٨٦	عن محمد
١٠٤	عن محمد	٨٦	كيف سماك أبوك محمداً ؟
١٠٥	إسلام عمرو بن عبسة	٨٧	خبر عن سلمة بن وقش

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
خبر أساقفة نجران	١٠٦	ذكر طريق مكة في شعيا	١٢٢
«خبر الدين اسودت وجوههم»	١٠٦	ذكر الحرم في كتاب شعيا	١٢٣
خبر سهل مولى عثيمة النصراني	١٠٦	تعليق لابن قتيبة على هذه الاخبار	١٢٣
خبر عن عمر بن حنيس	١٠٧	رتعيق لمؤلف فيها	١٢٥
بما أوحى الله إلى عيسى	١٠٧	إعلام كعب بن غالب بعثته	١٢٦
حديث لوهب بن منبه عن شعيا	١٠٨	صلى الله عليه وسلم	١٢٦
رجل من أهل الشام يبشر نساء	١٠٨	ذكر منام رآه نصر بن ربيعة	١٢٦
قريش بمحمد	١٠٨	يدل على وجوده صلى الله	١٢٦
من أعلام نبينا الموجودة في التوراة	١٠٩	عليه وسلم	١٢٨
تعليق لابن قتيبة على هذا الخبر	١٠٩	ذكر نسب محمد صلى الله عليه وسلم	١٣١
ومن أعلامه في التوراة «جاء الله	١٠٩	ذكر طهارة آبائه وشرفهم	١٣٢
من سيناء . . .»	١١٠	بيان أن جميع العرب ولدوا	١٣٢
«إني أقيم لبني إسرائيل نبياً من	١١٠	رسول الله	١٣٤
إخوتهم . . .»	١١١	قوله: «ولدت من نكاح»	١٣٥
من أقوال حقبو النبي	١١٢	ذكر منام رآه عبد المطلب يدل	١٣٦
من ذكر شعيا لمحمد صلى الله	١١٢	على وجوده	١٣٦
عليه وسلم	١١٤	ذكر منام رآه خالد بن سعيد	١٣٨
من قول كعب عن الرسول	١١٤	ابن العاص	١٣٨
من ذكر شعيا لمحمد	١١٤	ذكر منام رآه عمرو بن مرة	١٣٩
من ذكر داود له	١١٤	الجهني	١٣٩
من ذكر شعيا له يصفه بركوب	١١٤	ذكر تزويج عبد المطلب وأبنة	١٤٥
الجل	١١٦	عبد الله إلى بني زهرة	١٤٥
ذكر النبي في الإنجيل	١١٧	ذكر عبد الله أبي نبينا	١٤٦
ذكر مكة والحرم في الكتب	١١٧	تزوج عبد الله أمية بنت وهب	١٤٨
للتقدمة	١١٩	ذكر ماجرى لأمية في حملها	١٤٨
		بالرسول	١٥٢

الموضوع	الموضوع
٢١٦ كفالة أبي طالب رسول الله	١٥٣ ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب
خروج الرسول إلى الشام مع	١٥٤ مولد نبينا صلى الله عليه وسلم
٢١٨ عمه أبي طالب ولقائه بحيرى	١٥٦ قصة الفيل
٢٢٣ حضور الرسول حزب الفجار	ذكر ما جرى عند وضع آمنة
٢٢٥ حضوره حلف الفضول	رسول الله
ذكر ما كان رسول الله يتعبد به	١٦٠ ولادته مسروراً محتوناً
٢٢٨ قبل النبوة	ذكر الحوادث التي كانت ليلة
ذكر حالة جرت لرسول الله مع	١٦٥ ولادته
الملائكة وهو ابن عشرين سنة	ذكر أمهات الحوادث في سنيه
٢٣١ ذكر رعيه الغنم	صلى الله عليه وسلم
٢٣٣ « اشتغاله بالتجارة قبل النبوة	ذكر أسماء نبينا محمد
٢٣٤ « خروجه إلى الشام في تجارة	« كنيته
خديجة	١٧٦ « أول من أرضعه
٢٣٥ تزوجه بخديجة	١٧٨ « حليمة التي أرضعته بعد ثوية
٢٣٧ شهود رسول الله بنيان الكعبة	١٨٠ « شرح صدره في صفه
٢٣٩ ووضع الحجر بيديه	١٨٥ « ما جرى لرسول الله بعد
٢٤١ أبواب نبوته صلى الله عليه وسلم :	تمام خمس سنين
٢٤٤ ذكر المواقف بنبوة نبينا	ذكر وفاة أمه آمنة
٢٥٣ إعلام الوحش بنبوته	« كفالة عبد المطلب
ذكر أمارات النبوة التي رآها	لرسول الله
٢٥٥ رسول الله قبل بعثه	١٩٩ ذكر خروج عبد المطلب
ذكر تسليم الأحجار والأشجار	برسول الله يستسقون به
٢٥٧ عليه	٢٠١ خروج عبد المطلب لتهنئة سيف
٢٥٨ ذكر بدء الوحي	ابن دى زن، وبشارة سيفه
« تعليم جبريل رسول الله	٢٠٤ ذكر موت عبد المطلب
الوضوء والصلاة	٢١٣
٢٦٦	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١٤	ذكر ما كتبه المشركون من التبري من بني هاشم وبني المطلب	٢٦٨	ذكر صلاة رسول الله في بداية النبوة بخديجة وعلى
٣١٩	ذكر ما جرى لرسول الله مع ضماد الأزدي	٢٧٠	صفة نزول الوحي عليه
٣٢١	ذكر ما جرى لرسول الله مع عتبة بن ربيعة	٢٧٦	ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله من الملائكة في نبوته
٣٢٣	ذكر ما أشار به الوليد على قرش في أمر رسول الله	٢٧٧	سؤال رسول الله ربه أن يريه آية تقوى ما عنده
٣٢٦	ذكر ما جرى لرسول الله مع الطفيل بن عمرو	٢٧٨	رمى الشياطين بالشهب حين بعث ، وتنكيس الأصنام
٣٣٠	ذكر ما جرى لرسول الله مع أبي طالب عند موته	٢٨٢	ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى أبريز عند بيعته صلى الله عليه وسلم
٣٣٥	ذكر ما جرى لرسول الله بعد موت أبو طالب وخديجة	٢٨٩	ذكر دعاية رسول الله الناس إلى الإسلام
٣٣٧	ذكر ما جرى لرسول الله في خروجه إلى الطائف	٢٩١	ذكر إنذار رسول الله في المواسم
٣٤٣	دخول رسول الله مكة لما رجع من الطائف	٢٩٢	» إنذاره عشيرته
٣٤٤	عرض رسول الله نفسه على القبائل في المواسم	٢٩٦	» عموم رسالته
٣٤٥	تعليق لابن الجوزي على دخول الرسول في خفارة كافر وعرض نفسه على القبائل	٢٩٧	» إرساله إلى الجن
٣٤٦	ذكر ما جرى لرسول الله مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة	٢٩٨	» كونه خاتم النبيين
		٢٩٩	» ما لاقى رسول الله من أذى الكفار وهو صابر
		٣٠٧	ذكر ما روى عن إيمان أكمهم ابن صيفي برسول الله
		٣٠٩	أمر رسول الله أصحابه بالحروح إلى أرض الحبشة

الموضوع	الموضوع
ذكر معراج رسول الله	٣٤٩
« لقاء رسول الله الأنصار	٣٩٨
في العقبة الثانية في سنة ثلاث	٣٩٩
عشرة من النبوة	٤٠٠
علم قریش ما جرى للأنصار	٤٠٣
وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك	٤٠٤
أبواب هجرته إلى المدينة :	٣٧١
ذكر خروج رسول الله إلى الفار	٣٧٤
« ذكر ما جرى في الفار	٣٧٧
« ما جرى له في طريقه إلى	٣٨٢
المدينة	٣٨٩
ذكر حديث أم معبد	٣٩٠
تورية أبي بكر عن رسول الله	٣٩٢
في طريقهم إلى المدينة	٣٩٣
لقاء رسول الله في طريق المدينة	٣٩٤
بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه	٤١١
وخدمة بريدة إياه	٤١٢
ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله	٤١٣
ودخوله إليها	٤١٥
ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله	٤١٧
إلى المدينة	
ذكر المكان الذي نزل به حين	
دخل المدينة	
ذكر فرح أهل المدينة بقدومه	
صلى الله عليه وسلم	
ذكر لقاء رسول الله عبد الله	
ابن سلام حين دخل المدينة	
فضل المدينة	
ذكر بناء مسجد الرسول	
فضل مسجد رسول الله صلى الله	
عليه وسلم	
ذكر ما بين بيته ومنبره	
ذكر بيوت رسول الله ومنازل	
أزواجه	
دعاء رسول الله أن يحبب الله	
إلى أصحابه المدينة	
صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة	
ذكر الوقت الذي حولت فيه	
نزول فرض رمضان	
ذكر أن رسول الله كان يحرس	
بالمدينة	
أبواب معجزاته :	
كانت صورة نبينا وهيئته وسمته	
تدل العقلاء على صدقه	
ذكر معجزه الأكبر وهو	
القرآن العزيز	
أوجه إعجاز القرآن	
عجز العرب عن معارضته	
رد ابن عقيل على من قال إن	
إعجاز القرآن بالعرفه	

الموضوع	الموضوع
رأى المؤلف في ذلك	٤١٧
معنى حفظ الله للقرآن	٤١٨
الدليل على أن القرآن ليس من قول الرسول	٤١٩
هل يوضع للقرآن ترجمة ؟	٤١٩
رأى ابن عقيل في ذلك	٤٢٠
معنيان عريان للمؤلف في إعجاز القرآن	٤٢٠
معجزة بشق القمر	٤٢٢
إظهار معجزاته في تكثير الطعام	٤٢٤
ذكر معجزة في تكثير السمن	٤٣٣
معجزة في تكثير التمر	٤٣٥
معجزته في تكثير الماء	٤٣٨
ذكر نبع الماء من بين أصابعه	٤٤٦
معجزة في تكثير اللبن	٤٥٠
ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه	٤٥٣
الفرق بين المعجزة والسحر	٤٥٧
تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره	٤٥٩
ذكر شكوى البهائم إليه وذل المستصحب منها له	٤٦٠
ذكر معجزته التي ظهرت في المركوب	٤٦٤
رميه في وجوه المشركين بكف من تراب قملاً أعينهم	٤٦٥
إشارته إلى الأصنام فوقعت	٤٦٦
إخبار رسول الله بالغائبات	٤٦٧
معنى : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده »	٤٦٧
تعليق لابن عقيل على دلالة إخبار للرسول بالغائبات	٤٨٥
إلانة الصخر له	٤٨٦
ذكر حنين الجذع إليه	٤٨٨
تسبيح الحصى في يده	٤٩٢
ستره عن قصد أذاه من المشركين	٤٩٣
دفع من أراد أذاه من الإنس	٤٩٤
كيفية هلاك بعض من أذاه	٤٩٨
دفع من قصد أذاه من الشياطين	٥٠٠
بيان أنه كان له شيطان	٥٠١
دفع أذى الطوام عنه	٥٠٢
إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت	٥٠٣
كلام الجدار بحضرته	٥٠٤
تكليم الظبية له	٥٠٥
كلام الضب لرسول الله	٥٠٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢٢	موقف الناس بعد ظهور معجزات الرسول	٥١٠	دلالة المعجزات في مجموعها ، وإن لم تنقل نقل التواتر
٥٢٣	موقف الملاحدة من الإسلام ، ورأى لابن عقيل	٥١١	إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي
٥٢٤	المعدون يندسون بين المسلمين	٥١٦	رؤيته الأشياء من وراء ظهره
٥٢٤	من أكبر الدلائل على صدق نبينا أن الله لم يخذله .	٥١٦	ذكر أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
		٥١٧	إجابة دعائه

تم بحمد الله وعونه الجزء الأول من كتاب « الوفاء بأحوال المصطفى »
 صلى الله عليه وسلم و يليه — إن شاء الله — الجزء الثاني ، وأوله :

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
 ومثل ما بعث به ومثل أمته
 ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس